2264
11234
389
1961
V 5

2264.11234.389.1961 V.5
Amīn
al-Takāmul fī al-Islām

DATE | ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073838359

التكامل في الإسلام

الجزء الخامس

بقلم
احمد امين

خريج كلية التربية وجامعة استانبول : الرياضيات العالية
والفيزياء الرياضية العالية

١٣٨٥ هجرية

دار النعمان للطباعة والنشر
أصل الشيخ ابراهيم الكتبي

Amīn, Aḥmad

al-Takāmul fī al-Islām

التكامل في الاسلام

من أراد أن يقلع ما في نفسه من شكوك وان يعلم
ان الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل اليه
العلم الحديث فليطالع هـذا الكتاب

الجزء الخامس

بقلم

احمد امين

١٣٨٥ هـ

دار التعاون للطباعة والنشر

(RECAP)

2264
.11234
.389
.1961

بِسْمِ اللهِ الرَحْمٰنِ الرَحِيم

من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام يصف فيه المتقين والكمال الانساني :

v.5

« فالمتقون فيها هم أهل الفضائل • منطقهم الصواب وملبَسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، غضّوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء • ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب ، وخوفاً من العقاب • عظم الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها منعّمون • وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذّبون • قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قليلة ، أعقبتهم راحةً طويلة • تجارة مُربحة يسّرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدَوا أنفسهم منها • اما الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا (الى أن يقول) : واما النهار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء • قد براهم الخوف بري القِداح ، (الى أن يقول) فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين وحزما في لين ، وايمانا في يقين وحرصاً في علم وعلما في حلم وقصداً في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجمّلا في فاقة وصبراً في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجاً عن طمع • يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل • يُمسي وهمه الشكر ويُصبح وهمه الذكر • (الى أن يقول) . تراه قريباً أمله قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعةً نفسه ، منزوراً أكله ، سهلا أمره حريزاً دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه • الخير منه مأمول والشر منه مأمون » •

من حقائق القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١)

في القرآن الكريم سبعمائة وخمسون آية كونية ، تدل على عصارة ما توصل اليه العلم الحديث وما سيصل اليه في المستقبل . فقد قال ابن عباس — رضي الله تعالى عنه — : « ان في القرآن معانٍ سيكشفها الزمن » . ومن جملة تلك الآيات الباهرات ، الآية الثامنة والثلاثون من سورة يس : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

فقد اختلف العلماء قبل ميلاد المسيح (ع) بقرون ، الى قبل حوالي ٥٠ عاماً ، في أن : هل للشمس حركة أم لا ؟

فقد ذهب العلماء في اليونان قبل الميلاد الى أن الارض مركز العالم ، وبما أن أكمل الاشكال حسب زعمهم هو الكرة ، إذن يجب أن يكون شكل الارض كرويا ، وان الشمس تدور حول الارض على شكل دائرة ، ذلك لأن الدائرة في نظرهم أكمل الأشكال الهندسية .

لم يكن العلم قبل الميلاد وبعده الى القرون الوسطى مستنداً على التجربة والاستقراء والاستنتاج ، وانما حجتهم فيما يدعون : نظرية الكمال ، دون تحقيق تجريبي ، مستندين في ذلك الى قول العالم الكبير عندهم ، أي كانت حجتهم قول عالمهم المسمى بـ (ماجستير) ، حين ان علياً عليه السلام كان يقول :

(١) سورة ياسين : ٣٨ .

11-21-67 1948

« في التجارب علم مستأنف » .

بقيت هذه النظرية اليونانية بالنسبة الى حركة الشمس والارض حاكمة عدة قرون ، حتى جاء دور التجربة والمشاهدة ، أي دور (بيكن : Bacon) المكتشف للطريقة التجريبية ، كما يزعم الغربيون . فاكتشف (غاليليو) أو (گاليله) التلسكوب . وقال عند ذلك ، مستنداً الى التجربة والعلوم الرياضية كل من (كوپرنيك) و (كپلر) الفلكيين بحركة الارض مع بقية الكواكب حول الشمس على شكل اهليليجي ، أي على شكل القطع الناقص ، الذي معادلته كما جاء في الهندسة التحليلية :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} + \frac{ص^{٢}}{حـ^{٢}} = ١$$

ب = نصف القطر الكبير .

حـ = نصف القطر الصغير .

ومعنى ذلك : ان الله تعالى قد حرّك الكواكب حسب قربها من الشمس : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، أورانوس ، نپتون ، پلوتو ، حول الشمس على شكل اهليليجي .

والجدول الآتي يبيّن بعد كل من الكواكب عن الشمس :

البعد	عطارد	الزهرة	الأرض	المريخ	المشتري	زحل	أورانوس	نپتون	پلوتو
بملايين الأميال عن الشمس	٣٦	٦٧	٩٢	١٤٢	٤٨٣	٨٨٦	١٧٨٣	٢٧٩٤	٣٦٧٠

ومعلوم ان رسم الشكل الاهليليجي من الصعوبة بمكان ، ولا يقوى على رسمه إلا من درس المخروطات .

وكان القرآن ينادي ، قبل اكتشاف الطريقة التجريبية في أوروبا بقرون ، باستعمال السمع والبصر والعقل، وذلك بقوله : «إن السمع والبصر والفؤاد [١] كل ذلك كان عنه مسؤولا » .

وان علياً عليه السلام قد حل مسائل جمة ، مستنداً الى الطريقة التجريبية: قانون أرخميدس ، قانون الطوفان ...

ان ما اكتشفه (كوپرنيك) و (كپلر) في القرن السابع عشر من ثبوت الشمس في محلها ، كان يخالف ما جاء في القرآن الكريم : من أن للشمس حركةً خاصة بها . حتى اذا تقدمت العلوم الرياضية العالية ، بما فيها المكانيك الرياضي ، واخترعت مراقب كبيرة جداً ، علم قبل حوالي ٥٠ عاماً ، أن الشمس مع كواكبها تسير في الفضاء على شكل لولبي أو حلزوني ، متجهة نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع ، بسرعة قدرها في الساعة حوالي (٧٠) الف كيلو متر . وقد ثبت علمياً قول الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً ، حين يقول : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

الامطار في القرآن :

« ألم ترَ ان الله يزجي [١] سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً . فترى الودق [٢] يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد [٣] فيصيب به مَن يشاء ، ويصرفه عمن يشاء . يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » . (سورة النور : ٤٣) .

ان قوله تعالى : « يؤلف بينه » أي ان الله تعالى يؤلف بين السحاب .

(١) يراد بالفؤاد هاهنا : العقل . والله العالم .
(١) يزجي : يسوق السحاب أو البخار .
(٢) الودق : المطر .
(٣) البرد : قد تنخفض درجة حرارة الجو الاعلى تحت الصفر ، وتحمل اليه قطرات المطر بطريقة ما ، فتنزل على الارض متجمدة ، وتسمى بردا .

وهو يدل بوضوح على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها الظواهر الجوية ، فان التأليف بين السحاب ما هو الا اشارة واضحة للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية ، حتى تتجاذب وتتعبأ في الجو حسبما يريده الله ، فيتكون بأمره تعالى من بين السحاب برق أو صواعق ومطر وبَرَد .

وان عملية الركام أو التكاثف تأتي بعد عملية التأليف . ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماءاً ، فأسقيناكموه ، وما أنتم له بخازنين » . (سورة الحجر : ٢٢) .

ان هذه الآية تعلمنا ان للرياح اللواقح أثراً فعالاً في نزول الماء من السماء واسقائه الناس . فهذه الآية لا تريد أن تشير الى ان الرياح لواقح للزرع ، بل تقول ان الرياح تلعب دوراً خطيراً في الاتحاد بين كهربائية وكهربائية في سحابتين مختلفتين . أي ان الرياح تعمل في الجمع بين الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة ، فتقع الملاقحة بين سحابتين .

فهذه الآية معجزة خالدة ، لأنها تخبر قبل أربعة عشر قرناً تقريباً عن شيء هو عصارة العلم الحديث . وهذا دليل واضح على التطابق التام بين العلم الحقيقي والدين في الاسلام ، وبرهان قطعي على تأخر العلوم عن الحقائق القرآنية .

واما تنزيل جبال من السماء فيها من بردَ ، فمنها الثلوج التي نشاهدها في شمال (نوروج) في المنطقة المنجمدة الشمالية . تتحرك هذه الجبال الثلجية أو الثلاجات (Iceberg) مع التيار (گولف استريم) في المحيط الاطلانتيكي متجهة نحو خليج (مكزيك) بين أمريكا الشمالية والجنوبية ، فتلطف الجو هناك ببرودتها .

***

وقد تحقق قوله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد ، فيصيب به مَن يشاء ويصرفه عمَّن يشاء » . وذلك عندما تحركت سفينة كبيرة جداً ، صنعتها أمريكا قبل حوالي أربعين عاماً ، فيها مكائن عدة وساحات للألعاب ، متجهة نحو لندن .

ففي حوار جرى بين القائد الأعلى للسفينة ومعاونه ، قال المعاون مخاطباً القائد « انا سنصل الى لندن بعد عشرين يوماً ان شاء الله » . فامتعض القائد ، وقال لمعاونه : « أوَ تقول ان شاء الله ، مع ما ترى ما لهذه السفينة من مكائن متعددة وقوة فائقة . انا سنصل الى لندن بعد عشرين يوماً حتماً ودون ريب » .

حتى اذا تحركت السفينة وصارت في وسط المحيط الاطلانتيكي ، واذا بسفينة اخرى تخابر هذه السفينة الكبيرة قائلة : « ان أمامكم ثلاجة كبيرة ، اجتنبوها ، فانها ان اصطدمت بسفينتكم ، فستحطمها تحطيماً » .

فصار القائد الأعلى يسير بالسفينة يمنة ويسرة ، فلم تفد محاولاته ، حتى اصطدمت الثلاجة بالسفينة فحطمتها تحطيما . وقد تحقق قوله تعالى : « وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء » وهو السفينة الثانية الكبيرة ، « ويصرفه عمن يشاء » وهو السفينة الأولى .

وقد أمرنا الله تعالى أن نعلق الامور الى مشيئته ورحمته ، وان نقول كلما اعتزمنا أمراً : « ان شاء الله » . وذلك بقوله جل من قائل : « ولا تقولنَّ لشيء اني فاعل ذلك غداً ، الا أن يشاء الله ، واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى ان يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً » (١) .

على ان الله جل جلاله لا يريد بذكر هذه الآية وغيرها من الآيات الكونية تعليم الناس العلوم الكونية ، لأن كلمات الله تعالى وما أودع في المادة والاجسام

---

(١) سورة الكهف .

من خواص وقوانين رياضية تكاد لا تتناهى ، وهو القائل : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله » [١] ولكن الله تعالى يريد أن يُري عباده جليل قدرته وعظيم صنعته ، إتماماً للحجة . وهو القائل : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » . وفي آية اخرى : « قل فلله الحجة البالغة » . وهو القائل أيضاً : « ليهلك مَن هلك عن بينة ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنة » .

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

« وكل شيء عنده بمقدار
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (١)

ان ما نشاهد في علم الكيمياء ، من شتى المعادلات وأنواع التفاعلات ، تحت مقادير معينة وشروط محددة ، وما نرى من ضروب الدساتير في الفيزياء والفلك والمكانيك السماوي والأرضي ، خير دليل على أن العدد (أو المقدار) يحكم العالم عن تدبّر وحكمة فائقة ، وتحت قوانين ثابتة . لذلك : كان يقول فيثاغورث ، قبل الميلاد بقرون : « العدد يحكم العالم . وكان يقول (لورد كلوين) الفيزاوي المعروف ، قبل أقل من قرن : « كل حادثة فيزياوية لا يمكن التعبير عنها بدستور أو معادلة رياضية ، ليست بحادثة معروفة ، مفهومة » .

وأبرز مثال لمفهوم الآية المتقدمة : ان جعل الله تعالى الكثافة العظمى للماء في الدرجة الرابعة من الحرارة المئوية ، رأفةً بالحيوانات البحرية ، لتبقى حية .

من المعلوم أن الأجسام تتمدد بالحرارة وتتقلص بالبرودة ، أي عند تقليل درجة الحرارة ، الا الماء ، ففي الدرجة الرابعة من الحرارة المئوة يكتسب الماء الكثافة العظمى . فاذا قللنا درجة الحرارة عن (٤° م) تقل كثافة الماء ويزداد حجمه ، فيكون ١ سم٣ (سانتيمتر مكعب) من الماء في درجة الصفر المئوي أقل وزناً عن ١ سم٣ (سانتيمتر مكعب) من الماء في ٣° م ، أي في الدرجة الثالثة من الحرارة المئوية ، بخلاف بقية الأجسام . لذلك : يكون الجليد أخف من الماء ، مع اتحاد الحجم ، فيطفو على سطح الماء .

وقد وجد ان حجم الغرام الواحد من الجمد أو الجليد في درجة الصفر

---

(١) سورة الرعد : ٩ .

المئوي = ١٫٠٩١ سم٣ . فاذا ساح الى الماء في درجة الصفر أيضا ، أصبح حجمه = ١٫٠٠٠١٢ سم٣ . فالجليد أو الجمد أخف من الماء حتى في درجة الصفر . ولولا هذا الشذوذ بأمره تعالى في تغير الكثافة ، أي لو كانت كثافة الماء العظمى في درجة الصفر على المعتاد لا في الدرجة الرابعة من الحرارة المئوية (٤° م) كبقية السوائل ، لغاص كل ما تجمد من سطح الماء ورسب في القعر ، وتجمد ما يزيحه الجليد الراسب الساقط في قعر الماء الى الاعلى .. وعلى هـذا المنوال كان يتجمد البحر أو البحيرة من الأعلى الى الاسفل ، ولأصبحت البحيرة قطعة ثلج ! فلا ترى حيواناً يتنعم بالحياة في أعماق البحار والبحيرات . ولا تقلب البحر برمته الى ثلاجة ما كان يكفي لذوبانها حرارات الفصول ، ولا سيما ، في المناطق الباردة ، ولانتفى بعد ذلك انتفاع الانسان بالبحر .

وبما أن الله تعالى قد جعل كثافة الماء العظمى في (٤° م) ، فاذا برد الجو وصارت درجة حرارة الماء للسطح العلوي (+ ٤° م) ، نزل هذا الماء الى القعر لثقله بالنظر الى وزن الماء في الطبقات السفلى .. وهكذا ، حتى تصبح درجة حرارة الماء في القعر (+ ٤° م) . ثم اذا نقصت درجة الحرارة انجمد السطح الأعلى فقط من البحيرة عن قشرة غير سميكة ، ولما أمكن نزول هذه القشرة لخفته ، وبقي القسم الاسفل من البحيرة سالماً من الانجماد ، تعيش فيه الحيوانات بهناء وسرور .

فيرى لو اطّرد انقباض الماء بالبرودة وتمدده بالحرارة كبقية الأجسام (اي لولا هذا الشذوذ رأفةً بالحيوانات البحرية لتبقى حية) **لانقلب البحر** كله الى جليد في فصل الشتاء ، ولتلفت الحيوانات كلها بتجمده ، ولامتنعت التجارة البحرية ، ولانقلب الجو بارداً بتأثير الثلوج البحرية ، وتعسرت الحياة البشرية ... فيستنتج من ذلك كله أن ليس للطبيعة العمياء أن تفكر في حياة

الحيوانات البحرية والتجارة البشرية ، فتجعل كثافة الماء في (+ ٤° م) في النهاية العظمى ، خلافا لبقية الاجسام .

وكمثال آخر ، تفسيراً لقوله تعالى : « وكل شيء عنده بمقدار » ، نقول : من الواضح المعلوم ان الارض تدور حول محورها في كل ٢٤ ساعة مرة واحدة . وسرعة حركتها في هذه الحالة (١٠٠٠) ميل في الساعة . فلو كانت الارض تدور حول محورها بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة ، لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن ، وكذا طول النهار . وكانت الشمس المحرقة في الصيف تحرق في تلك الايام الطوال جميع النباتات وما ينمو على الارض . وفي الليالي الباردة الطوال كان ينجمد كل ما على الارض من مياه ونبات وحيوان . فيرى أن كل تغيير فيما قدره الله تعالى من (قدر) يؤدي الى انتفاء الحياة على وجه البسيطة .

وان درجة الحرارة على سطح الشمس التي هي مصدر الحياة لهذه الكرة الأرضية هي : ١٢٠٠٠° فاهرانهايت . ويصل الينا من هذه الحرارة ما يؤدي الى استقرار الحياة على الأرض منذ ملايين السنين . واذا تغيرت درجة الحرارة على سطح الارض خلال السنة بمعدل : (٥٠°) لانعدمت الحياة كلها وهلك الناس اما من شدة الحرارة أو من شدة البرودة .

ان الأرض تسير في مدارها حول الشمس بسرعة ١٨ ميلاً في الثانية . فلو كانت هذه السرعة ٦ أميال في الثانية أو ٤٠ ميلا في الثانية ، لكان بعدنا أو قربنا من الشمس مقداراً يستحيل معه الحياة على وجه الارض .

ومعلوم ان ميلان محور الارض عن دائرة الخسوف : ٢٣°٢٧′ يؤدي الى حدوث الفصول الاربعة . فلو لم يكن محور الارض مائلاً هذا الميلان لبقي القطبان في الشمال والجنوب في ضياء ضئيل كضياء الشفق بصورة دائمة ولكانت ابخرة مياه المحيطات متوجهة من الشمال الى الجنوب وأدت الى

ايجاد قارات من الثلج ، وكانت هذه القارات الثلجية تؤثر على القطبين وتؤدي الى تحطيمها وتحطيم القشرة الأرضية وجفاف المحيطات الى ما هنالك من حوادث جمة تعدم الحياة على وجه البسيطة .

فلو كانت الأرض بقدر القمر وكان قطرها ربع ما عليه الآن لما كانت قوة الجذب عليها (أي سطح الارض) تكفي لجذب المياه والهواء ، ولما استقر الماء على سطحها ، لأن قوة الجذب تكون اذ ذاك سدس قوة جاذبية الارض اليوم . ولارتفعت درجة الحرارة الى حد يؤدي الى ابادة الحياة عليها .

ولو كان قطر الأرض ضعف ما عليه الآن لكان سطح الأرض أربعة أمثال ما عليه الآن . ذلك لأن سطح الكرة = ٤ ط نق٢ ، وهو يتناسب طرديا مع مربع نصف القطر . ونتيجة لذلك ، كانت قوة الجذب ضعف قوة جذب الارض الحالية ، ولقل ارتفاع الجو الى حد مخطر ولارتفع الضغط الجوي من كيلوغرام واحد على كل سانتيمتر مربع الى كيلوغرامين ولاشكلت الحياة على وجه الأرض .

ولو كانت الارض من حيث الكبر بقدر الشمس ، لأمست قوة الجذب عليها (١٥٠) مرة أكثر مما عليه الآن حسب قانون (نيوتن) :

$$\text{ق} = \text{ى} \times \frac{\text{ك ك}'}{\text{م}^2}$$

ولنقص ارتفاع الجو حوالي ١٠ كيلو مترات ولما أمكن تبخر المياه ولكان الضغط الجوي على كل سانتيمتر مربع = ١٥٠ كيلوغراما ، أي لكان وزن حيوان يزن الآن كيلوغراما واحدا = ١٥٠ كيلو غراما ، ولكان طول الانسان بطول السنجاب في الوقت الحاضر ولاستحالت الحياة العقلية لمثل هـذه الموجودات .

نعم ، ان تنظيم الاحوال الطبيعية يتم على نظام عددي متقن من جانب

الله تعالى ، والانظمة الكونية مبنية على حسابات رياضية دقيقة ، لا يبقى معها مجال لاحتمال تأثير الصدفة في تنظيم هذا الكون كما ثبت في حساب الاحتمالات من مواضيع الرياضيات العالية .

وقد وجد (ماندليف) منذ مائة سنة قانونا في ترتب العناصر ، وذلك ان العناصر الكيميائية كالايدروجين والحديد والراديوم ... الخ) قد رتبها الله تعالى تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً . وان العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة وتكون لها خواص متشابهة . ولذلك تمكن العلماء بفضل هذا الترتيب أن يتنبأوا بوجود عناصر لم يكن قد علم بها قبلاً . حتى ان العلم الحديث قد تنبأ بفضل هذا الترتيب بخواص هذه العناصر المجهولة وجاءت صفاتها مطابقة تماما للصفات التي توقعوها مستفيدين من القانون الذي وجدوه .

فالعلوم جميعها تبرهن على ان المقادير متحكمة في الكون من جانب الله تعالى ، وان هذه العلوم يرتبط بعضها ببعض في تفسير هذه الآية : « وكل شيء عنده بمقدار » . فأمواج الراديو التي وضعها (مكسويل) في معادلات رياضية واثبت (هرتز) وجودها وانتفع بها (لودج وبرانلي وماركوني) في المخاطبات اللاسلكية تعين علماء الفلك اليوم على دراسة أجرام فلكية ، لا نستطيع أن ننفذ اليها بمرقب أو بمصورة ضوئية .

والنظائر المشعة التي كشفت في الكيمياء والفيزياء اولا ، تعيننا اليوم على فهم التركيب الضوئي ومحاكاته وقد تعيننا غداً على التحكم بأفعال الوراثة في النبات والحيوان .

فليس في وسع العلماء أن ينفذوا الى فهم أسرار الكون والحياة دون دراسة الذرات والنجوم . فجميعهم يطوفون على أجنحة فكر يجنحه الشوق والخيال وتضبطه مقتضيات المنهج العلمي . وكل ما وجدوه وسيجدونه في

المستقبل من معادلات ودساتير تفسر هذه الآية الكريمة « وان من شيء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدر معلوم . [١] وتفسير لقوله تعالى : « قد جعل الله لكل شيء قدراً » [٢] ، وقوله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » [٣] . وقوله : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » [٤] . وقوله تعالى : « والذي قدر فهدى » [٥] . وقوله جل من قائل : « وانزلنا من السماء ماءاً بقدر ، فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون » [٦] ، وقوله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر » [٧] .

---

(٣) سورة الاحزاب : ٣٨ .
(٤) سورة الفرقان : ٢٠ .
(٥) سورة الاعلى : ٣ .
(٦) سورة المؤمنون : ١٨ .
(٧) سورة القمر : ٤٩ .

من حقائق القرآن :

فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم [1]

ان الله تعالى يُقسم بمواقع النجوم ، لما لهذه المواقع من حيث التوازن والجاذبية المتعادلة من أهمية كبرى • ويعدُّ هذا القسم لما هنالك من خطورة قسماً عظيماً •

حقاً ، لو تغيرت مواقع النجوم عما عليه الآن اختل التوازن وانعدمت الحياة على وجه الأرض •

فلو كان بُعد الارض عن الشمس ضعف ما عليه الآن ، لنقصت الحرارة التي تأتينا من الشمس الى (ربع) ما عليه الآن ، ذلك لأن شدة الحرارة على سطح ما تتناسب عكسيا مع مربع المسافة من مصدر الحرارة •

كذلك لو بعدت الأرض عن الشمس ضعف البعد الحالي لقلّت سرعة حركة الارض الى النصف ، ذلك لأن محيط الدائرة يتناسب تناسباً طردياً مع نصف القطر •

م = ٢ نق ط

ولطال فصل الشتاء الى ضعف ما عليه الآن ولانجمد نتيجةً لذلك جميع ما على الارض من كائنات حية ، ولاستحالت الحياة عليها •

ولو كان بُعد الارض عن الشمس نصف ما عليه الآن لأصبحت حرارة الارض أربعة أمثال ما عليه الآن بنفس السبب ولتضاعفت سرعة الحركة ولنقص طول مدة كل فصل من الفصول الاربعة : (الربيع والصيف

---

(١) سورة الواقعة : ٧٥ — ٧٦ .

والخريف والشتاء) الى النصف [٢] ولتبخر ما على الأرض من مياه ولما أمكن السكنى عليها من شدة الحرارة .

فقانون الجذب العام يحكم العالم بأمر من الله تعالى ، ذلك القانون الذي اكتشفه : (اسحاق نيوتون) :

$$ق = ى \frac{ك}{م^{٢}}$$

ى = النسبة الثابتة ومقدارها : $\frac{١}{١٥ \ldots \ldots \ldots}$ من ثقل الغرام أي :

$$ى = ٦٫٦٧ \times ١٠^{-٨}$$ من ثقل الغرام $= \frac{١}{١٥ \ldots \ldots \ldots}$ من الداين (dyne)

وان الله تعالى يشير الى هذه القوة الجاذبية الهائلة بقوله جل من قائل : « إن الله يُمسك السماوات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليماً غفوراً » [١] . وبقوله عز وجل : « ألم تَرَ أن الله سخَّر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم » [٢] .

وبقوله : « الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخَّر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى ، يدبِّر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » [٣] .

---

(٢) ذلك لان حاصل ضرب السرعة الزاويوية فى المسافة عن المركز مقدار ثابت : لا × نق = ث

(١) سورة فاطر : ٤١ .

(٢) سورة الحج : ٦٥ .

(٣) سورة الرعد : ٢ .

فان الكواكب تسير في مداراتها وتتباعد بعضها عن بعض بمسافات معينة حسب قواعد الجاذبية وهي مسخرة في حركاتها وجذبها وانجذابها بأمره تعالى حسب قانون الجذب العام ، وتجري في مداراتها ومنحنياتها التي هي على الأكثر اهليليجية : (القطع الناقص) الى يوم البعث حيث « تبدل الارض غير الارض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار » (سورة ابراهيم عليه السلام : ٤٨) ، حيث ينال المجرم جزاءه بقوله : « وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الاصفاد (٤) . سرابيلهم (٥) من قطران (٦) وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ، ان الله سريع الحساب ، هـذا بلاغ للناس وليُنذروا وليعلموا ، انما هو إله واحد وليذكر اولوا الالباب » (٧) .

وقد أكد تعالى وجود هذه الجاذبية التي لا ترى بالعين وهي كالعمَد في قوله : « خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبثّ فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماءاً ، فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » . (سورة لقمان : ١٠) .

فالكواكب والأنجم تسبح في الفضاء في مداراتها وكذلك الشمس والقمر بقوله تعالى :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل في فلك يسبحون » (سورة الأنبياء : ٣٣) .

وبقوله : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . (سورة يس : ٤٠) .

فاذا اعتبرنا السماء اسماً لما علانا أو ارتفع فوق رؤوسنا ، فانه يعني

---

(٤) الاصفاد : القيود والاغلال .
(٥) جمع سربال : القميص أو كل ما يلبس .
(٦) قطران : سيال دهني يؤخذ من بعض الاشجار كالصنوبر .
(٧) سورة ابراهيم (ع) : ٤٩ — ٥٢ .

ولا شك : هذا الكون بأسره الذي من حولنا ، يبدأ بجوّ الارض ، فسائر الكواكب ومن بعدها الشمس ، النجوم الضاربة في أعماق الفضاء في مجرّتنا [١] وما يليها من مجرات ، وتجري كل هذه الاجرام السماوية في مساراتها أو تدور في مداراتها ، هذه هي السماء وقد بناها الله ورفعها وجعل كل جرم فيها بمنزلة لبنة من بناء شامخ ورفع هذه الأجرام كلها بعضها فوق بعض بقوى من نوع القوة الطاردة المركزية ، كما ربطها في نفس الوقت برباط الجاذبية العالمية ، والجاذبية والقوى الطاردة المركزية الناجمة عن الدوران في مسارات شبه دائرية او قطاعات ناقصة هما بمثابة الاعمدة القائمة فعلاً .

***

واستناداً على هذا القانون تمكنوا من كشف كوكبين هما ، نپتون ، وپلوتو ، يدوران حول الشمس بعد (أورانوس) .

فقد اكتشف ليڤرييه (Leverier) استناداً الى القانون المذكور وقوانين الحركة الكوكب المسمى بـ (نپتون Neptune) وعين موضعه قبل أن يراه ، فحرر الراصدون تلسكوپاتهم الى هذا الموضع المزعوم فرأوه رأي العين بعد أن كان (ليڤرييه) رآه رأي الفكر ورأي العلم والحساب .

ثم رأى الفلكيون أن هناك أيضا اختلافا يسيراً في مدار الكوكب (أورانوس) . زعموا من أجله أن كوكباً أبعد من (نپتون) ما زال مختبئاً في السماء ، فاكتشفوه وأسموه (پلوتو) سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وهكذا يتنبأ العلم والدساتير والمعادلات عن أشياء لا ترى بالعين ، فتكشف ، لتبرهن

---

(١) المجرة : على سطح السماء نطاق عريض منير يمتد من فوقنا وينتهي بالافق من طرفيه ، انها ملايين النجوم بعضها جنب بعض وبينهما مسافات شاسعة ان هذا القوس العظيم فوق رؤوسنا ليس الا جزءاً من (المجرة) التي تطوق السماء كالحلقة وكأنها نهر من لبن .

مرة اخرى على ان ما أودع الله من نظام رياضي رصين في سير الكواكب والانجم ومداراتها وحركاتها قد بلغت من الدقة والضبط ما يدهش الألباب .

***

ثم ان بعد القمر عن الأرض ٠٠٠ ٢٤٠ ميل والقمر هو العامل الأهم لحدوث الجزر والمد على سطح الكرة الأرضية في كل يوم مرتين . وان ارتفاع المدّ في بعض النقاط على الارض يبلغ ٦٠ قدماً ، حتى أن القشرة الأرضية لتنجذب نتيجة جذب القمر لها عدة اينجات ، ونحن لا نشعر بحدوث هذا الانجذاب من قبل القمر للقشرة الأرضية ولمياه البحار والأنهار .. يحدث كل ذلك بنظام وهدوء .

ولو كان بعد القمر عنا ٦٠٠٠ ميل فحسب عوضاً عن ٠٠٠ ٢٤٠ ميل لبلغ ارتفاع المدّ والجزر للبحار بمقدار يؤدي معه الى انغمار جميع السهول والوديان تحت المياه نتيجة هذا المد الشديد . ولكان ضغط الماء في كل مرة شديداً جداً الى درجة يؤدي الى ابادة الجبال وما كان لأية قارة من القارات أن تبرز من تحت المياه ليسكن عليها البشر . ذلك لأن عمق الماء ، اذ ذاك ، كان يبلغ ميلاً ونصف ميل ، فما كان عند ذلك لأي انسان أن يبقى حياً . وان الحيوانات البحرية أيضا كانت تتغذى بعضها بالبعض الآخر وتفنى عن بكرة أبيها وينقرض نسلها .

فعلم من كل ذلك ، ان لموقع القمر ومقدار بعده عن الارض أهميةً عظمى لادامة الحياة على وجه الأرض .. وهكذا يتحقق قوله تعالى (وهو الواقع الحقيقي الذي لأريب فيه) ان مواقع النجوم ومنها القمر من الأهمية بحيث لولاها لاختل نظام الكون الرحيب .

وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون [١]

لولا أن الله تعالى قد أحاط أرضنا بغلاف غازيّ ثخنه ٨٠٠ كيلو متر لحفظها مما تتوجه نحوها من أحجار سماوية : (٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠) حجارة في كل ثانية بسرعة ٥٠ كيلو متراً في الثانية ، لما عاش على سطحها كائن حي ولاستحالت الحياة على وجه البسيطة [٢] .

على أن لهذا الغلاف الغازي او الدرع الحصينة أثراً هاما في ايصال حرارة الشمس الى الارض بدرجة من الاعتدال والتناسب كي يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات والانسان ، وكذلك لهذا الغلاف أثر هام في نقل للمياه وبخار الماء من المحيطات (البحر المحيط) الى القارات فلولا وجود هذا الغلاف الجوي لتحولت القارات كلها الى أراضٍ قاحلة .

ومن المعلوم أن أجرام السماء متنوعة الحجوم والصفات ، منها الشموس والنجوم والكواكب ، كما ان منها الشهب والنيازك . وكلها تجري في مساراتها في اتزان مع بعضها البعض وقد شُدت برباط الجاذبية . حسب دستور اكتشفه نيوتن ، وعدّله أينشتاين .

وقد يختل هذا التوازن أحياناً لسبب من الأسباب ، أو قد تدخل الارض في مجرى من مجاري الشهب في الفضاء وهي تسبح من حول الشمس ، وقد تصل سرعة حركة بعضها في الفضاء ٤٥ ميلاً في الثانية الواحدة تقريباً . ولهذا

---

(١) سورة الانبياء : ٣٢ .

(٢) وقد دلت دراسة المعلومات التي ترسلها الاقمار والصواريخ على أن حوالي عشرة آلاف طن من مواد الشهب والنيازك تتساقط نحو الارض كل يوم .

يقدّر بأن شهاباً واحداً وزنه جزء" من الف جزء من الغرام الواحد عند ما يسبح بمثل هذه السرعة يكون مدفوعاً بقوة تضاهي تلك القوة التي تصحب رصاص البنادق • ورغم أن حجم مثل هذا الشهاب قد لا يزيد على حجم حبة من الرمال فإن خطر المباشر اذا ما أصـاب جسم الانسان لا يقل عن خطر الاصـابة بقذيفة نارية •

وتهوي آلاف الملايين ، كما قلنا ، من مثل هذه الشهب بلا هوادة الى جو الأرض العلوي" كل يوم عندما تخترق الارض مساراتها ، الا انها سرعان ما تتبخر أو تحترق • ويتم ذلك على أبعاد تصل من ٨٠ الى ١٠٠ كيلو متر من سطح الأرض • وذلك بسبب الحرارات العالية التي تتولد اثر احتكاكها بالغلاف الجوي العلوي •

فمن المعروف أن الاحتكاك السريع يولّد الحرارات العالية ، وهذه بدورها تعمل على تبخير واشعال الشهب ، ولهذا لا تصل هذه الأجرام السماوية الى سطح الارض ، ويحمينا الغلاف الجوي من أخطارها ، وهذا أيضا ما يحدث للنيازك ، الا انها كثيراً ما تصل الى سطح الأرض بسبب حجومها الكبيرة • ومن أشهر النيازك التي وصلت الى سطح الأرض نيزك سيبيريا العظيم الذي سقط عام ١٩٠٨ وهز سطح الأرض وجوها ، وسبب تلفاً عظيماً في دائرة زاد قطرها على ٤٠ من الكيلومترات •

ونيزك آخر هو نيزك (الأريزونا) بأمريكا ، وقد أحدث هوة عميقة في سطح الأرض زاد قطرها على ميل وربا عمقها على ٢٠٠ متر • وقد نجم عن تصادم ذلك النيزك بسطح الارض ان انفجر النيزك وتطايرت أجزاؤه المختلفة في صورة شهب تناثرت من حول الحافة على مساحة واسعة جداً •

وبطبيعة الحال تكون النيازك والشهب مصدراً من أكبر مصادر الأخطار والأهواء على المسافر عبر الفضاء الكوني خارج نطاق جو الارض • وما حديث

الشهب التي تتعقب الشياطين عندما تحاول الصعود في السماء بجديد • ويقص لنا القرآن في سورة الجن وينقل لنا من أنباء عالم الغيب هذه الآية :

« وإنا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلئَت حرساً شديداً وشهباً ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » •

***

انه تعالى يقول : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض ، فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطانٍ ، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ، يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ، فلا تنتصران » (١) •

تكشف لنا هذه الآية الكريمة الشيء الكثير عن أسرار الفضاء ، وتنبئنا أن الفراغ الكوني (الفضاء الكوني) ليس فراغاً بالمعنى المعروف •• وقد ثبت علمياً انه تنتشر فيه الكثير من الجسيمات المشحونة ونوى العناصر والكهارب التي لا تستقيم معها الحياة بحال • ولم يعرف البشر هذه الحقائق عن الفراغ الكوني الا في عصر الفضاء عندما أطلق أقماره الصناعية وكواكبه الصناعية لتسبح في أعماق فراغ الكون • وظهر أن هنالك من حول الارض أحزمة برمّتها هي مجموعات عظيمة من الكهارب المحتجزة في الفراغ بفعل مجال الأرض المغناطيسي • وهي أقرب شيء ما شواظ النار (٢) • اذ انها تنطلق من الشمس وكأنها لفظتها لهبها المستعرة • ولا يمكن لأي كائن حي أن يتعرض لهذه الأحزمة أو يخترقها دون وقاية تامة ، ولا يعرف حتى الآن مدى هذه الوقاية ومدى النجاح المقدر لها • ويُطلق العلماء على أغلب مكونات هذه الأحزمة الفراغية اسم : (الأشعة الكونية) ، ولعل ذلك ، لأن جانباً منها يُقبل من أعماق الكون ، ومرةً أخرى يحول غلاف الأرض الجوي بأمره تعالى دون وصولها الينا •

---

(١) سورة الرحمن : ٣٢ — ٣٥ .

(٢) الشواظ : لهب لا دخان فيه . واللهب : لسان النار .

***

ان الله قادر على أن يهلك هذا الانسان، لولا رحمته ، التي وسعت كل شيء بذنوبه التي لا تعد ولا تحصى في طرفة عين ، لو رفع وسائل وقاية الانسان عن الأخطار المتوجهة اليه من السماء ، فلا ينبغي أن يركبه الغرور فيفسد في الارض « والله لا يحب الفساد » . (سورة البقرة : ٢٠٥) ، وعليه ان لا يأمن مكر الله تعالى « فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » (١) . أم أمنتم مَن في السماء أن يرسل عليكم حاصباً ، فستعلمون كيف نذير » (٢) .

فهذه المصابيح هي الشهب التي تنقضّ في سماء الأرض بلا هوادة ومن كل اتجاه وتكون أكبر اخطار السفر عَبر الفضاء الكوني . انه تعالى يقول : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ، وأعتدنا لهم عذاب السعير » (٣) .

ثم انه تعالى يشير في الآية الآتية الى فعل الزلازل المدمرة وما قد ينجم عنها من اختفاء معالم بعض أجزاء سطح الأرض : « أأمنتم مَن في السماء أن يخسف بكم الارض ، فاذا هي تمور » (٤) .

فما على هذا الانسان الا أن يزداد خشوعاً لله تبارك وتعالى وخشيةً ، في حركاته وسكناته ، ثم يرجو رحمة ربه ، فـ « ان رحمة الله قريب من المحسنين » (٥) .

فليس الانسان كل شيء في هذا الكون التي لا تتناهى جوانبه ، انما

---

(١) سورة الاعراف : ٩٩ .
(٢) سورة الملك : ١٧ . حاصبا : الريح الشديدة تحمل الحصباء .
(٣) سورة الملك : ٢٥ . الرجم : ما يرجم به ، جمعه : رجوم .
(٤) سورة الملك : ١٦ .
تمور : مار البحر ، يمور : ماج واضطرب ، تحرك كثيرا وبسرعة من جهة الى اخرى .
(٥) سورة الاعراف : ٥٥ .

جيء به الى هذه الدنيا الفانية ليتكامل في هذه الحقبة من الزمن ، في مدة لا تتجاوز ، على الاكثر ١٠٠ سنة ، المتقبلة أحوالها . « الدنيا ساعة ، فلا تجعلها الا طاعة » كما جاء في متن حديث ، و « الدنيا مزرعة الآخرة » كما جاء في حديث آخر . وما قيمة مائة سنة من العمر تجاه الزمان الذي يمتد بأمر الله تعالى الى ما لا حدّ له . فنسبة ١٠٠ الى اللانهاية صفر : $\frac{١٠٠}{\infty} = ٠$. انه تعالى يقول :

« مَن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » (١) .

فطوبى لنفوس توجهت الى الحق المتعال ، بخشوعها وخضوعها ، سجودها وركوعها ، ومثولها بين يدي الله العلي الكبير ، جوف الليل ، حيث لا يراه أحد الا الله تعالى ، فذابت ببكائها واعترافها بذنوبها وانغمارها في حب الله حتى بلغت مرتبة اليقين .

ما أعظم هذه المرتبة ، حقاً ، انها غاية الغايات ، انها لتعادل آلاف الشهادات من (دكتوراه) وغيرها ، وما فائدة شهادة الدكتوراه ان كان حاملها لم يخط في عوالم تكامل النفس أي في تكميل نفسه ، وهي أعز الأنفس اليه ، خطوةً واحدة .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (٢) .

وعن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس . قال : سألت أبا

---

(١) سورة الشورى : ٢٠ .
(٢) سورة الحج : ١ — ٢ .

الحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام . فقال : أبو جعفر : انما هو الاسلام والايمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسّم بين الناس شيء أقل من اليقين . قال : قلت ، فأي شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض الى الله . قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبو جعفر (ع) .

وان باب التقوى هو التوبة عن الذنوب ذنوب أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ولنتعلم حقيقة التوبة من مولانا وامامنا سيد الساجدين الامام الرابع علي بن الحسين عليه الصلاة والسلام . انه يقول :

« اللهم اني أتوب اليك من كبائر ذنوبي وصغائرها ، وبواطن سيئاتي وظواهرها ، وسوالف زلاتي وحوادثها ، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية ، ولا يضمر أن يعود في خطيئة ، ولك ، يا رب شرطي أن لا أعود في مكروهك ، وضماني أن لا أرجع في مذمومك ، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك » .

اسمعوا الى كلام السجاد عليه السلام كيف يعظم الذنب الصغير تجاه العلي الكبير . كل ذلك لينبه من خالف أوامر الله من سباته ، فيبادر الى التوبة بانكسار لا مزيد عليه وندم عميق وحزن شديد .

انه عليه السلام يقول :

« يا إلهي لو بكيت اليك حتى تسقط أشفار عيني ، وانتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك ، حتى تنتشر قدماي ، وركعت لك حتى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي ، وأكلت تراب الارض طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ، ثم لم أرفع طرفي الى آفاق السماء استحياءً منك ، ما استوجبتُ بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي وان كنتُ تغفر لي حين استوجبت مغفرتك ، وتعفو عني حين استحق عفوك ، فان ذلك غير واجب لي ، ولا أنا أهل له باستيجاب » .

اذا كان إمامنا المعصوم يخاطب ربه بهذا الخطاب ، فكيف بنا وقد مُلئنا معاصي وآثاماً ، ألا يجدر بنا أن نخاف الله من شديد عذابه وأليم عقابه وأن نعمل مجاهدين في أيام الفرصة : في هذه الايام القليلة لئلا نكون من « الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين . لهم من فوقهم ظُلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوّف الله به عباده ، يا عبادِ فاتقون » [1] .

---

(١) سورة الزمر : ١٥ — ١٦ .
ظلل : اطباق من النار .

من حقائق القرآن :

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (١)

ان هذه الآية تبيّن لنا في إعجاز علمي رائع كيف أن النجوم ــ دون الكواكب السيارة التي هي في منظومتنا الشمسية ــ يمكن أن تستخدم في تعيين الاتجاهات على كرتنا الارضية وكيف يمكن أن يهتدي بها روّاد الصحارى والبحار .

لقد عرف القدماء من الفراعنة والاغريق والعرب وغيرهم الكثير عن النجوم وتجمعاتها . وأطلقوا على بعض النجوم كما تبدو في كبد السماء اسماء مختلفة المصدر مثل : السماك الرامح ، و ، السماك الأعزل ، و ، الشعرى اليمانية .

كما أطلقوا على تجمعاتها أسماء اخرى مثل : مجموعة الدب الأكبر ، ومجموعة العقرب ، ومجموعة المرأة المسلسلة ومجموعة الجاثي على ركبتيه ، ومجموعة الحمل ومجموعة الاسد . الخ وعددها ٩٠ مجموعة هي البروج .

ويبدو لنا ان هذه النجوم تتحرك عبر السماء من الشرق الى الغرب بسبب دوران الارض حول محورها من الغرب الى الشرق مرة كل يوم . فيشرق بعضها من جميع اتجاهات الأفق الشرقي ، ثم ترتفع في السماء حتى تصل أقصى درجات ارتفاع لها لحظة عبورها خط الزوال . ثم تبدأ بالانخفاض حتى تصل الى الأفق الغربي وتختفي وراءه . وهناك نجوم تتحرك دون أن تشرق أو تغرب ، ولكنها ترسم في مساراتها اليومية دوائر مركزها النجم

(١) سورة الانعام : ٩٧ .

القطبي الذي هو في اتجاه الشمال على امتداد محور دوران الأرض ، يستخدمه الملاحون ورواد الصحارى في تعيين الشمال .

وقد اوضح الله تعالى الاهتداء بالنجوم في آية اخرى بقوله :

« وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . (سورة النحل : ١٦) .

ثم ان الله تعالى لا يريد منا أن نهتدي في أسفارنا بالنجوم فحسب ، بل يريد منا ما هو أهم من كل ذلك ، ما يجعل هذه النفوس تعرج في عوالم القدس وتقترب من الساحة القدسية الإلهية بتسبيحها ، خشوعها وخنوعها ، وذلك بقوله جل من قائل : « ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم » [١] . وهو تسبيح الله تعالى بعد منتصف الليل أو بين الطلوعين . كان يقول سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام في مناجاته : « إلهي ، غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مفتحات للسائلين » .

وقد جاء في الحديث : تتجلى العبادة في خمسة أشياء : (١) خلاء البطن (٢) تلاوة القرآن ، (٣) صلاة الليل ، (٤) التضرع عند الصباح ، [٥] البكاء من خشية الله تعالى .

***

انظروا كيف يصف الله تعالى في الآية المباركة الآتية في دقة عملية وملاءمة لفظية عواصف البحر وأنواءه مما لم يشاهده الرسول (ص) ولم يعرف عن حقيقته شيئاً لولا تعليم الله تعالى اياه :

« أو كظلمات في بحر لجيٍّ [٢] يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل

---

(١) سورة الطور : ٤٩ . والاية المتقدمة نذكرها لعظيم فائدتها وهي : « واصبر لحكم ربك ، فانك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم » . (سورة الطور : ٤٨) .

(٢) لجي : عميق .

الله له نوراً فما له من نور » • (سورة النور : ٤٠) •

وان هذه الآية كانت سبباً لاسلام ملاح غربيٍّ ، ذلك ، انه كان يقود سفينة في الجنوب الشرقي من آسيا ، واذا بعاصفة عظيمة تغيِّر حالة الجو فتتعالى الامواج بعضها فوق بعض ومن فوقها سحاب ، ويسود ظلام وأي ظلام ، بل ظلمات بعضها فوق بعض لا يكاد المرء اذا أخرج يده يراها •

يحار الملاح في أمر السفينة ، ماذا يصنع ؟ وكيف ينجو ؟ فصار يجول في السفينة ، يصعد وينزل ، واذا به يرى رجلاً پاكستانيا قد انكب على كتاب يتلوه ، فسأله قائلاً ، وما الذي تقرأ ؟

قال : انه كتاب الله ، انه القرآن ، فقال : ترجم لي الآية التي تقرأها ، فكانت الآية المتقدمة : « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج ••• » •

فتحيَّر الرجل عندما رأى ان ما جاء في القرآن الكريم وصف رائع لما فيه الآن من حالة عصيبة ، وصف لا يقوى عليه الا من جاب البحار وشاهد حالة العواصف الشديدة المظلمة ، وقال : إن محمداً لم يكن قد خرج من الجزيرة العربية الى مثل هذه البحار ولم يشاهد هذه الحالات الغريبة الاستثنائية ، إذن ، « ان هو الا وحي يوحى ، علَّمه شديد القوى » • فآمن من ساعته • وأصبح منوَّراً بنور الاسلام الوهاج ، وتحقق قوله تعالى : « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » •

***

ان الله تعالى يذكر في آيات جمة أن الجبال أوتاد لهذه الأرض عن الميدان والميلان • وان الارض مِهاد • وذلك بقوله :

« ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » ومعلوم أن الارض كالمهاد أو الفراش لهذا الانسان فهي موطن البشر ومأواهم في الحياة الدنيا • وأما تشبيه الجبال بالأوتاد التي تحفظ توازن الخيمة عندما تشد اليها فهو تشبيه

علمي معجز لا يصل الى كنهه وسره الا الراسخون في علم طبقات الارض . وقد علم أخيراً بعد تقدم (الجيولوجيا Géologie) أي علم طبقات الارض انه لولا الجبال لكانت قشرة الارض الصلبة في جملتها دائبة الاضطراب بسبب دوام اختلال التوازن القائم بين جوف الارض المنصهر وما يعاني من ضغوط عالية وقشرتها الصلبة وما تتعرض له من عوامل التعرية . وأهم عوامل التعرية هي الأمطار والسيول والانهار والرياح واختلافات الحرارة ما بين الليل والنهار والشتاء والصيف وكلها تفتت القشرة الصلبة .

ان قشرة الارض الصلبة هي ميزان دقيق حساس الا أنه ميزان من النوع المركب . فكل مكان من القشرة هو بمثابة كفة متوازنة تماماً مع أي مكان مجاور . والميزان الدقيق تكون كلتا كفتيه متوازيتين تماما . وهما يظلان كذلك ما دامت الاثقال التي توضع على احداهما مساوية للتي توضع على الاخرى . فاذا ما تغير الثقل على احدى الكفتين لسبب من الاسباب اضطربت هذه الكفة وتأثرت الكفة المقابلة لها حتماً . ويظل هذا الاضطراب قائما حتى تتساوى الاثقال مرة اخرى ويعود التوازن الى حالته الاولى . وجميع اجزاء القشرة الارضية متزنة تماما مع ما يجاورها من أجزاء لحفظ هذا التوازن تحمل أجزاء منها اعلى الجبال ، بينما تكون الاجزاء المتجاورة قيعانا . فالجبال انما تثبت مجرد حفظ هـذا التوازن كما تشير الى ذلك قوله تعالى :

« والجبال أرساها » (١) .

« وهو الذي مَد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً » (٢) « والارض مددناها وألقينا فيها رواسي » (٣) « وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم

---

(١) سورة النازعات :
(٢) سورة الرعد :
(٣) سورة الحجر :

وأنهاراً » [٤] « وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم » [٥] .

الا أن المشاهد أنه : لا الحالة الداخلية لباطن الارض ولا الظروف الخارجية التي تتعرض لها الجبال والهضاب تترك هذا الميزان في حالة هدوء واستقرار . فباطن الارض المنصهر تجتاحه تيارات تؤدي الى التواء القشرة الصلبة مهما كانت هذه التيارات بطيئة ، وتجري المياه الى المنخفضات التي تتكون بالتواء القشرة . وهي التي نسميها البحار . وبمرور الزمن تصير قيعان هذه البحار مأوى لأحمال ثقيلة كثيفة جداً من الرسوبيات التي تأتي بها عوامل التعرية من المناطق المرتفعة في القشرة كالجبال والهضاب وترسب بقايا الكائنات البحرية ، وكلما ثقلت هذه الاحمال هبطت تحت ثقلها قيعان البحار . وتظل هذه الرسوبيات تتراكم حتى تكون جذوراً لجبال مستقلة نتيجة للضغط الشديد الذي يقع على حافتي الجزء الهابط من القشرة عليها ، فتلتوي القشرة وتنثني وترتفع رويداً رويداً لحفظ التوازن .

هذه القصة تصور لنا باختصار الثورات الجيولوجية أو حركات بناء الجبال . ولما قامت أول ثورة جيولوجية نتيجة للاضطرابات التي اجتاحت باطن الارض في أول أمرها ، جاء رد الفعل في القشرة الارضية بظهور القارات وما رسا على سطحها من الجبال الاولى . ثم اختل التوازن تحت تأثير عوامل التعرية التي تنحت الجبال وتفتتها وتحمل انقاضها لترسبها في أعماق البحار والمحيطات ، وعند ذلك ، بدأت القشرة الارضية تستعيد توازنها المختل ، وعلا سطح المحيط تدريجياً حتى فاض الماء وظهرت بحار جديدة على أطراف القارات تركت آثارها بما أعطت من رواسب نراها اليوم .

وهكذا نجد الجبال هي من الوجهة العلمية بمثابة الاثقال التي تحفظ توازن القشرة الارضية وتبقى على ثبوتها وعدم انهيارها خلال أحقاب طويلة

---

(٣) سورة النحل : (٥) سورة الانبياء :

يظل خلالها التوازن قائماً رغم ما يعانيه باطن الارض من ضغوط عالية وما يجتاحه من تيارات حَمل بطيئة ، وهذا المعنى الرائع هو عين ما أشارت اليه الآيات المتقدمة والآيات الآتية :

« وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءاً فراتاً .. (سورة المرسلات) .

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي » .. (سورة : ق) .

« وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها » . (سورة حم ــ سجدة) .

« والقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كل دابة » . (سورة لقمان ..)

« أمّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي » .. (سورة النمل) .

***

لم يدوّن الله تعالى الآيات الكونية المتقدمة وغيرها التي تربو على (٧٥٠) آية في كتابه المجيد لتعليمنا علمَ طبقات الارض أو الفلك أو غيرهما من العلوم . ذلك لأن ما أودع الله تعالى من قوانين وخواص في حقل طبقات الارض أو في حقل علم الفلك وغيرهما من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها أو عدها . « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مَدداً » [1] . ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » [2] .

وانما أراد ابداء عظمته وجليل قدرته كي يعتبر الانسان ويعلم أن الابداع لا يأتي جزافاً ولا يتكوّن بصدفة في مراحل لا تعد ولا تحصى ،

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

أراد أن يفهم العالَم أن الدين الصحيح الذي لا شائبة فيه ، الدين الذي لم تمسه يد البشر المحرّفة هو ذلك الدين الذي يقوم على أساس تعاون وثيق وانسجام كامل بين النظرة العلمية أو الفكرية التي يُستعان بها في كشف حقائق الكون بالحس والتجربة والاستقراء والاستنتاج والنظرية الدينية التي تربط الكون والانسان بالإله الخالق المبدع . فتتولد من جهة علوم وضعية نظرية وعملية وتجريبية ، وتتطور وتتقدم وتتآخى في الوقت نفسه مع الروح الدينية الصافية التي تستشعر وجود الخالق وعظمته وتحاول الرقي الخلقي والروحي منسجمة ومتآلفة مع الروح العلمية والتقدم الفكري .

هذه ظاهرة واضحة في الحضارة الاسلامية ، بخلاف ما كان في القرون الوسطى في أوروبا من اضطهاد واعدام العلماء الكونيين . فقد حررت النظرة الاسلامية الفكر العلمي من الشوائب المعوّقة باسم الدين وصفت الروح الديني وارتقت بها وأكملت بها الرقي المادي .

هذه الظاهرة هي التي دعا اليها القرآن بقوله : « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » [1] . انها نظرة جديدة الى الكون والانسان والحياة حيث لا تنافي ولا منافاة بين العلم المادي والتوجه نحو الخالق المتعال . وقد قال علي عليه السلام : « بالعلم يُعرف الله ويوحد » .

انها ظاهرة واضحة كل الوضوح في الحضارة الاسلامية منذ بدايتها . فقد كان ارتقاء العلوم المادية وارتقاء العلوم المعنوية يسيران في اتجاه واحد في هذه الحضارة ، من غير أن يكون بينهما هوة فاصلة او تنافٍ أو مخالفة ، خلافا للحضارات السابقة واللاحقة .

فيجدر بالعالم أجمع أن يتخذ الدين الاسلامي ديناً عالميا لينعم به البشر في دنياه ويسعد في الآخرة . ويترك ما أملته اليد البشرية من خرافات لا يسندها العقل والعلم .

---

(١) سورة يونس : ١٠١ .

ـ حركة الارض في القرآن الكريم ـ

كان قد أجمع علماء اليونان قبل الميلاد على أن الارض ثابتة لا حراك لها وأن الشمس والأنجم تدور حولها ، حتى كان القرن السابع عشر الميلادي وجاء (غاليليو) بمرقبه وثبت لدى العلماء الكونيين : أن الارض تتحرك حول الشمس وأن الشمس ثابتة لا حراك لها . وحصل من جراء هذه العقيدة شجار عنيف بين الكنيسة التي كانت تقول بسكون الارض والعلماء الكونيين الذين قالوا بحركتها ، فأعدم نتيجة هذا التصادم في الرأي كثير منهم .

الا أن القرآن الكريم كان ينادي قبل ذلك بقرون : أن الارض أو الجبال التي عليها تتحرك كما يتحرك السحاب وتمر كما يمر . وذلك بقوله جل من قائل :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، انه خبير بما تفعلون » (١) .

وحركة الجبال ومرورها أو حركة الارض هذه : هي في الحقيقة حركتان : حركة في دورانها حول الشمس على شكل اهليليجي أو قطع ناقص ، وحركة اخرى أو مرور آخر مع الشمس وبقية كواكب المجموعة الشمسية بسرعة ، ٧٠ ٠٠٠ كيلو متر تقريبا في الساعة الواحدة على شكل لولبي في هذا الفضاء اللانهائي متجهة نحو النجمة المسماة بالنسر الواقع كي تبلغ مستقرها كما أخبرنا الله تعالى في محكم كتابه بقوله : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) . ويعتبر اكتشاف حركة الارض بدورانها حول

(١) سورة النمل : ٨٨ .
(٢) سورة يس : ٢٨ .

نفسها وحركتها أو دورانها حول الشمس من أروع ما اكتشفه العلم الحديث ، وقد سبق القرآن هذا الاكتشاف ما يزيد على ألف سنة تقريبا .

ولا يراد بمرور الجبال في الآية المتقدمة : « وترى الجبال تحسبها جامدة» ما يحدث يوم القيامة ، ذلك لأنه لا تبقى جبال اذا كان يوم القيامة حتى يراها الانسان في ذلك اليوم فيحسبها جامدة . وهو القائل : « ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربي نسفاً [٣] ، وبقوله : « واذا الجبال نُسفت » [٤] ، وبقوله : « وبُست الجبالُ بساً ، فكانت هباءً منبثاً » [٥] .

ويقول حجة علماء الفلك : (سيمون) بشأن حركة الارض ضمن المجموعة الشمسية : « ان من أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي : أن الشمس والكواكب السيارة التي هي في المجموعة الشمسية (مجموعتنا هذه) وأقمارها تجري في الفضاء متجهة نحو برج النسر ، بسرعة غير معهودة لنا على الأرض ، يكفي لتصورها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً ، فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر ، وهذه دون مراء احدى معجزات القرآن العلمية » .

***

ودليل آخر على حركة الارض قوله تعالى :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها » [١] .

ومعلوم أن مشارق متعددة ومغارب عديدة لا تحدث الا بحركة الارض حول محورها حتى تكون كل نقطة منها تارة مشرقاً واخرى مغرباً حسب حركة

(٣) سورة طه : ١٠٥ .
(٤) سورة المرسلات : ١٠ .
(٥) سورة الواقعة : ٥ — ٦ .
(١) سورة الاعراف : ١٣٦ .

الارض ودورانهـا بالنسبة الى الشمس التي تُرى لبعـدها ثابتـة على وجه التقريب .

ويقول الله تعالى في آية اخرى :

« ربّ السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق » [٢] .

وفي آية اخرى أيضا :

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب » [٣] . مما يدل على أن كل ما في هذا الكون من أجرام ومجرات وغيرها في حركة دائمة حول محاورها ولها مشارق ومغارب وهذا عين ما اكتشفه علم الفلك الحديث وعلم الفلك اللاسلكي بالنسبة الى الأنجم النائية في أغوار الفضاء والمجرات كذلك .

***

وان الآيتين الآتيتين تدلان دلالة واضحة على حركة الارض لئلا يبقى قسم منها في ظلام دائم والقسم الآخر في ضياء دائم .

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ، أفلا تبصرون » [١] .

وبما ان الله تعالى أخبرنا في الآية القائلة : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » [٢] ان الشمس تسير في الفضاء الى حيث تستقر وهذا لا يتلائم مع دورانها حول الارض حيث يخالف الجري الذي مآله الاستقرار في محل يعلمه الله تعالى ، اذن وجب ان نقول إن الشمس بحكم

---

(٢) سورة الصافات : ٥ .
(٣) سورة المعارج : ٤٠ .
(١) سورة القصص : ٧١ — ٧٢ ، سرمدا : اي بصورة دائمة .
(٢) سورة يس : ٢٨ .

الآية المتقدمة لا تدور حول الارض ، وبما ان خروج الارض من ظلام دائم أو خروج الأرض من ضياء دائم يتوقف على حركتها حول محورها ، إذن يعلم من الآيات المتقدمة بعد الجمع بينها أن الارض متحركة حول نفسها ، أو حول محورها .

ويقول الله جل جلاله في الآية الآتية : انه لو كان في جهة من الارض ليل" لكان في الجهة الاخرى نهار بصورة حتمية ، وهذا لا يتم الا بدوران الارض حول محورها أو بدوران الشمس حول الارض . وبما ان الله أخبرنا أن الشمس تجري في الفضاء لمستقر لها ، أي : ليس لها دوران" حول الارض إذن وجب أن نقول : إن الارض هي التي تدور حول نفسها ليتمّ الليل والنهار في كل ٢٤ ساعة .

والآية هي :

« حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغنَ بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (١) .

فقوله تعالى « أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً » يشير الى حركة الارض حول نفسها ودورانها حول محورها ، ذلك لأن الليل والنهار يكونان على الكرة الارضية في وقت واحد في موضعين مختلفين . والله تعالى لا يتردد في تعيين وقت يريد فيه إفناء الارض وابادتها : هل يكون ذلك في الليل أم في النهار ، وهو خالق كل شيء والعالم بكل شيء ، عالم بما هو كائن وبما سيكون ، إذن ، يشير قوله تعالى : «ليلا أو نهاراً» الى أن قسماً من الارض يتلقى أمر الفناء ــ من جانب الله تعالى ــ ليلا ، والقسم الآخر في نفس اللحظة يتلقى هذا الأمر نهاراً . وهذا لا يتم الا بحركة الارض أو دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار في نفس الوقت نتيجة هذا الدوران .. وقد نفينا دوران الشمس حول الارض بالآية

(١) سورة يونس : ٢٤ .

المتقدمة .

ويقول الله تبارك وتعالى : « ولا الليل سابق النهار » ومعنى ذلك : أن الليل لا يسبق النهار وكلاهما يحدثان في وقت واحد . حقاً ، عندما انفصلت الكرة الارضية بحالة نارية ملتهبة عن الشمس (٢) ، كان الطرف الذي يلي الشمس نهاراً والطرف الآخر ليلا ، وعندما بدأت تدور حول نفسها وحول الشمس أيضا بحكم الجاذبية على ما ثبت في علم (الميكانيك كان الطرف المتوجه الى الشمس نهاراً والطرف الآخر ليلاً . فالليل والنهار كلاهما يحدثان في آن واحد دون أن يسبق أحدهما الآخر . ثم اذا اضفنا الى هذه الآية قوله تعالى في سورة يس : «ولا الليل سابق النهار» ، هذه الآية : « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا » (٣) . نعلم أن الليل يتلو النهار ، فهما متعاقبان . وهذا لا يتم الا بدوران الشمس حول الارض ، أو بدوران الارض حول محورها . وبما ان الآية :

« والشمس تجري لمستقر لها » (١) . تنفي دوران الشمس حول الارض ذلك لأن الشمس تجري لمستقر لها ، ولا استقرار مع الدوران في نفس المدار ، اذن : يُعلم أن لابد لتعاقب الليل والنهار من حركة الارض حول محورها ليكون بصورة دائمة الطرف المتوجه نحو الشمس نهارا والطرف الآخر غير المتوجه نحو الشمس ليلاً .

ومما لا مراء فيه : أن ليس للأجسام الصامتة ، الصماء أن ترتب لنفسها حركاتٍ مترتبةً منتظمة تحصل بسببها ، أي بسبب دوران الارض حول محورها ، حياة على الكرة الارضية ، فتعيش النباتات والحيوانات عليها ، إذن : يحكم العقل بصورة فطرية : أن الله تبارك وتعالى هو الذي أعطى هذه

(٢) انه تعالى يقول : « أولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ، ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ، افلا يؤمنون » ، (سورة الانبياء : ٣٠) .

(٣) سورة الفرقان : ٦٢ .

(١) سورة ياسين : ٣٨ .

الحركات المنتظمة للكواكب والشموس كي تحصل بسببها حياة . ذلك ، لأن الارض لو كانت ثابتة ، لبقي طرف منها متوجهاً نحو الشمس ولاحترق كل ما على الارض من نبات وحيوان ولتبخرت المياه ، وانعدمت نتيجةً لذلك الحياة عليها وكذلك الطرف الآخر : الطرف غير المتوجه نحو الشمس لبقي في ظلام دائم وبرودة قارصة ، وانجمد بسببها كل ما على الارض من نبات وحيوان ومياه وانعدمت الحياة عليها أيضا .

فالله تعالى جعل هذه الدقة المتناهية في الخلق : من تعاقب الليل والنهار الى ما هنالك من ملايين الأنظمة والقوانين والخواص تذكرةً لمن أراد أن يذكّر وعبرةً لمن أراد أن يعتبر : لمن أراد أن يقوم بواجب الشكر تجاه نعمه التي لا تعد ولا تحصى (٢) فيشكر الله تعالى بصلاة يصليها وصوم يطهر به نفسه وزكاة يطهر بها ماله وخمس يؤدي به ما فرض الله عليه ، وحج يتقرب به الى الله ، واتفاقٍ وبذل وقيام بحوائج الناس وأعمال صالحات ، وبر الوالدين وصلة الرحم ، وتسبيح الله تعالى وتقديسه .

فلا يعتبر بآيات الله تبارك وتعالى وما أودع في الكون من حركات وقوانين الا مَن آمَن ولا يؤمن حقاً الا مَن اتقى الله ، ولا تتم التقوى الا بالقيام بواجب الشكر . ولكل عضو من أعضاء الانسان شكر يناسب ذلك العضو ، ولكل جارحة من الجوارح شكر يناسبها ، ولكل ما مَنَّ الله على الانسان من منصب وجاهٍ وعلم وكمال شكر" يناسبها ، كما أن لكل ما منَّ الله على الانسان من مال ومنال وأرض وعقار شكراً عمليا يناسبها . ولا يكفي قولك : الحمد لله ، اذا منَّ الله عليك بدور متعددة حتى تُسكن في احداها بعض المعوزين من أيتام وأرامل وغيرهم . فقد جاء في الحديث : « مَن كانت له دار ، فاحتاج مؤمن الى سكناها ، فمنعه اياها ، قال الله عز وجل : ملائكتي بخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا ، وعزتي ، فلا يسكن جناني أبدا » .

(٢) وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، (سورة ابراهيم (ع) : ٣٤) .

اللطف وسنة الكمال

كثيراً ما نقرأ في الكتب الكلامية أن الله تبارك وتعالى قد أرسل أنبياء مبشرين ومنذرين عملاً بقاعدة (اللطف) وان الله تعالى أراد أن يلطف بالبشر ويرفق بهم ، فجعل منهم أنبياء ومرسلين ، منّ عليهم بصفة العصمة لقابلية هناك ليهدوا الناس سواء السبيل .

يستنتج من ذلك انه لولا (قاعدة اللطف) لبقي البشر في دياجير الجهل لا يعرف ربه ولا يعرف كيف ينال سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ولبقي كالبهائم أو أتعس حظاً من البهائم أبد الآبدين .

ولكني أرى : أن الله تبارك وتعالى منّ على البشر بتعاليم السماء وأرسل أنبياء ومرسلين ومن بعدهم أوصياء سلام الله عليهم أجمعين عملاً بسنة الكمال هذا الكمال الذي نشاهد آثاره وآياته في كل جزءٍ من أجزاء العالم من الآميبا (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) الى أكبر ما خلق الله من مجرات وشموس تعادل شمسنا هذه آلاف المرات .

كمال نشاهد آثاره في الذرة ، ذلك لأن الذرة عالم مستقل في ذاته ، لها قوانينها ودساتيرها ، وأي كمال أعظم من أن نرى حركة (الألكترون) بسرعة ألفي كيلو متر في الثانية حول النواة : (المركز) ، أي حول البروتون على شكل إهليليجي : قطع ناقص ، وأي كمال أعظم من رسم منحنٍ اهليليجي يكون المحيط فيه محلاً هندسياً لنقاط تبعد بمقدار القطر الكبير عن نقطتين معينتين : (البؤرتين) ، ومتى علم البشر أن معادلة القطع الناقص هي :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} + \frac{ص^{٢}}{ح^{٢}} = ١$$

لم يتعرف البشر على هذه المعادلة الا في القرن الثامن عشر الميلادي ، بعد قطع الرياضيات مراحل متعددة استغرقت آلاف السنين .

وهل للألكترون وهي شحنة كهربائية سالبة ، أن تسلك هذا الطريق الاهليليجي وان يرسم من تلقاء نفسه هذا المنحني المعقد الذي لم يقو البشر على تفهمه الا بعد آلاف السنين .

انه كمال مُحير للعقول في بطن الذرة .

وقل مثل ذلك بالنسبة الى حركة الكواكب حول الشمس وبالنسبة الى هذه الأبعاد التي نشاهدها بين الأنجم السابحة في الفضاء بنظام محيِّر للألباب .

فلو كان البعد بين الارض والقمر عشر ما عليه الآن لكان المد الحاصل لمياه البحار والانهار نتيجة جذب القمر لما على الارض من مياه أضعاف ما عليه الآن ولانغمرت الاراضي والبقاع كلها تحت المياه ، ولما وجد مكان جاف للسكنى ، وهو قوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

وهكذا القول بالنسبة الى بعد الشمس عن الارض . فان الشمس تبعد عن الارض : ٨ دقائق و ٢٠ ثانية بحساب السنة الضوئية أي أن الطائرة لو كانت سرعتها في الساعة ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٨٠ ١ كيلو متر لوصلت الى الشمس خلال هذه المدة : (٨ دقائق و ٢٠ ثانية) . فلو كان هذا البعد نصف ما عليه الآن ، لكانت درجة الحرارة على وجه الأرض أربعة أضعاف ما عليه الآن ولاحترق كل شيء وتبخرت المياه واستحالت الحياة على وجه البسيطة . وقد قال تعالى :

« وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

فلا ترى في كل ما خلق الله شيئاً عبثاً يناقض سنة الكمال .

إن الماديين كانوا يتذرعون بأشياء تافهة لإثبات نظريتهم العشوائية ،

وقد تقدم العلم وفند آراءهم الالحادية .

انهم كانوا يقولون : إن بعض الأعضاء في البدن الانساني لا فائدة منها وهذا يخالف سنة الكمال . حين أن الحكمة متأصلة من جانب الله في كل شيء . وقولهم هذا كان منبعثاً عن جهل ونقص في العلم ، انهم كانوا يقولون : إن (الزائدة الدودية) شيء زائد لا فائدة منها وقد علم بعد تقدم العلم ان لهذه الزائدة (Apendis) حساسية فائقة ازاء التعفنات الداخلية وهي بمثابة صافرة خطر .

واما اللوزتان فكان يقال عنهما : انهما زائدتان أيضا ، يجب اجتثاثهما في الصغر لئلا تكونا في المستقبل غدداً تتنة ، ثم علم أخيرا أن لهاتين اللوزتين أثراً هاماً في سلامة البدن الانساني ..

كان يقول علي عليه السلام : « لو شئت لجعلت من هذا الماء نوراً » والنور أو الضوء طاقة ، كما أن الاشعاع طاقة . وقد علم أخيراً معنى قول علي عليه السلام بعد اكتشاف شيء عما في بطن الذرة وتحطيمها . فالماء مصدر عظيم للطاقة . وان الهيدروجين الثقيل الذي نحصل عليه من الماء العادي مصدر عظيم للطاقة . وان مفاعلات الاندماج سوف لا تختلف في حجمها عن المفاعلات الذرية (مفاعلات الانشطار) عند فلق الذرة وتحطيمها .

فالعلماء كما استخلصوا الطاقة من انشطار ذرات العناصر الثقيلة كاليورانيوم ، بذلوا الجهود للحصول على الطاقة أيضا من الماء العادي ، وذلك بعملية الاندماج النووي لذرات العناصر الخفيفة كالديوتيريوم والترتيوم كما في القنبلة الهيدروجينية ، ولكن تحت وسائل التحكم .

ويحتوي الهيدروجين العادي على قدر من الهيدروجين الثقيل الثنائي ، وهو احدى مركبات الماء الذي يشغل خمسة أسباع مساحة الكرة الارضية .

وقد بلغ اهتمام علماء الذرة لظاهرة الاندماج النووي مبلغاً كبيراً .

لاعتقادهم الراسخ أنه في الامكان استخلاص كميات هائلة من الطاقة بهذه الطريقة بتكاليف زهيدة ودون التعرض لاخطار الاشعاعات الذرية وغيرها التي تنتج في عمليات الانشطار .

فالطاقة التي نحصل عليها من اندماج الهيدروجين الثقيل الموجود في ليتر من الماء العادي ، تعادل الطاقة الحرارية الناتجة من ثلاثمائة ليتر من الگازولين .

ولو أمكن التحكم في طاقة التفاعلات الاندماجية ، واستخدمت لخير البشرية لتوفر للعالم قدر من الطاقة يكفيه حقبةً من الزمن ، تبلغ عشرة آلاف مليون سنة ، دون اعتماد على مصدر آخر للطاقة ، وقد أمكن الوصول الى هذه النتيجة باعتبار أن : مساحة الكرة الارضية تساوي ٢٠٠ مليون ميل مربع ، والماء يشغل من هذا السطح خمسة أسباعه ، بمتوسط عمق قدره ميلان ، والهيدروجين العادي يكوّن تسع ماء البحار والمحيطات ، وواحد من خمسة آلاف من هذا الهيدروجين من الهيدروجين الثقيل والعالم يستهلك الفحم بمعدل ستة آلاف مليون طن سنويا .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الاندماج الهيدروجيني هو التفاعل الذي تنتج به الشمس طاقتها الحرارية العظيمة ، وهو التفاعل الذي بنيت عليه التفجيرات الهيدروجينية المروعة التي تثبت امكان الحصول على الطاقة بعملية الاندماج ولكن دون تحكّم .

وقد تنبأ العالم الهندي « هومي بابا » بأن اطلاق طاقة الاندماج بطريقة تمكننا من التحكم فيها سيتم خلال العشرين سنة القادمة ، وهو يعتقد أن العصر التاريخي الذي نقتحمه قد يعتبر يوماً ما فترةً بدائية للعصر الذري .

كل ذلك يدل على أن الكمال المودع من جانب الله تعالى في العالم المادي قد بلغ أقصاه ، فلابد من شمول هذا التكامل أو الكمال عوالمَ الأنفس

والأرواح ، أي لا يستثنى من هذا الكمال الانسان ، فلابد من فطرة توجه الفرد الانساني الى معرفة ربه والقيام بالاعمال الصالحات .

وكمثال آخر على الكمال المودَع في العالم المادي وارتباطه بعوالم النفوس أقول : ان العلماء المحدثين قد حسبوا أنهم لو أرادوا أن يخترعوا جهازاً يقوم بما يقوم به العقل الانساني من أعمال خارقة لاحتاجوا الى جهاز بسعة كرتنا الارضية . وعلموا أيضا أن الفكر او الحكمة المبذولة في تركيب مفصل من المفاصل في البدن الانساني لهي أعظم من الفكر المبذول في صنع القنبلة الذرية ، مع وجود أجزائها من جانب الله تعالى في هذه الارض قبلاً .

كما أن ظاهرة الطيران في الطيور بمراحلها الثلاث [1] هي من أعجب الظواهر الطبيعية ، بسبب صعوبة القيام بها وتفسيرها تفسيراً قاطعاً علمياً مانعاً بل هي من المسائل التي لم يستطع علماء الطير حلها . فما أعظم ما أودع الله فيه من كمال !.

ان الكمال الذي أودعه الله تعالى في كل جزء أو جزيء من هذا العالم الرحيب يتجلى بوضوح لا مزيد عليه بحيث يوحي الينا أن ليس في الكون المادي شيء الا وقد بلغ أقصى مرتبة من مراتب الكمال أو هو متكامل ، يتابع ما سنَّ له من مراتب كماليه متسلسلة حتى يبلغ الغاية القصوى من الكمال المحدد له ، مع العلم ان في كل مرحلة من مراحل الكمال من الدقة والتفكير ما يحير الألباب .

هذا ما نشاهده في العالم المادي . وان العالم المادي مخلوق الله الكامل على الاطلاق . وبما انه لا يترشح من الكامل على الاطلاق الا الكمال ، وجب

(١) الاولى وتعرف بالانزلاق : يبسط الطير فيها جناحيه دون ان يحركهما . والثانية وهي الدفيف : يضرب فيها بجناحيه رفعاً وخفضاً ضربات متتابعة ، والثالثة : طيران الصف ويأتيه الطير بجناحين منبسطين فلا يحركهما .

أن يتجلى الكمال في كل زاوية من زوايا هذا الكون مع ارتباط بين الزوايا والأجزاء ، ارتباط يحتم هذا التكامل ويشير ان الصانع له واحد متفرد في الوحدانية لا يشاركه في خلقه اياه أحد : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ » (١) .

إذن يجب أن لا تشذ عن سنة الكمال النفوس : هذه النفوس البشرية التي خلقها الله بارادته وركب فيها توحيده وتقديسه بمشيئته وهو قوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » .

فقضية توحيد الله ، تبارك وتعالى ، أمر فطري داخل في ناموس الكمال العالمي ، دون أن نحتاج الى التمسك بـ (قاعدة اللطف) . كل ذلك لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يصدر عنه الا الكمال . ومن أهم نقاط الكمال لهذا الانسان : توحيد الله تعالى وتقديسه وتسبيحه .

(ألم ترَ أن الله يسبح له مَن في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » (١) .

ويقول تعالى « وهديناه النجدين » أي طريقي الخير والشر . فقد ألهمنا الله تعالى طريق الخير وطريق الشر . فالانسان محكوم لما تمليه عليه فطرته أو عقله الباطني قبل بعثة الرسل ، وهكذا اولئك الذين لم تصل اليهم الدعوة الاسلامية . انما أقول : الدعوة الاسلامية ، ذلك لأن الاسلام ، دين الله في أرضه منذ أن خلق آدم أول الانبياء « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » (٢) .

انه تعالى يقول : « ونفسٍ وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » . لذلك ، يرى الفرد في عنفوان حياته ، وان لم تبلغه تعاليم السماء ، أنه

---

(١) سورة الملك : ٣ .
(١) سورة النور : ٤١ .
(٢) سورة آل عمران : ٦٧ .

ينكمش عند ارتكابه أول معصية ويتردد ويرتبك ، كأن قوة خفية تدفعه عن اقتراف الذنب . كل ذلك ، لأن الله أودع في النفس الانسانية بالفطرة هذا الرادع النفسي . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « العقل نور القلب ، يفرق بين الحق والباطل » .

فالنفس الانسانية تنكمش عند أول معصية والعقل الطبيعي : غير الملوث بالموبقات يمنعها ويردعها . فقد جاء في الحديث : (العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان) .

ولكن هذه النفس لو تمادت في غيها وضلالها ولم ترتدع بنداء الفطرة تكون محكومة لشيطانها . فينسحب العقل .

يقول علي عليه السلام : « لو قارف عبد ذنباً فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » .

وقد قال رسول الله (ص) ذات يوم لأصحابه : ألا أخبركم داءكم عن دوائكم ، قالوا بلى ، يا رسول الله . قال : داؤكم الذنوب ، ودواؤكم الاستغفار .

انه تعالى يقول : « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا بلى . شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون » [1] .

فالله تعالى قد غرس أسس التوحيد في النفس الانسانية ، عملا بسنة الكمال ، فالذي ينحرف ، انما ينحرف لظلمات في نفسه ، جاءته من ناحية الذنوب وعدم القيام بمعطيات الفطرة : (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، حتى اذا جاءنا قال : ياليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين) [2] .

---

(١) سورة الاعراف : ١٧١ . (٢) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٨ .

فالله الذي لا يصدر عنه الا الكمال ، قد أكمل الانسان من النواحي الروحية : بأن غرس فيه أصول المعارف الإلهية ، وقد جاء في الحديث : « كل مولود يولد على الفطرة ، فانما أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه » لذلك ، يقول أحد علماء الآثار : لا يمكن أن ترى منذ أن وجد البشر على وجه البسيطة ، جماعة ، أو قرية أو ناحية مهما كانت صغيرة الا ولها معبد يتعبد الناس فيه .

والفرق بين القوانين الكونية كقوانين الجاذبية العامة ، قوانين الضوء الهندسي أو الحكمي أو قوانين تفاعل العناصر الى ما هنالك ، — وفطرة النفس الانسانية : أن هذه الفطرة (أو الاسلام والتوجه الى الحق المتعال) قابلة للتحول ، وليست كالمادة مسلوبة الاختيار والارادة .. فقد منّ الله تعالى على هذا الانسان بالارادة بعد ان جهزه بعقل وأراه النجدين [1] : « ليهلِك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حيَّ عن بينة) .

فلا عذر لمن انحرف عن الصراط السوي وتبع هواه : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زيِّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم » [2] .

وان الله تعالى قد عرف الانسان منذ أن خلقه الشيطان ودسائسه : « ان الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا » [3] .

فعلى الانسان أن لا يطيع الشيطان وان لا يذعن لمكائده ودسائسه . مع العلم انه ليس للشيطان أية سلطة على الانسان : « وقال الشيطان لما قُضيَ الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فاخلفتكم . وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم ، فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ ، اني كفرت بما اشركتموني من قبل ،

(١) طريقي الخير والشر .
(٢) سورة محمد (ص) : ١٤ .
(٣) سورة الفاطر : ٦ .

إن الظالمين لهم عذاب اليم » [1] .

يظهر مما أسلفنا ان سنة الكمال ضاربة بأطنابها في الجماد والنبات والحيوان والانسان . وبما أن التكامل الانساني بما هو انسان ينحصر في المعارف الإلهية والاخلاق الفاضلة ، لذلك ، غرس الله تعالى أصول المعارف وأعني بها : التوحيد ، وتقديس الله تعالى ، الميل الى العبادة والخشوع ، ذكر الله تعالى في الشدائد والتوجه اليه ..الى ما هنالك في النفوس البشرية تثبيتاً لسنة الكمال : هذه السنة التي لابد وان تتحقق في كل ما خلق الله تعالى بصورة ضرورية ، وقد أكمل الله ذلك بارسال الرسل ليهدوا الناس سواء السبيل ويعرفوهم طرق السعادة المقربة اليه تعالى ويعلموهم الحلال والحرام على حد قول علي عليه السلام ، اذ يقول : وأرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحييهم » .

فبعث الأنبياء أمر طبيعي ، لابد من تحققه عملا بسنة الكمال من جانب الله تعالى في هذا الكون أو الوجود ، وتحقيقاً للكمال العالمي في الجماد والنبات والحيوان والانسان والجن والملائكة .

ولما كانت تزكية النفوس من أهم عناصر الكمال لذلك جعل الله سبب بعث الانبياء : التزكية . بقوله جل من قائل : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين » .

واما الرحمة فهي من صفات الله تبارك وتعالى وكذا اللطف ، وهو القائل: « كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سواءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » . « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءاً ، فتصبح الارض مخضرة ، ان الله لطيف خبير » [1] « الله لطيف بعباده ، يرزق

(١) سورة ابراهيم عليه السلام : ٢٢ .

(١) سورة الحج : ٦٣ .

من يشاء وهو القوي العزيز » [١] .

فلطف الله تبارك وتعالى يأتي بعد هذا الدور التكاملي ، ليمن على من يشاء من عباده بالتوبة ومزيد النعمة : « ان الله كان لطيفا خبيرا » [٢] .

---

(١) سورة الشورى : ١٩ .

(٢) سورة الاحزاب : ٢٤ .

سنة الكمال في الكون الرحيب

ان نظرة واحدة الى هذا الكون الواسع الأرجاء وما فيه من نظم وقوانين وعلاقات تكاد لا تتناهى توصل الانسان الى هذا الحكم القطعي : ان سنة الكمال ضاربة بأطنابها في هذا الكون المادي الرحيب الى أبعد الحدود .

فتكوين الشمس والارض والقمر والكواكب وملايين النجوم في ملايين من المجرات وملايين الشموس التي هي على الاكثر أكبر من شمسنا هذه ، قد جرى تحت قوانين رياضية وطبيعية ثابتة أودعها الله هذا الكون . وهو مما يدل على ان الخالق لهذا الكون قد بلغ من القدرة والتدبير الى حد لا يتناهى وان ما وصل اليه هذا الانسان من معلومات ودساتير لا يعادل شيئا مما هو كائن أو يكون .

إن نسبة علم الله تعالى الى علم الانسان المحدود هي نسبة المحدود الى غير المحدود أو نسبة المتناهي الى غير المتناهي أي كنسبة $\frac{ب}{\infty}$ ، ومآل هذه النسبة لا محالة هو : الصفر .

والقرآن الكريم هو أول كتاب علّم الناس العلاقة بين الرياح وهبوبها وتكاثف بخار الماء باثارة السحب ونزول المطر وذلك بقوله جل من قائل :

« الله الذي يُرسل الرياح فتثير سحاباً ، فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كِسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله » (١) .

فمن سنة الكمال هذه الدورة المائية التي نشاهدها ما بين البحار والمحيطات وجو الأرض . فان أشعة الشمس تعمل على تبخير المياه من سطوح

---

(١) سورة الروم : ٤٨ .

المحيطات ، وعندما يحمل الهواء هذه الأبخرة الى أعلى وتبرد ، تتحول الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أو هما معاً داخل السحب ، ثم لا تلبث أن تنهمر هذه المكونات الى سطح الارض وتعود الى المحيط من جديد اما مباشرة أو عن طريق الأنهر أو المياه الجوفية ... الخ . ولا سبيل الى ايقاف هذه الدورة .

هذه دورة واحدة من دورات الحياة ومثلها توجد دورات تعد بالعشرات في شتى حقول الحياة من عضوية وغير عضوية يعزى اليها استمرارية الحياة في هذا الكون بأمر من الله تعالى . وهناك أيضا دورات اخرى لا تعد ولا تحصى خارج منظومتنا الشمسية لا يعلمها الا الله تعالى .

« الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماءاً ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين [1] وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » [2] .

وقد جعل الله تعالى غاز الاوكسيجين أساس الحياة على الارض ، اذ تستنشقه الكائنات الحية ، فيجدد نقاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل وهو يخرج مع هواء الزفير في صورة غاز (ثاني اوكسيد الكاربون) ، ويذوب الاوكسيجين في الماء (٤ر٠ سانتيمتر مكعب منه يمكن أن تذوب في غرام واحد من الماء في الأحوال العادية) . ولذوبانه هذا في الماء أهمية عظمى ، اذ تستمد الحيوانات والنباتات المائية ما يلزمها للتنفس من الاوكسيجين المذاب في الماء .

---

(١) دائبين : جاريين فى فلكهما لا يفتران .

(٢) سورة ابراهيم عليه السلام : ٣٢ — ٣٤ .

والغلاف الهوائي فوق الارض طبقات مرصوصة من الهواء بعضها فوق بعض . ونجد أن أكثر الطبقات كثافة وتضاغطاً هي الطبقات القريبة من سطح الارض ، حيث يتركز نحو نصف كتلة هواء الارض بأسره في الستة الكيلو مترات الاولى ، بينما ينتشر النصف الآخر في الطبقات التي تعلو ذلك وتمتد الى مشارف الفضاء الكوني .

وكلما نقص الهواء في المرتفعات (أي مع الارتفاع) نقص كميات الأوكسيجين كذلك ، بحيث أننا اذا بلغنا ارتفاعاً معيناً لا يكفي الاوكسيجين الجوي للتنفس ، ويشعر المرء اذ ذاك بضيق الصدر والاختناق .

وان القرآن الكريم قد أوضح ذلك قبل كشف هذه الحقيقة من قبل علماء الطبيعة ، بقرون . وذلك بقوله جل من قائل .

«ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء»[1] .

***

رغم محاولة الانسان مدة مديدة لمعرفة كيفية تكوين العالم ، فانه لا يزال في دور التخمين والحدس . ولذلك قلما نجد علماء العصر الحاضر يتصدون الى وضع نظرية مبنية على أسس علمية من شأنها أن توضح كيفية تكون العالم بأجمعه . وان ما وضع من نظريات لحد اليوم تجرح وتعدّل من حين الى حين وهي بعيدة عن الواقع كل البعد . انه تعالى يقول :

« ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضدا » [2] .

غير أن النظام الشمسي بمفرده ليس مجهولاً تمام الجهل ، والحقائق الكثيرة التي نعرفها عنه حدت بعدد غير قليل من العلماء الى وضع بعض الآراء

---

(١) سورة الانعام : ١٢٥ .
(٢) سورة الكهف : ٥٢ .

والنظريات عن كيفية حدوثه وتكونه .

منها : أن النظام الشمسي لم يتألف ولم يكتسب شكله الحالي بطريق الصدفة ، فأجزاء المادة التي تتصل كيفما اتفق بالشمس (كالمذنبات وما شابهها) لا يعقل أن تجتمع كلها في مستوٍ واحد على وجه التقريب وان تكون مداراتها وأفلاكها قليلة التفلطح (على شكل قطع ناقص) وقريبة من الدائرة .

فلو كانت السيارات قد التحقت بالشمس عن طريق الصدفة لاقتضى أن تكون أفلاكها ومداراتها مختلفة التفلطح والميل بشتى الاشكال . غير أنا نرى ان النظام الشمسي مرتبط بعلائق كثيرة منظمة منها :

١ — أن مدارات الكواكب أو السيارات حول الشمس بأجمعها على شكل اهليليجي (القطع الناقص) تقرب من الدائرة .

٢ — تقع هذه الافلاك أو المدارات بأجمعها في مستوٍ واحد تقريباً (ما عدا أفلاك النجيمات) .

٣ — ان الكواكب (أو السيارات) تدور بأجمعها حول الشمس باتجاه واحد .

٤ — تبعد الكواكب (أو السيارات) عن الشمس بعداً منتظم الاطّراد .

٥ — ان المستويات التي تدور فيها الكواكب أو السيارات على محورها تنطبق تقريباً على المستويات التي تدور فيها حول الشمس .

٦ — ان اتجاه دوران السيارات (الكواكب) على محورها هو نفس اتجاه دورانها حول الشمس .

٧ — تدور أقمار السيارات والكواكب حولها في مستوٍ ينطبق تقريباً على مستوى دوران الكوكب (السيارة) حول الشمس .

٨ — ان أقمار الكواكب (السيارات) تدور على الغالب في نفس الاتجاه الذي تدور فيه السيارات والكواكب حول الشمس .

٩ ــ ان السيارات أو الكواكب الضخمة هي أسرع السيارات في الدوران على محورها .

فهذه العلاقات المنظمة توحي الينا أن يداً قديرة قد أنشأت هذه الافلاك والكواكب بحكمة فائقة ونظام بديع الى أبعد الحدود . « الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » (١) .

***

وكمثال على ان النظريات التي توضع من قبل العلماء ولا تؤيدها التجارب والحوادث المتأخرة نذكر نظرية (بوفون) .

قال (بوفون) : ان الارض وما يدور حولها من كواكب كانت في بداية الأمر كتلة غازية نارية مندمجة في الشمس ، وانها انفصلت عن الشمس على أثر تصادمها مع مذنب أو مذنبات كبيرة . فكل مصادمة من هذا النوع كانت تؤدي الى انشطار كتلة عظيمة من الشمس وتشكل احدى السيارات (الكواكب) .

ولقد فُنِّدت هذه النظرية لعلمنا أخيراً عن تركيب المذنبات وقواعد الميكانيكا . ذلك لأنه :

١ ــ لم يشاهد لحد اليوم مذنب ذو كتلة كبيرة تصطدم بالشمس ، فتقذف على أثر هذه المصادمة كتلا كبيرة كالكواكب .

٢ ــ لو كانت السيارات قد انفصلت عن الشمس على أثر تصادم جسم غريب لوجب أن تكون مدارات السيارات (الكواكب) مفلطحة تفلطحاً كبيرا طولانيا بمقتضى قواعد الميكانيكا .. أي وجب أن تكون نسبة نصف القطر القصير الى نصف القطر الطويل كسرا بعيدا عن الواحد .

ان اشهر النظريات اليوم في تكون المنظومة الشمسية هي نظرية وضعها

---

(١) سورة الروم : ٥٤ .

الفيلسوف الألماني (عمانوئيل كنت) وأصلحها العالم الفرنسي الرياضي الشهير (لاپلاس) في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد حاول لاپلاس أن يطبقها على القواعد الرياضية ، فجاءت كما يلي :

١ ــ ان المادة التي تتألف منها الشمس والكواكب كانت فيما مضى مبعثرة بشكل (سديم) كبير .

٢ ــ وان هذا السديم الغازي كان شديد الحرارة منتشراً كالسحاب .

٣ ــ فلما برد قليلا تجاذبت دقائقه نحو مركزها المشترك فدار على نفسه في الجهة التي تدور فيها السيارات حول الشمس وكان دورانه مدأ عن اختلافات عرضية في كثافات أجزاء السديم الاصلي وسُرعها ، ثم استمرت الحرارة على الانتشار ، فازداد بذلك تكاثفاً وانقباضاً وازدادت سرعته الدورانية على أثر انقباضه لأسباب ميكانيكية .

٤ ــ فكان من جراء هذه الحركة الدورانية ان تفلطحت تلك الكتلة الكروية عند القطبين واستمر هذا التفلطح حتى أتى يوم اصبحت فيه قواعد التباعد عن المركز في الأجزاء الاستوائية مكافئة لقوة الجذب نحو المركز ، فانفصلت على أثر ذلك حلقات سديمية تماثل حلقات زحل من تلك الاجزاء الاستوائية .

٥ ــ وكانت الحلقة المنفصلة حين انفكاكها تدور بأجمعها حول السديم الأصلي مدة مديدة من الزمن ، ثم تنفرط فتتجمع دقائقها بشكل كرة غازية وتأخذ هذه الكرة بالدوران حول الكتلة الاساسية ، فتتشكل بهذه الصورة احدى السيارات (أو الكواكب) .

٦ ــ والسيارة بدورها كانت تتعرض لنفس الحالة التي تعرّض لها السديم الاصلي . فتنفصل عنها حلقات سديمية يؤول بها الأمر الى تشكيل أقمار لتلك السيارة . اما حلقات زحل فانها احتفظت بشكلها حتى الآن ؟

***

ان النظريات التي تؤسس لحل مشكلة النظام الشمسي أو تكوّن العوالم التي خلقها الله تعالى بقدرته وقدّر فيها أقواتها في هذا العالم الرحيب من مجرات لا تعدّ : مجرات في كل منها ملايين النجوم وملايين الشموس التي تبعد عنا مسافات لا تقدر بملايين الاميال على ما ثبت أخيراً ، هي نظريات مضطربة ، قلقة ، تعدّل من حين لآخر كلما عثروا على ظاهرة لا يمكن أن تفسر على النظرية الموضوعة . ذلك ، لأن الانسان لم يقف بعد على جميع ما أودع الله من قوانين في علم الميكانيك السماوي ، وما وضع من خواص تكاد لا تتناهى في العناصر والأجسام . وهذه النظريات محاولات علمية تكشف عن بعض ما أودع الله من قوانين ميكانيكية وخواص طبيعية في هذا الكون الرحيب .

يقول الله تبارك وتعالى :

« أولم يرَ الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما »[1] .

فالله تعالى يخبرنا في الآية المتقدمة ، أن كل ما في هذا الكون المادي من أجرام ونجوم وشموس وأقمار ومجرات ونيازك وسدم وغازات : كل ذلك كان في باديء الأمر ، بأمره تعالى ، ملتصقة بعضها بالبعض الآخر ، وانها انفصلت وتناثرت بقوله جل من قائل : كُن ، حسب ما يريد وتباعدت وصارت تدور في مدارات اهليليجية أو شبه دائرية حسبما سنّ الله من قوانين ميكانيكية وخواص معينة فيما خلق من عناصر : (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له : كُن ، فيكون » . (سورة يس) .

لذلك يعتقد علماء العصر الحاضر أن السديم هو الحالة الابتدائية للنجوم أو المجموعات النجمية ، وانها في الوقت الحاضر في حالة التكاثف

---

(١) سورة الانبياء : ٣٠ .

والتقلص . ولذلك . لابد وان تنتج آجلاً أو عاجلا مجموعة من الكواكب أو عدداً من الشموس المماثلة لشمسنا .

ان السُدم [١] تختلف اختلافاً تاماً عن الكواكب المجتمعة وان شابهتها في ظاهرها . فانها لا تنحل الى كواكب مستقلة لا بالمرقب ولا بالتصوير الشمسي ، كما أنه يتبين من التحليل الطيفى [٢] انها تتألف من مواد غازية محتوية على عنصر يجهله علماء الكيمياء على الارض، ويدعونه (الغاز السديمي) نسبة الى السديم .

وقد قال الله تعالى :

« ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين » [٣] .

وقوله تعالى في سورة : الدخان :

« يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب اليم » .

ان اشكال السدم تختلف اختلافاً كلياً . فبعضها تظهر بشكل منظم كروي أو لولبي أو عدسي أو حلقي واما البعض الآخر فيظهر في أشكال غير منتظمة لا يمكن حصر أنواعها .

وإن الرصد قد أظهر أن منظر السديم يتغير كلما ازدادت قوة تكبير المرقب (تلسكوب) حيث تبدو عندئذ بعض أقسام وفروع لم تكن مرئية في المراقب الضعيفة أو المتوسطة ، وهكذا ترى انه كلما اتسع افق العلم في اختراع مراقب كبيرة والوقوف على خواص الذرة ومعادلاتها المعقدة وفي الميكانيك

---

(١) السدم : جمع سديم .

(٢) ان اطياف النجوم وتحليل ضوءها الابيض وما يظهر من خطوط عند التحليل تعرفنا على ما فى النجوم من عناصر وذلك بعد قياس طول موجات تلك الخطوط الطيفية .

(٣) سورة حم ـ سجدة : ١١ .

السماوي والتحليل الرياضي كلما شاهدنا عوالم أخرى فأخرى الى حيث لا يتناهى في هذا الكون الرحيب .

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ، لنفد البحر قبلَ ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (١) .

***

لنتكلم قليلا عن المجرة . لو نظرنا الى السماء في ليلة ظلماء لا قمر فيها ولا نور لرأينا منطقة طويلة تمتد فوق رؤوسنا كالقوس ، يمتد من أفق الى أفق وقد تركزت فيها النجوم بمقدار كثير ، وتكثفت فيها الى حد بعيد ، بعضها فوق بعض . وبما أن هـذا المنظر يكاد يشبه بياض ماء النهر في سواد الأرض ، لذلك سمي بالمجرة أي النهر الجاري .

وقد سميت المجرة من قبل العامة بسكة التبانة ، أو ، درب التبانة ، كأن هنالك تبناً منثوراً سقط من تبان عند سلوكه طريقاً من الطرق . وقد سماها اليونانيون (طريق اللبن) .

فالمجرة مجموعة نجوم كثيرة جداً عدد الرمل ، وفي المجرة من السدم ما يحول بيننا وبين ما ورائها من نجوم .

يمكن تشبيه المجرة الى قرص مفرطح كالرغيف ولو أننا جعلنا للرغيف قطراً وجعلنا له ارتفاعا لكان قطر القرص أو المجرة عشرة أمثال ارتفاعه .

ان مجرة الدرب التبانة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ الف سنة ضوئية . وبما ان الضوء يقطع في سنة واحدة مسافة قدرها ٩٫٥ مليون مليون كيلو متر اذن قطر مجرتنا هذه يساوي مائة الف مضروباً في تسع ونصف مليون مليون كيلو متر .

---

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

ولما كانت شمسنا هذه نجماً لا يعتد به ، يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة . وبهذا ندرك مدى صعوبة تصوُّر المقياس الهائل للكون الذي يقع وراء المجموعة الشمسية .

ان الفضاء الذي يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون ، فوراءه ، ملايين من المجرات الاخرى ، تندفع جميعا ، كما يبدو ، مبتعدة عن بعضها البعض بسرعات خيالية ، قد تبلغ نصف سرعة الضوء في الثانية أي حوالي ١٥٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية ، وتمتد حدود الكون الذي يمكن رؤيته بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كل اتجاه . وهو قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون » (١) .

ان ما ذكرناه من مسافات ومجرات يعرفنا ضخامة هذا الكون الرحيب ، وهكذا نرى ان اصغر شيء مادي أو اصغر جسيم عرف لحد الآن أي الذرة تشبه في تركيبها المجموعة الشمسية غاية الشبه ، ذلك لأن الذرة مكونة من الكترونات تدور بسرعة هائلة حول النواة (المركز) أي حول البروتون .

هذا ويرى الانسان ان اصغر شيء في هذا الكون وأعني به الذرة الى أضخم شيء يمكن تصوره وهو المجرات الضخام التي تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية كلهـا تسير في مدارات مرسومة محددة في علاقة كل منهما بالآخر .

قد بلغ رائدوا الفضاء الى حوالي سرعة قدرها (٢٩) ألف كيلو متر في الساعة في الدوران حول الارض أي حوالي ٨ كيلو مترات في الثانية ، وهي سرعة كبيرة تماما بالنسبة الى مقاييسنا الأرضية ، وهذا الرائد يكون اذ ذاك على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا عن سطح الارض .

(١) سورة الذاريات : ٤٧ .

فكوننا هذا يضم الوف الملايين من المجرات وكل مجرّة منها تحوي الوف الملايين من النجوم ، وعنـد الحافة الخارجية لاحدى هذه المجرات وهي مجرة طريق التبانة أو (درب التبانة) نجم متوسط الحجم معتدل الحرارة ازداد لونه اصفراراً بسبب الشيخوخة ... هو شمسنا .

والارض واحدة من أجزاء مختلفة بدأت بأمر من الله في يو مما بطريقة لم تعرف (ولن تُعرف) تدور حول الشمس . ولا يزيد سمك قشرة الارض على بضعة كيلو مترات . تحتها صخور منصهرة ومعادن تغلي وسط حرارة شديدة . لا يمنعها من أن تتحول الى لهيب الا الغلاف الذي يحويها من (الغرانيت والبازلت) . وبين هذين النارين حيث الجمرات المكدسة لهذا الجزء الذي نعيش فوقه من هذا النجم البارد والنجم المتوهج الذي نرتبط به ، يقف الانسان في الحياة مع الطيور والحيوانات ولكن ما أضعفهم جميعاً : « وخلق الانسان ضعيفاً » [1] .

فهذه الشركة من الحياة يمكن أن تفنى اذا حدث أي تغيير دائم لنسبة ضئيلة من طاقة الشمس سواء بالزيادة أو النقصان .

« ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده » [2] ... (ان أمسكهما : أي : ما أمسكهما) .

فأرضنا هذه انما هي هباءة في موضع مدحور ، قرب الطرف من مجرة (درب التبانة) التي فيها مئات الملايين من النجوم . على أن هنالك مئات الملايين من المجرات وفي كل مجرة مئآت الملايين من الانجم . اذن ، ما قيمة هذا الانسان بالنسبة الى ما خلق الله تعالى مما لا يتناهى من عوالم ، هي من حيث الكبر أضعاف أضعاف أرضنا هذه ، فليدع الانسان من نفسه الغرور :

---

(١) سورة النساء : ٢٧ .
(٢) سورة فاطر : ٤١ .
(٣) سورة الانفطار : ٦ — ٨ .

« يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركّبك » . وليعبد ربه : « وما خلقت الجنّ والانسَ الا ليعبدون » (٤) . وليعلم أنه لم يُخلق عَبَثاً : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا تُرجعون » (٥) ، « وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » (٦) . « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ، أن كنا فاعلين » (٧) .

على الانسان أن يعبد ربه بجميع ما في العبادة من معنىً سامٍ رفيع ، يعبد ربه بخشوع وخضوع في صلاة يؤديها لوجه الله ، يعبد ربه بقيامه بأداء حقوق الوالدين والارحام والاصدقاء ، وبقضاء حوائج الناس ودفع الكُرب عنهم . فقد جاء في الحديث : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ، يعبد ربه بنشره حقائق الاسلام بين الناس ولا سيما بين المثقفين بثقافة العصر ، فما أحوجهم الى تفهم الاسلام تفهماً صحيحاً لا شائبة فيه ، وبتضحيته بنفسه ونفيسه في سبيل نشر الاسلام في أرجاء الأرض ، فلا أجر أعظم من أجر من قام ببث حقائق الاسلام في العالم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين أوفد علياً عليه السلام الى اليمن : « يا علي ، لئن يهد الله بك رجلاً واحداً كان خيراً لك مما طلعت عليه الشمس » .

***

ولنعد الى هذا الكون الرحيب وما أودع الله فيه من سنن الكمال .

نحن لا نزال ضمن نطاق مجرتنا (درب التبانة) ، فاذا انتقلنا الى المجرات

---

(٤) سورة الذاريات : ٤٦ .
(٥) سورة المؤمنون : ١٤٦ .
(٦) سورة الدخان : ٣٨ .
(٧) سورة الانبياء : ١٦ — ١٧ .

الاخرى وجدنا أرقاماً لا تكاد يصدقها العقل • فالتلسكوبات الحديثة اكتشفت مجرات على بعد الف مليون سنة ضوئية وأكثر • ويقدر (شارليه Charlier أن قطر الكون (حسبما توصل اليه علم البشر أخيراً) عشرة آلاف مليون سنة ضوئية • أي أن الحادث الذي يحدث في مجرة واقعة طرف الكون لا تعلم (أو يستحيل أن تعلم به) مجرة في الطرف الآخر قبل مرور عشرة آلاف مليون سنة من سنواتنا •

فالكون واسع جداً ، مترامي الاطراف ، كل شيء فيه في حركة مستمرة منتظمة ، ولا يوجد رابط زمني يربط ما بين أجزائه حسب نظرية (آينشتين) فكلمة : (آلان) لا معنى لها الا في هذه الارض !

***

ان علماء الطبيعة الفلكية يعلنون أن ليس هناك نجوم ثابتة • خذ مثلا : النجمين الشهيرين (نيّر التوأمين) و (رأس هرقل) الذين عرفا دائما بأنهما : (زوج واحد) ، وقد بلغ من تقاربهما في السماء ، وتقارب نفس الدرجة من البريق بينهما وعدم التغير في ملازمة كل منهما للآخر ، ان العلماء كانوا يسمونهما بالتوأمين • الا أن التلسكوب والمرقب الطيفي واللوحات الفوتوغرافية تقول : ان لا صلة بين هذين النجمين في أية ناحية من النواحي • فهما يسيران في طريقين مختلفين ، والأول يبعد عن الارض أكثر من مرة ونصف مرة من المسافة التي يبعدها عنها النجم الثاني • والواضح أن هذين النجمين غريبان عن بعضهما البعض • تصادف فقط ظهورهما مقتربين الى حد ما عندما ننظر اليهما من موقعنا الحالي على ظهر الارض • اما بالنسبة للكون المترامي الاطراف الذي فيه ما لا يعد من نجوم ، فانه لا يظهر فيهما أي تغيير محسوس ، وهما دقيقان نسبياً في حركتيهما عبر السماء بالمقارنة مع أعماق الفضاء • ولا تستطيع العين البشرية أن تدرك الفروق بينهما من مثل هذا الفضاء الفسيح •

ولكن الكثير يختفي من عيوننا . فنحن اذا ركزنا اهتمامنا من خلال التلسكوب على (نير التوأمين) وحده ، وجدنا انه ليس نجماً واحداً ، بل نجمان ، يفصل بين كل منهما والآخر مسافة تزيد مائة ضعف على المسافة بين الارض والشمس . واننا عندما نستخدم أكثر الاجهزة دقة في المراصد نكتشف ان ما يبدو للعين نجماً واحداً ثابتاً هو في الواقع مجموعة تضم ستة نجوم معاً ، في ثلاثة أزواج . يدور كل نجم منها في فلك خاص وبسرعة خاصة .

ولما كان رجال البحر يعرفون الحالة الداخلية الحقيقية للنجم (نير التوأمين) والدوامات التي تدور في داخله ودوراته السريعة في مكانه القديم المعتاد في خريطة النجوم ، فان ذلك يجعله علامة ثابتة تصلح للاسترشاد بها في قيادة السفن .

وقد أثبت علم الفلك الحديث ان السماء الهادئة مكان لا تناسق فيه ، يحوي شموساً لا حصر لها ، تندفع في كل اتجاه تقريبا بمفردها او في اعداد كثيرة ، كأنها جزيئات متحركة لغاز من الغازات .

فالنجم (النسر الواقع) يقترب بسرعة تبلغ ١٣ كيلو مترا في الثانية ، بينما يتراجع النجم (الدبران) بسرعة ٥٣ كيلو مترا في الثانية . و (حارس السماء يعبرها بسرعة ١٣٥ كيلو مترا في الثانية .. اما نجما الطرفين من (الغطاس الكبير) فيتحركان في اتجاه واحد ، في حين ان نجوم هذه المجرة الاخرى تتجاذب بسرعة عظيمة في الاتجاه المضاد .

***

ونجمنا الذي نعيش فيه ليس مستثنى من ذلك ، فان الشمس تدور في طريق شاهق نحو الحافة الخارجية بطريق التبانة بسرعة ١٩ كيلو مترا في الثانية وهي تجر الارض في أذيالها ومعها كل الكواكب الاخرى ، وقد تحقق قوله

تعالى (وهو الحق الأزلي) : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » [١] .

وفي نفس الوقت تدور المجموعة الشمسية في قوس هائل بسرعة ٢٤٠ كيلو مترا في الثانية ، بينما تدور المجرة نفسها كعجلة ضخمة من النجوم .

ان كل شيء في هذا الكون انما يشاهد كما كان ، لا كما يكون . فنحن نرى الشمس كما كانت منذ ثمان دقائق وعشرين ثانية مضت ، ونرى النجم الشعرى كما كان منذ تسع سنوات ونرى (برج الثريا) كما كان منذ ٥٠٠ عام . ذلك لأن وصول شعاع (برج الثريا) الينا يستغرق ٥٠٠ عام . وقد تميز العين في ليلة صافية لا قمر فيها سحابة من الضوء الباهت لا تزيد على القمر ، تدور في برج (المرأة المسلسلة) ، وهذه سحابة واحدة من المجرات الخارجية ، وهي تبدو لنا كما كانت منذ مليوني عام . اما ما حدث لنجومها التي لا تحصى بعد ذلك ، فشيء لا يمكننا معرفته .

وبرج (المرأة المسلسلة) يقع عند الحد الخارجي للرؤية بالعين المجردة ولكنا قد نصل بالتلسكوب الى ملايين السنين من ماضي هذا الكون . وعندما نستخدم لوحة فوتوغرافية حساسة في أقوى تلسكوب ، فقد تصل بنا الى ألوف الملايين من السنين . وقد أطلق على أشعة هذه الاجسام البعيدة اسم : (الضوء الحفري) ، وهي تسبق في تاريخها ، حقاً ، أكثر الحفريات التي وجدت على سطح الارض . وان الانسان ليعجب كيف يمكن وقف ضوء بمثل هذا الضعف بواسطة طبقة غازية رقيقة أو ذرة من الغبار وهو قادر على ان ينطلق بأقصى سرعته المستمرة وقدرها ٨٦٠ ٢٩٩ كيلو مترا في الثانية أو ٣٠٠ ٠٠٠ كم/ثانية تقريباً طيلة ملايين السنين . وهذه الاشعاعات تظهر الفراغ النسبي للفضاء بالمقياس الرحب لهندستها المعمارية : « وكل شيء عنده بمقدار

---

(١) سورة يس : ٣٨ .

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» [١] . «صنع الله الذي أتقن كل شيء» [٢] . « هو الذي جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك الا بالحق، يفصّل الآيات لقوم يعلمون» [٣] « سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى » [٤] . « ربُّنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى » [٥] .

***

واذا صورنا قطاعات معيّنة من السماء استطعنا اجراء احصاء للنجوم . ففي مرصد جامعة (هارفارد) صورة فوتوغرافية تحوي صور أكثر من ٢٠٠٠ مجرة خارجية والفي طريق للتبانة ويقدر العلماء عدد المجرات التي يحويها الكون ٥٠٠ مليون مجرة وقد علم بطرق علمية ان مجرة درب التبانة تحوي حوالي (١٠٠) الف مليون نجم .

نعلم من كل ما تقدم أن الكون واسع جداً ، لم يبلغ البشر مع هذا التقدم العلمي في عوالم المادة الا الى جزء ضئيل منه ، وسيقف على شيء من عظمة هذا الكون كلما اتسع افق العلم ، لا سيما علم الذرة والرياضيات العالية والميكانيك السماوي وسيعلم حتماً أن ليس هنالك : (عَبَثية أو عَشوائية) في هذا الكون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عَبَثاً وانكم الينا لا ترجعون » [٦] .

نعم ، جاء (أينشتين) بقوانينه لنفي العبثية عن الكون وليثبت أن الظواهر الكونية كلها تخضع لقوانين رياضية ثابتة ، هي أشبه بالنواميس

(١) سورة الرعد : ٨ — ٩ .
(٢) سورة النمل : ٨٨ .
(٣) سورة يونس : ٥ .
(٤) سورة الاعلى : ١ — ٢ .
(٥) سورة طه : ٥ .
(٦) سورة المؤمنون : ١١٦ .

الإلهية ، تتحكم في الكون الذي غدا وجوداً هندسياً بديعاً . وقد حلّت القوانين الرياضية والنظام محل العبثية والفوضى في نظر المتطرفين .

***

وكمثال لما أودع الله من نظام ودقة في الكائنات الدقيقة نذكر ميكروب : (كوكات البكتريا) الدقيقة الحجم . فان طول كل من هذا الميكروب (ميكرون) واحد . والميكرون يساوي جزءاً من الف جزء من الميليمتر : مم ، أي أنا اذا صففنا ألفاً من هذه الكائنات التي يبلغ طول كل منها ميكرونا واحداً لوجدنا ان طول هذا الصف عبارة عن ميليمتر واحد . فاذا أخذنا سطحاً مربعاً طول ضلع من أضلاعه ميليمتر ، فاننا نستطيع أن نضع على تلك المساحة الصغيرة مليوناً من تلك الميكروبات : (١٠٠٠ × ١٠٠٠) . أما الميليمتر المكعب فانه يستوعب الف مليون من مثل هذه الميكروبات : (١٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠) فاذا عرفنا أن مجموع سكان الكرة الارضية في مختلف الممالك والاقطار يصل الى ما يقرب من ثلاثة آلاف مليون نسمة فاننا ندرك بسهولة أن مثل هذا العدد من الميكروبات يمكن حشده فيما يعادل ٣ ميليمتر مكعب فقط .

ولتوضيح هذه الدقة في الحجم تأخذ مثلاً ميكروب الملاريا . «والميكروب في هذه الحالة عبارة عن حيوان أولي دقيق » . فاذا لسعت البعوضة الناقلة للملاريا انساناً سليماً فانها تنقل اليه أعداداً كبيرة من الميكروبات الموجودة في لعابها . وتصل هذه الميكروبات الدقيقة الى الدم حيث تبدأ في مهاجمة الكرات الحمراء اذ يقتحم كل واحد منها احدى هذه الكرات حيث يثقب غشاءها الخارجي دافعاً نفسه الى الداخل ، وعند استقراره داخل الكرة الحمراء يتخذ من محتوياتها غذاءاً له فيلتهمها تدريجياً حيث ينمو ويزداد حجمه ثم يأخذ بعد ذلك في الانقسام الى ميكروبات جديدة ، ويتم كل هذا داخل الكرة الحمراء ولكن ما هو حجم هذه الكرة التي يتخذ منها الميكروب مسكناً له يتسع

لاستقراره ونموه وتكاثره ؟.. الواقع أن الكرة الحمراء نفسها دقيقة الحجم جداً . ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة . اذ يبلغ قطرها حوالي ٨ ميكرون ، ويوجد فيها ما يقرب من ٥ ملايين كرة في الميليمتر الواحد من الدم العادي . فاذا كان هذا هو حجم الكرة الحمراء فاننا نستنتج بلا جدال أن الميكروب الذي يستوطنها أصغر منها بكثير .

فاذا اتخذت الكرة الحمراء — وهي معروفة لدينا جيداً لأنها تسبح في دمائنا بأعداد لا حصر لها — كوسيلة للمقارنة فانها تحتل مركزاً متوسطا في عالم الأحجام الدقيقة [1] .

وقد ثبت أن جميع الميكروبات تشترك في صفة واحدة هامة وهي استمرار حياتها بصفة لا نهائية . فبينما تموت النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها بعد فترة زمنية — تطول أو تقصر تبعاً للنوع — نرى أن الميكروبات لها حياة مستمرة ، فان الميكروبات ، لا تموت الا في الظروف الخارجية الطارئة كتعريضها للحرارة الشديدة او معالجتها بالمركبات الكيميائية القوية التي تقتلها . واما في الظروف العادية فحياتها مستمرة .

وتتضح هذه الحقيقة من طريقة تكاثرها . فالخلية الميكروبية . وهي كما ذكرنا دقيقة الحجم . تتغذى وتنمو ثم تنقسم الى نصفين ، يكون كل منهما ميكروباً جديداً ، ويعيد كل من هذين النصفين القصة من جديد . فينقسم كل منهما الى نصفين آخرين وهكذا في متوالية هندسية لانهائية أساسها : ٢

(١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٠٠٠٠ ، ٢ ن — ١) .

ويتم تكاثر الميكروبات بسرعة مذهلة عند وجود الظروف الملائمة ، اذ تنقسم الخلية الميكروبية في بعض أنواع البكتريا بعد نصف ساعة فقط من

(١) صراع مع الميكروب ص : ٤ . للدكتور : محمد رشاد الطوبى .

وجودها . ومعنى ذلك أن الجيل الجديد ـ وهو الذي يستغرق ظهوره في حالة الانسان عدة سنوات ـ لا يحتاج الا الى نصف ساعة فقط ، ومعناه أيضا أن هناك ثمانية وأربعين جيلا متتابعا في اليوم الواحد . فما بالك بعدد الاجيال التي تتكون في سنة واحدة أو في عدة سنوات . لا شك ان العدد يتضاعف الى درجة يصعب على العقل ادراكها أو تصورها من ضخامته [١] .

***

فلنعد الى النجوم ولننظر الى ما تقوم به من حركات معينة وفق دساتير رياضية متقنة حسبما حدده الله تعالى ، فهذه النجوم تسبّح الله تعالى في حركاتها ومداراتها : « الم ترَ ان الله يسبّح له مَن في السماوات والارض ، والطير صافاتٍ كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » [١] . « سبّح لله ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » [٢] . « وان من شيء الا يسبّح بحمده » [٣] .

فكل شيء في هذا الكون خاضع لله ، يسبح الله تعالى بأنواع التسبيح سواء أكان هذا الشيء مادياً أو غير مادي ، ذلك لأن مآل المادة : الذرات ، وهي القوى الكهربائية من موجبة وسالبة ، هي الطاقات . والطاقات تسبح الله تعالى كما يسبح الانسان والحيوان ، ولكنا لانفقه تسبيحها « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » [٤] .

فالجبال تسبح الله تعالى مع داود عليه السلام : « يا جبالُ أوبي معه والطير » [٥] .

---

(١) نفس المصدر من ص : ١١ .
(١) سورة النور : ٤١ .
(٢) سورة الحديد : ١ .
(٣) سورة الاسراء ٤٤ .
(٤) سورة الاسراء : ٤٤ .
(٥) سورة سبأ : ١٠ .

قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » (٦) . « انا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولا » (٧).

نعم ، كل ما في السماوات والارض خشوع لله وخضوع ... لا يستثنى شيء أبدا . وهو القائل :

« ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن ، عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (٨) .

فأنى لهذا الانسان أن يشذ عن تسبيحه تعالى ويتبجح باكتشافه القمر الصناعي وذهابه الى بعض الانجم القريبة بسرعة لا تتجاوز ١٠ كيلو مترات في الثانية . فما باله يلفظ المقدسات التي فيها الكمال النفسي ، فيعود ليصبح خشبة عارية عن كل فضيلة ، وروحاً جامدا أشبه شيء بالصخرة الصماء . « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » (٩) .

ان الله يأمرنا بتسبيحه كل يوم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب بقوله جل من قائل : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار » (١٠) .

وبقوله : « وأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » (١١) .

وبقوله : « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار » (١٢) .

---

(٦) سورة الحشر : ٢١ .
(٧) سورة الاحزاب : ٧٢ .
(٨) سورة مريم : ٩٦ .
(٩) سورة البقرة : ٧٤ .
(١٠) سورة طه : ١٣٠ .
(١١) سورة مريم : ١٠ .
(١٢) سورة آل عمران : ٤١ .

وبقوله « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (١) .

وبقوله : « فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار » (٢) .

وبقوله : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » (٣) .

فما ألذ التسبيح لو كان خالياً عن كل شائبة . فهو انغمار في الحب الإلهي ، وذوبان في العشق اللاهوتي ، ان في هذا التسبيح الخالص لذةً تفوق كل لذة مادية ، لذة لا تضاهيها أية لذة ، لذة لا يريد الانسان أن يفارقها طرفة عين ، لذة تأخذ بمجامع القلب الى حيث الطمأنينة والارتياح النفسي . « الا بذكر الله تطمئن القلوب » (٤) . لذلك نرى أن ابراهيم عليه السلام يقدم ما عنده من الغنم وكان يملي ما بين الجبلين ، يقدمها الى من نادى من بعيد بصوت رخيم : « سبوح قدوس ، ربنا ورب الملائكة والروح » .

ما أحلى التسبيحات في أيام شهر رمضان المبارك ومنها : « سبحان الله خالق ما يرى وما لا يرى ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله رب العالمين ، سبحان الله الذي ينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وينزل الماء من السماء بكلمته ، وينبت النبات بقدرته ويسقط الورق بعلمه ، سبحان الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » .

---

(١) سورة الحجر : ٩٨ — ٩٩ .
(٢) سورة المؤمن : ٥٥ .
(٣) سورة ق : ٣٩ — ٤٠ .
(٤) سورة الرعد : ٣٠ .

***

ولنستمع الى ما يقوله علي عليه أفضل الصلاة والسلام حين تلا هذه الآية المباركة .

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

« ان الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء القلوب ، تسمع به بعد الوقرة [١] ، وتبصر به بعد العشوة ، وتنقاد به بعد المعاندة » .

« وما برح لله — عزت آلاؤه — في البُرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات [٢] عباد ناجاهم في فكرهم ، وكلمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظة في الابصار والاسماع والافئدة . يذكّرون بأيام الله ، ويخوّفون مقامه . بمنزلة الأدلة في الفلوات . من أخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة . ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة . وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات .

وان للذكر أهلاً أخذوه من الدنيا بدلا ، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه ، يقطعون به أيام الحياة . ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين . ويأمرون بالقسط ويأتمرون به ، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه . فكأنما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك . فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه ، وحققت القيامة عليهم عداتها [٣] فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا ، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس . ويسمعون ما لا يسمعون .

---

(١) الذكر : استحضار الصفات الالهية . والوقرة : ثقل فى السمع . والعشوة : — مثلثة العين — ضعف البصر .

(٢) الفترة بين العملين : زمان بينهما ، يخلو منهما ، والمراد : ازمنة الخلو من الانبياء مطلقا . وناجاهم : خاطبهم بالالهام .

(٣) العدات : جمع عدة . اي : كأنما القيامة كشفت لهم عن الوعود التي وعد بها الاخيار والاشرار .

فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم [٤] المحمودة ، ومجالسهم المشهودة ، وقد نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصّروا عنها ، أو نُهوا عنها ففرطوا فيها ، وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم ، فضعفوا عن الاستقلال [٥] بها . فنشجوا نشيجاً [٦] ، وتجاوبوا نحيباً ، يعجون الى ربهم في مقام ندم [٧] واعتراف ؛ لرأيت أعلام هدىً ، ومصابيح دجى ، قد حفت بهم الملائكة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وفتحت لهم أبواب السماء ، وأعدّت لهم مقاعد الكرامات ، في مقام اطلع الله عليهم فيه ، فرضي سعيهم وحمد مقامهم ، يتنسمون بدعائه روح التجاوز [٨] . رهائن فاقة فضله ، وأسارى ذلة لعظمته ، جرح طول الأسى قلوبهم [٩] ، وطول البكاء عيونهم . لكل باب رغبةٍ الى الله منهم يد قارعة ، يسألون من لا تضيق لديه المنادح [١٠] ، ولا يخيب عليه الراغبون . فحاسب نفسك لنفسك ، فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك . (نهج البلاغة . الجزء الثاني . ص ٢٣٧).

فطوبى لأولئك الذين طال سجودهم وزاد خشوعهم وخنوعهم . فصفت نفوسهم وتزكت أرواحهم فخلت من أدرانها وآثامها ، ثم عرجت الى معالم القدس ، حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، « وعهدنا

---

(٤) مقاوم : جمع مقام ، مقاماتهم فى خطاب الوعظ .

(٥) ضعفوا عن الاستقلال بها : اي القيام بحملها .

(٦) نشج الباكي ، ينشج ، نشيجاً : غص بالبكاء فى حلقه . والنحيب اشد البكاء . وتجاوبوا به : اجاب بعضهم بعضا يتناحبون .

(٧) عج ، يعج : صاح ورفع صوته ، فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

(٨) تنسم النسيم : تشممه ، والروح ـ بالفتح ـ النسيم . اي يتوقعون التجاوز بدعائهم له .

(٩) الأسى : الحزن .

(١٠) المنادح : جمع مندوحة وهي كالندحة ـ بالضم والفتح ـ والمنتدح ـ بفتح الدال ـ المتسع من الارض .

الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » [١].

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » [٢].

« ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » [٣].

« واذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيّاً » [٤].

« أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولوا الألباب » [٥].

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ١ ــ ٢ .
(٣) سورة الاسراء : ١٠٩ .
(٤) سورة مريم : ٥٨ .
(٥) سورة الزمر : ٩ .

هل للعلم الحديث أن يمد يداً الى ما وراء الطبيعة ؟

من الواضح المعلوم أن العلم الحديث انما يعمل في استخراج خواص المادة والقوانين التي محكوم لها (المادة) وتابعة لها والدساتير الرياضية التي تحكم المادة وتسيطر عليها ، فلا تحيد المادة عنها قيد شعرة .

العلم الحديث يعمل في المختبرات لاجراء تجارب متعددة تحت شروط معينة وشروط مختلفة ثم يربط المشاهدات بعضها ببعض حسب قوانين رياضية عقلية بحتة دون أن يكون للتجربة دخل في المحاكمات المجردة الرياضية ، ثم يستخرج العلم الحديث قانونا رياضيا أو خاصية تحكم المادة ما دامت الظروف قائمة والشروط هي هي . لذلك كان يقول الفيزياوي المشهور : (لورد كلوين) « كل حادثة فيزياوية لا يمكن أن يعبر عنها بدستور رياضي ، ليست بحادثة معروفة » .

فالعلم المادي يبرهن : « على سبيل المثال » في الفيزياء الرياضية العالية : ان الجسمين يتجاذبان بنسبة : حاصل ضرب كتلتيهما : ك ، كَ مضروبا في النسبة الثابتة : ى [1] مقسوماً على مربع المسافة بينهما :

$$ق = ى \frac{ك ك'}{م^{٢}}$$

فالكتلة تقاس بـ (غرام ـ كتلة) والمسافة تقاس بالسانتيمتر = سم ، فتستخرج قوة الجذب بالنسبة الى اصغر وحدة من وحدات قوة الجذب فيما اذا كانت :

---

(١) النسبة الثابتة في دستور الجذب العام يساوي ١ على ... ... ١٥ من ثقل الغرام .

ك = ١ غم ، كتلة ك' = ١ غم ، كتلة

م = ١ سم

أما حقيقة هذه القوة ، أي حقيقة الجاذبية ، فمسكوت عنها في العلم الحديث . ذلك ، لأن القوة وكل شيء قواني [1] ليست من المادة في شيء : أي ليست القوة من الغرام أو السانتيمتر أو الزمن في شيء . (كما سترى أيضا) .

وهكذا في دستور الرقاص :

$$ن = ٢ ط \sqrt{\frac{ل}{ح}}$$

فمدة الذبذبة الواحدة للرقاص تتناسب مع جذر طول الرقاص تناسبا طرديا وتتناسب عكسياً مع جذر التعجيل الارضي في محل يتحرك فيه الرقاص .

فمدة الذبذبة الواحدة تختلف باختلاف مقدار الجذب . والمقاييس هاهنا هي : الثانية والسانتيمتر . وليس واحد منهما من حقيقة القوة الجاذبية في شيء .

فلا سبيل الى استعمال هذه المقاييس : الثانية ، سانتيمتر ، غرام — هذه التي تستعمل في استخراج القوانين التي تتحكم في العالم المادي — لتفهم حقيقة الجاذبية أو النفس او الروح أو العقل الى ما هنالك من عوالم غير مادية . ولذلك بقيت حقيقة القوة الجاذبية مجهولة لدى الفيزياويين .

وهكذا حقيقة القوة الكهربائية أو المغناطيسية وحقيقة الطاقة ، سواء أكانت طاقة حرارية أم كهربائية ، أم حركيـــة أم ذريّة ، الى ما هنالك . والفيزياويون يعترفون بعجزهم عن تفهم حقيقة كل ما ليس بمادي بحت . حتى أنهم ليعترفون بعدم تفهمهم حقيقة المادة . ذلك لان المادة يؤول أمرها الى الجزيء ، فالذرة (atome) . والذرة مجموعة قوى كهربائية موجبة :

(١) اسم منسوب الى القوة .

« پروتون » وقوى كهربائيةسالبة : « ألكترون » وقوى أخرى لا يزال يعمل العلم الحديث للتعرف على آثارها .

ولسائل ان يسأل : هل يمكن تعريف : « الفكر » وتحديد معالمه بمقاييس مادية أي بمقياس الطول : سانتيمتر ، والوزن : غرام ، والزمن : ثانية . وهكذا لا يمكن تعريف النفس أو العقل بهذه المقاييس المادية لأنهما ليسا من صقع المادة في شيء .

فقد اشتبه المادي حين أراد أن يرى الله تعالى في مخبره : (أنبوب التجربة tube) ذلك لان المخبر محل محدود ، انه محل مادي تحلّ فيه المادة وليس الله تعالى بمادة أو بشيء يقاس بالسانتيمتر والغرام والثانية . كي يحل في المخبر : « انبوب التجارب » ، أو المختبر (Laboratoire) فيراه المادي بعينه انه لا يشبه المادة ولا يشبه بقية الاشياء في شيء « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

ولكن ما يكتشف في المختبر من قوانين ثابتة ودساتير رياضية رصينة ومعادلات دقيقة تلك التي تحكم هذا الكون المادي يرشدنا الى واضع هذه المعادلات التي بلغت من الدقة ما يحير الالباب . ذلك لأنا كلما اكتشفنا قانوناً لخواص المادة ، فتحت لنا أبواب من المجاهيل يجب أن يعمل العالم المادي [1] في مختبره مئات السنين كي يتمكن من حل البعض منها . وقد لا تساعده العلوم الرياضية الحاضرة لكشف معضلات تلك القوانين التي أودعها الله تعالى بين جزيئات المادة وذراتها . فكم من معادلات تفاضلية غير محلولة وكم من قوانين رياضية يجب أن تكتشف لحل ما لا يتناهى من مجاهيل تتراءى لنا

(١) لا اظن ان المادي القائم بتجارب دقيقة فى المختبر يبقى ماديا ، فهو لا محالة يعترف بواضع هذه القوانين الكثيرة الدقيقة التي لا يمكن أن تأتي وتتحكم فى المادة وتنظمها بطريقة عشوائية .

في عالم الرياضيات .

فلا تزال الرياضيات ناقصة وهي في دور الألفباء ، وسيبقى هكذا آلاف السنين بل أبد الآبدين : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (١) .

فالله الذي لا يحده شيء ، فالله الذي لا تتناهى عظمته ، فالله الذي لا يخلو منه مكان (هذا المكان اللانهائي الذي خلقه الله بقدرته الازلية التي لا نفاد لها ولا انتهاء) لا يمكن أن يكون محدوداً بحدود الانبوب : tube أو بحدود المختبر كي يراه المادي في مخبره او مختبره .

ليس الله تعالى من صقع المقادير المحدودة ولا من المادة في شيء ، وهو خالق المادة .

فنحن نعرف الله تبارك وتعالى بما خلق من عوالم : عوالم شتى لا تتناهى، نعرف الله بما أودع من كمال في بطن الذرة : هذه التي لا يمكن أن ترى بأدق الآلات ، حتى بالتلسكوب الألكتروني .

نعرف الله تعالى بما أودع من كمال خارق وتركيبات معقدة ، مترتبة بعضها اثر بعض في البدن الانساني الى حد لا يتناهى ، الى حد لا يدع (حسب قوانين حساب الاحتمالات) للصدفة مجالا ولا قيمة . كل ذلك اذا طهرت النفس الانسانية من مجونها وطيشها ، فجورها وفسوقها . أي أصبحت النفس الانسانية ثمينة لتحل فيها معرفة الله جل جلاله . لذلك ، يقول علي عليه السلام : (لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان) .

إنه تعالى لا نهائي في قدرته وهيمنته وعظمته وحكمته وعزته وعلمه وكماله ورحمته ونعمه وملكه وجبروته : « هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ، يسبّح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » (١) .

***

ان الرياضي ليرى بصورة واضحة أن الأعمال الحسابية : (هذه التي نستعملها في الكميات المحدودة لا تجري على اللانهائيات .

نحن نعلم ان : ٥ × ٤ = ٢٠ .

ولكن ماذا يساوي : ∞ × د (اللانهاية مضروبة في اللانهاية) .

ونعلم ان : ٢٠ ÷ ٥ = ٤ .

ولكن ماذا يساوي (٢) : ∞ ÷ ∞

اللانهاية ÷ اللانهاية

نحن نعلم ان : ٢^٣ = ٢ × ٢ × ٢ = ٨ مثلا

ولكن ماذا يساوي : ∞^∞ (لا نهاية مرفوعة الى اللانهاية)

ونحن نعلم $\sqrt{٢٥} = +٥$

ولكن ماذا يساوي $\sqrt{\infty}$ (جذر اللانهاية)

ثم ما معنى : ∞ + ∞

مع العلم انا نعرف معنى ٤ + ٥ = ٩

وهكذا عند الطرح : ∞ — ∞ = ... ؟

فنرى ان العمليات الحسابية التي تجري على الكميات المحدودة لا يمكن تطبيقها على اللانهائيات .

ولذلك ليس من المعقول ان نستعمل مقاييسنا المحدودة للتعرف الى الله

---

(١) سورة الحشر : ٢٣ — ٢٤ .

(٢) ان قانون (اوپيتال) فى الجبر العالي لا يجري هنا لان ذلك القانون انما يجري حسب فروض معينة وهو خارج عن موضوعنا هذا .

الذي لا تتناهى عظمته وان بعد التشبيه .

***

هناك نوعان من الكميات : منها ما هي مبهمة : (تخيلية) ومنها ما هي معلومة . فالكميات المبهمة هي التي لا يمكن أن نعلم مقدارها بالضبط ولا يعلم ما هي ؟ وهي التي معاملها $\sqrt{-1}$ ، ف ($٥\sqrt{-1}$) لا تعلم حقيقته .

فلو أدخلنا في معاملات معادلة الخط المستقيم $\sqrt{-1}$: أي لو كانت هذه المعاملات : أ ، ب ، حـ من معادلة : أ س + ب ص + حـ = . كميات مبهمة فان النتائج التي نلمسها في المقادير المحدودة تضطرب هاهنا وترينا نتائج غريبة جدا فيتقاطع المستقيمان المتوازيان وينطبق المستقيمان المتقاطعان .

فليلتفت المادي أنه حين محاولته معرفة الله تعالى انما يستعمل مقاييس مقتضبة مادية ، ليست من صقع اللانهاية في شيء ، وعليه أن يستعمل مقياساً واحداً هو مقياس نفسي تشعر به النفس الانسانية كلما نمت وتكاملت في مضمار التقوى والورع وتطهرت بالتزكية من أدرانها وأرجاسها .

يقول علي عليه السلام : « يشهد بذلك العقل لو سلم من أسر الهوى» . فهوى النفس يكون حجاباً حاجزاً دون رؤية الحق ودون الاعتراف بالله المتعال ولذلك لابد من تزكية لهذه النفس كي ترجع الى رشدها وصفائها ، حتى تحلّ فيها معرفة الله تعالى . وهو القائل : (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » [1] .

نعم ان معرفة الخالق تتوقف على طهارة النفس وخلوها من الأدران لذلك بعث الله الانبياء عليهم السلام ليطهروا الانسان من الدنس ويزكوه . وقد قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» [1] .

(١) سورة الشمس ٩ — ١٠ . (١) سورة الجمعة : ٢ .

وقد قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » [٢] . أي ان النجاة يوم القيامة : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » [٣] انما تكون بسلامة القلب وسلامة النفس . وكل ما جاء في الدين الاسلامي من نواهٍ وأوامر ترمي الى سلامة القلب وتزكية النفس .

فالحدود التي شرعها الشارع المقدس على مرتكبي الكبائر من شرب الخمر والزنا والربا والقذف والقيادة ... الى ما هنالك ، كلها ترمي الى قلع الكبائر والموبقات عن وجه البسيطة ، كي لا تظلم النفس الانسانية بارتكابها إياها . فتجحد بارئها : لقوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون » [٤] وقوله تعالى : « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم » [٥] ولنفس السبب شرع الشارع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهكذا سائر ما ندب اليه الشرع وأمر به من مستحبات وواجبات : إطعام الطعام ، مساعدة الجار ، صلة الارحام ، البرّ بالوالدين ، قضاء حاجة المؤمن ، الإيثار ، الصلاة ، الصوم ، الزكاة ، الخمس الى ما هنالك كلها ترمي الى تعمير القلب ، فالنفس : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» [١] . وعند ذلك ، أي بعد القيام بما أمر به الشرع من واجبات وترك المحرمات وما ندب اليه من بعض المستحبات يتفتح القلب ، فيحلّ فيه حب الله تعالى ومعرفته ويقذف فيه نور يرى القلب من خلاله عظمة الله وقدرته التي لا تتناهى ويعزو القلب بصورة طبيعية كل ما يرى من هذا الابداع في الخلق الى العلي

(٢) سورة الشعراء : ٨٨ — ٨٩ .
(٣) سورة المطففين : ٦ .
(٤) سورة القلم : ٣٥ — ٣٦ .
(٥) سورة الشعراء : ٢٠٠ — ٢٠١ .
(١) سورة التوبة : ١٠٤ .

القدير • فقد جاء في الحديث : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » •

عند ذلك يرى الفرد علانية أن ما يقوم به المادي من استعمال مقياس محدود مقتضب لمعرفة الخالق وأعني به المقاييس المادية أو استعمال الحواس الخمس التي قد حددت من جانب الله قابلياتها وطاقاتها هي مقاييس تفيد في المجالات المادية المحدودة فقط ، أما لمعرفة الله الذي لا تتناهى عظمته ، فلابد من مقياس غير مادي ، وهو هذا النور الذي نوهنا عنه ، هذا النور الذي يقذف في قلب العبد ، اذا أطاع الله وكفّر عن ذنوبه • وهو قوله تعالى : « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » (٢) •

وليس هذا النور من نور الشمس المادي في شيء • فالضوء او النور انما هو شيء مادي حسبما اكتشفه (اينشتاين) وليس بشيء معنوي • وقد حصل اختلاف شديد في مادة الضوء • ولكن (آينشتاين) برهن على ان الضوء شيء مادي ، وذلك بعد أن راقب الضوء أو النور الآتي من أحد النجوم في يوم كان قد كسفت فيه الشمس • شاهد مسار هذا الضوء فرآه منحنياً وليس بمستقيم ، رآه ينحني حيث الجاذبية أكثر من قبل نجوم اخرى • فعلم أن الضوء انما هو جرم مادي فيه قابلية الانجذاب كبقية الاجسام المادية حسب قانون نيوتون للجاذبية العامة •

إذن ما كان من صقع المادة يمكن التعرف اليه بمقاييس مادية : سانتيمتر ، غرام ، ثانية • وما لم يكن كذلك ، كالنفس والعقل ، لا يمكن التعرف اليه ، وانما نحكم بوجوده بما نشاهد من آثار في أنفسنا • لذلك اعترف (دكارت) : Descartes الفيلسوف بوجود الخالق بعد أن شك في كل شيء : الا انه لم ينكر شعوره ، فقال : « أنا موجود ، ذلك لأني أحس وأشعر » • ثم تدرج بمقاييس غير مادية الى معرفة الخالق جل جلاله • فقال : « اني أحمل فكرة

(٢) سورة النور : ٣٥ •

الكمال ، فكان الاحرى ان اكمل نفسي من النواقص ان كنت أنا خالقاً نفسي ، وان أجعل عيني تبصر الى مسافات شاسعة وأذني تسمع من أماكن بعيدة وهكذا بقية الاعضاء • ولما كانت هذه الحواس محدودة القابلية وليس لي أن أعدل فيها وان أكملها كيفما أريد • إذن خالقها غيري • كما انه ليس خالقي انساناً آخر يشبهني ، لانه ناقص مثلي • فلابد ان هناك كاملا وهو الله تعالى قد خلق كل ما نشاهده تحت قوانين ثابتة ونظم دقيقة يحار فيها الالباب » •

واني اختم هذا المقال بقول علي عليه أفضل الصلاة والسلام ، ففيه فلسفة المعارف الإلهية والطريقة التي لو اتبعها الانسان بلغ مرتبة اليقين •

« إن من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه » •

علي عليه السلام والعلم الحديث

كان علي عليه السلام رياضياً ملهماً وفلكياً بارعا وفيزياوياً عظيما وكيمياويا كاملا وهكذا في بقية الفروع العلمية من نبات وفسلجة وطبقات الأرض ... الى ما هنالك .

ولقد بلغ الدرجة القصوى من الإتقان والكمال . وما كان ليتردد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، عند الاجابة على سؤال . وقد سئل عن مسائل شتى في شتى المواضيع فأجاب بالبديهة وبصورة ارتجالية ، دونما تفكير وبشكل موجز مفهوم .

سأله ذات يوم (ابن الكوا) ، قائلا : يا علي ، كم المسافة بين السماء والارض ؟ فأجاب عليه السلام قائلا : دعوة مستجابة ..

حقاً ، ان هذا الجواب لهو عين الواقع ، لعدم تناهي الأبعاد بصورة ظاهرية بين السماء والأرض . فهذا الكون الأحدب — على حد تعبير — (أينشتاين) لا يمكن أن يستقصى غوره ، وانه ليتوسع يوما بعد يوم . وكلما تقدمت آلات الرصد وعلم الفلك اللاسلكي وعلوم الذرة والإشعاع عثروا على شموس أخرى وكواكب ومجرات وسدم تدهش الألباب ، ويتحقق قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون » (١) .

يقول (بليفن) : « إن الكون أوسع وأرحب وأعظم مما كنا نتخيله . وإن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بسرعة مخيفة » .

فلا يمكن أن يعبر عن المسافة بين السماء والأرض بتعبير رياضي معلوم المقدار لعدم تناهي الأبعاد .

---

(١) سورة الذاريات : ٤٧ .

ثم إن الله تبارك وتعالى لا يخلو منه مكان : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » (١) .

وإن هذا الدعاء أو الدعوة في جواب علي عليه السلام : « دعوة مستجابة » ليسرى في هذه الأجواء التي لا تتناهى اذا استجيب ورفع ولم يحجب عن الصعود في العوالم اللانهائية .

وما أقام الأقدمون من أدلة على محدودية الكون إنما يجرى على الكميات المحدودة ، ولا يجوز تطبيق القواعد الرياضية في الكميات المحدودة على اللانهائيات : (∞) .

كان يقول قسم من الفلاسفه والعلماء ان الكون محدد .

ودليلهم على ذلك : « أننا لو أخذنا نقطة على سطح الأرض ومددنا من تلك النقطة خطيا مستقيمين حصلت بينهما (في تلك النقطة) زاوية . واذا قطعنا ضلعي تلك الزاوية بمستقيم آخر (مستقيم ثالث) حصل هنالك مثلث من ضلعي الزاوية والمستقيم القاطع لهما . يقولون : إن المستقيم القاطع أي الثالث يبقى محصوراً بين ضلعي الزاوية مهما مددنا ضلعي الزاوية الى اللانهاية . إذن : الكون محدود !؟..

إن هذا الدليل يمكن تطبيقه على المسافات المحدودة ولا يجري على اللانهائيات ، ذلك : لأنا اذا فرضنا النقطة المفروضة ، (تلك التي مددنا منها ضلعين وشكلنا الزاوية المعلومة) ، مركزاً للكرة الأرضية وجعلنا نصف القطر (ضلع الزاوية) مستقيماً يمتد الى ما لا يحدّ من المسافات ، أي الى اللانهاية : (∞) لأصبح سطح الكرة مستوياً وخرج عن كونه

---

(١) سورة المجادلة : ٨ .

كروياً أو شيئاً ذا انحناء ذلك ، لأن درجة الانحناء لمنحنٍ ما = $\frac{١}{ر}$

(ر = نصف قطر الانحناء) : كما هو معلوم في الهندسة التحليلية .

فكلما كان نصف قطر الانحناء أصغر كان الانحناء أكبر وكلما كان نصف قطر الانحناء أكبر كان الانحناء أقل . فاذا أصبح نق = ∞ (أصبح نصف قطر الانحناء لا نهائياً) ، يكون :

$$\frac{١}{ر} = \frac{١}{\infty} = ٠$$

أي لا انحناء هنالك .

ألا ترى ان الشاقولين على سطح الكرة يكونان متوازيين اذا كانت المسافة بينهما عدة أمتار . حين أن الشاقولين يلتقيان في مركز الأرض وبينهما زاوية ضئيلة جداً لا يمكن قياسها بأدق الآلات .

إذن ليس من المعقول أن نقول : إن الضلع الثالث يبقى محصوراً بين الضلعين الاخرين اذا بلغت الفاصلة بينهما لا نهائياً . فان اللانهائي يجل عن الحصر والحدود والا فليس بلا نهائي .

لنستعن بعلم المثلثات زيادةً في التوضيح :

لنفرض النقطة على وجه الأرض أو بالاحرى في مركز الأرض م وقد مدّ منها نصف القطر : م حـ ونصف القطر : م د .

فيكون الضلع الثالث المحصور : حـ د .

فلنكتب قيمة حـ د حسب قواعد المثلثات :

(حـ د)^{٢} = (د م)^{٢} + [حـ م]^{٢} — ٢ × د م × حـ م × جتام [١] .

---

(١) جتام = أي الجيب اتمام لزاوية م : Cosinus ، يراد بزاوية م ، زاوية د م حـ .

فاذا فرضنا : م حـ = ∞ ، م د = ∞ (١)

وعوضنا :

(حـ د)^{٢} = ∞ ^{٢} + ∞ ^{٢} − ٢ × ∞ × ∞ × جتام

ولما كان (٢ جتام) مقداراً محدوداً ، فلا أثر له تجاه اللانهاية عند التضعيف أو التقسيم :

∴ (حـ د) ^{٢} = ∞ ^{٢} + ∞ ^{٢} − ∞ × ∞

أو (حـ د)^{٢} = ∞ ^{٢} + ∞ ^{٢} − ٢ ∞ ^{٢}

(حـ د)^{٢} = ∞ ^{٢}

فيكون المستقيم المحصور بين ضلعي الزاوية لا نهائياً .

مع العلم انه لا يصح اجراء الاعمال الاربعة والجذر والرفع في اللانهائيات كما في المقادير المحدودة .. فلا يعلم ماذا ستكون هذه المستقيمات في اللانهاية .

***

ثم نحن باستطاعتنا أن نمد مستقيمات متعددة من مركز الارض على أن تكون الزوايا المركزية صغيرة جداً .

ثم نمدّ (أنصاف الأقطار) أو هذه المستقيمات الى ما لانهاية ، فماذا تكون المستقيمات المحصورة بين أضلاع الزوايا المركزية التي هي كثيرة جداً .

ستكون ، ولا شك، هذه المستقيمات المحصورة مثل حـ د ، د هـ ، هـ ط ، محيطاً لدائرة مركزها الكرة الأرضية . وتحصل عند ذلك دوائر متحدة المركز تحيط بعضها ببعض وتتباعد كالدوائر التي نشاهدها عندما نلقي حجراً في حوض ماء راكد . وتتباعد هذه الدوائر الى ما لا نهاية ، حيث لا يعلم مداها .

---

(١) يراد بـ ∞ اللانهاية .

فيصبح سطح الكرة التي نصف قطرها ∞ = لا نهاية ، مستوياً .

ويصبح محيط الدائرة التي نصف قطرها ∞ = لا نهاية، خطاً مستقيماً.

فيخرج عما نشاهده في الكميات المحدودة على سطح الأرض أو ما هو قريب من الارض بحدود معينة .

فنحن نتصور اللانهائية ولكن لسنا محيطين بها تمام الاحاطة كي نتمكن من تقديرها وتطبيق القواعد التي تجري في صقع محدود ، عليها .

وقد اشتبه كثير من الفلاسفة ، قديماً وحديثاً ، عندما فسروا نظرياتهم وفق مقاييس محدودة مقتضبة ، فاذا سئل أحدهم عن الله تعالى طبق الكونيات المحدودة أو القوانين الفيزيائية الارضية على « الله » الذي لا تنتهي عظمته ولا تحد قدرته ، فهو الذي : « لا ينعت بتمثيل ولا يمثل بنظير ؛ ولا يغلب بظهير . قد حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الاوهام ، وانحسرت دون ادراك عظمته خطائف أبصار الأنام » [1] .

وقد جاء في دعاء يقرأ ليلة القدر :

« يا موصوفاً لا يبلغ بكينونيته موصوف . ولا حد محدود ، يا غائبا غير مفقود ويا شاهداً غير مشهود ، يطلب فيصاب ، ولم تخل منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين ، لا يدرك بكيف ولا يؤيَّن بأين ولا بحيث . أنت نور النور » .

يلاحظ أن تفسيرات بعض الفلاسفة للكون والوجود ونظرياتهم عن خالق السماوات والأرضين مشوبة بمقاييس مادية حالكة وتطبيقات مادية سخيفة ، من تطبيق العوالم اللانهائية على العالم المحدود بمقاييسه وحدوده لذلك قالوا نتيجة تطبيق مادي سخيف :

١ ــ الواحد لا يصدر منه الا الواحد .. « يراد به الله » .

---

(١) من دعاء يقرأ فى كل يوم من أيام شهر رجب .

٢ ــ العقول عشرة .

٣ ــ ان الله غير عالم بالجزئيات .

وقالوا مثل ذلك أشياء كثيرة وبنوا على أسسهم المغلوطة أبنية واهية ، هي أوهن من بيت العنكبوت ، فأدى بهم الى وحدة الوجود ! بل وحدة الموجود !!؟..

انه تعالى يقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم » (١) .

ويقول بالنسبة الى كيفية خلقه الخلق :

« انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون » (٢) .

وقد قرأت مقالا لاستاذ الفيزياء الرياضية العالية في جامعة الاستانة قبل حوالي ثلاثين عاما يخطىء فيه بعض علماء الغرب في نظرياتهم عن اللانهاية ، فكثيراً ما نجد أنه يعامل مع اللانهاية في الأعمال الحسابية عين ما يعامل مع الكميات المحـدودة . ويقاس اللانهائيات بنفس المقياس الذي يقاس به المتناهيات . وهذا بعينه يشاهد في ما يقوم به الماديون من سرد براهين وأدلة لتثبيت دعائم كفرهم وجحودهم وهذيانهم !..

***

فما قيمة هذا الانسان تجاه عظمة الله التي ليس لعدد ولا مقدار ان يحدها ، تلك العظمة التي هي فوق متناول العقول وحدود الأفكار . والغريب أن يريد الانسان المادي المحدود في طاقاته وقابلياته (مهما حاول واجتهد واستفاد بأمره تعالى وإلهامه وتوفيقه مما أودع الله تعالى من نظم وقابليات في هذا الكون الرحيب) ان يحيط بالله وأن يرى الله بعينه التي يبصر بها ،

---

(١) سورة الكهف : ٥٢ .

(٢) سورة يس : ٢٨ .

هذه العين المادية التي لا تزال ولن تزال حقيقتها وجميع خواصها وقوانينها مجهولة . ذلك لأنه ليس للبشر أن يستقصي جميع ما أودع الله من خواص وقوانين في العين . مع العلم ان العين محدودة في قابلياتها وطاقاتها .

فقد قال (لنكولن بارنت) : « إن ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود ، بسبب عجز جهاز الابصار عنده . ولو أن عينه كانت أكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الاشعة السينية (X Rays) لبدت له الدنيا مختلفة تماماً عما يراها الآن » .

كما ينفي (الدكتور الكسيس كارل) في كتابه : « الانسان ذلك الكائن المجهول » ! إمكان التعرف الى الانسان معرفة تامة .

فاذا كان الانسان لا يقوى على معرفة نفسه ، فأنى له أن يحيط بخالقه وهو اللانهائي الذي لا يحده شيء ؟! « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم ، الذي خلقك فسوّاك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، كلا ، بل تكذبون بالدين ، وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (١) .

حقاً : « قتل الانسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفه خلقه فقدره ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم اذا شاء أنشره ، كلا . لما يقضِ ما أمره » ..! (٢) .

***

إن أينشتاين بما وجد من قوانين رياضية رصينة نفي العبثية والعشوائية في الكون . وبرهن على أن الظواهر الكونية كلها تخضع لقوانين رياضية ثابتة ، وهي النواميس الإلهية التي تتحكم في الكون . هذا الكون الذي غدا وجوداً هندسيا بديعا يدهش الألباب .

---

(١) سورة الانفطار : ٦ — ١٢ .

(٢) سورة عبس : ١٧ — ٢٣ .

وقد أراد اينشتاين أن يحسب مقدار كتلة النجوم التي يمكن مشاهدتها في السماء . ولكنه عدل عن هذا الرأي عندما رأى أن أنجما جديدة تتشكل في كبد السماء من حين لآخر .

فالتلسكوبات الحديثة اكتشفت مجرات على بعد الف مليون سنة ضوئية . ويقدر (شارليه) أن قطر الكون عشرة آلاف مليون سنة ضوئية ! وان الحادث الذي يحدث في مجرة في طرف الكون لا تعلم به (أو يستحيل أن تعلم به) مجرة في الطرف الآخر قبل مرور عشرة آلاف مليون سنة من سنواتنا .

هذا ما اكتشف حديثا . ولكن لا يبقى الاكتشاف موقوفاً على هذا الحد ، فكلما تقدمت العلوم رأوا عوالم أخرى لا تحدّ .

والسنة الضوئية تقدر بمسافة قدرها ١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو متر تقريباً . أي ان الضوء يقطع في السنة الواحدة بسرعته المعلومة (٣٠٠ ٠٠٠) كيلو متر في الثانية مسافة قدرها عشر مليون مليون كيلو متر تقريبا .

لذلك يقال ان بعد القمر عنا ١ ١/٣ من الثانية (ثانية وثلث الثانية). فاذا أردنا تعيين بعد القمر عنا علينا أن نضرب ١ ١/٣ من الثانية في سرعة الضوء . أي ٣/٤ × ٣٠٠٠٠٠ = ٤٠٠٠٠٠ كيلو متر .

وان الشمس تبعد عنا ٨ دقائق و ٢٠ ثانية أي انا لو ضربنا ٨ × ٦٠ + ٢٠ = ٥٠٠ ثانية في سرعة الضوء أي في ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر لوجدنا بعد الشمس عنا : وهو ١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو متر . (أو : ٩٣ ٠٠٠ ٠٠٠) ميل .

فاذا حدث انفجار في نجم (الألفا السنتوري) سنة ١٣٨٣ هجرية ، فنحن لا نشعر به الا في سنة ١٣٨٧ هـ أي بعد ٤ سنوات ، ذلك لأن نجم (الألفا السنتوري) تبعد عنا أربع سنوات ضوئية . فاذا نظرنا الى السماء في ليلة غار فيها القمر ، لا نرى الا الضوء الذي صدر عن هذه النجوم قبل سنوات .

فاذا كنت تنظر الى نجم (الالفا سنتوري) فانك ترى ما صدر عنه من ضوء قبل ٤ سنوات ، حتى وان كانت نجمة (الالفا سنتوري) قد اختفت عن الوجود بأمر الله تعالى منذ سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات .. وهكذا بالنسبة الى النجمة التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية . نحن انما ننظر الى الشعاع الذي صدر منها قبل مليون سنة ، وإن هذا الشعاع يحدثنا عن حالة تلك النجمة في الوقت الذي بدأ فيه ظهور الانسان على الارض بأمره تعالى ، أما النجوم التي تبعد عنا الف مليون سنة ضوئية ، فاننا نرى الآن شكلها وحالتها عندما كانت الحياة على الأرض بادئة في التكوين بأمره تعالى ، وعندما لم تكن قد نشأت اللبونات والزواحف والطيور ولم يكن قد ظهر أي من الفقريات. ولا يدري أحد ، غير الله تعالى ، ماذا حدث لهذه النجوم في هذه السنين الطويلة ، قد تكون قد انطفأت أو انفجرت منذ ملايين السنين ، ونحن لا نزال نراها حتى الآن !. : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (١) .

والكون واسع جداً ، مترامي الأطراف ، كل شيء فيه في حركة مستمرة منتظمة وليس الكون بدرجة من الضيق حتى يبرهن على محدوديته بمدٍّ ضلعين من نقطة على الارض وتصور ان القاطع لهما محصور بين الضلعين ، فيستدل بذلك على تناهي الأبعاد .

فسلام الله على أمير المؤمنين حين يقول « دعوة مستجابة » جواباً على سؤال من سأل : كم بين السماء والارض ؟...

***

يقول علي عليه السلام : « في التجارب علم" مستأنف » وهو حقاً واضع الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية . وقد سبق عليه السلام في قوله هذا « بيكون : Bacon » قروناً .

---

(١) سورة الملك : ١٤ .

إن علماء الغرب ينسبون اكتشاف الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية الى « بيكون » وقد فاتهم أن الاسلام يشجع الطرق التجريبية بقوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » (١) .

سئل علي عليه السلام عن وزن فيل ، فطبق قانون الطوفان في الفيزياء . وسئل عن ثقل قيد في رجل أحدهم ، فعين ثقله دون اخراج القيد من رجل الرجل معتمداً على قانون ارخميدس في الفيزياء ولم تكن اذ ذاك دراسة للعلوم اليونانية في الجزيرة العربية . وسئل عن مسائل رياضية صعبة فأجاب عنها بالبديهة ، قد ذكرنا البعض منها في نهاية الجزء الثاني من كتاب التكامل في الاسلام وفي الجزء الرابع من نفس الكتاب . وسئل عن قطر الشمس فأجاب مرتجلا ، وهو عين ما نقرأه في كتب الفلك اليوم . وسئل عن مسائل معقدة في الفرائض (الارث) فأجاب دون تفكير أو تأمل .

وقد أملى الشيء الكثير في موازين الصناعة على بعض أصحابه .

وللمسلمين أيادٍ بيضاء في حقل الرياضيات ومكتشفات هامة ، وقد شرح ما أضافه المسلمون من قوانين ودساتير واكتشافات في الرياضيات استاذ الفيزياء الرياضية في جامعة استانبول : صالح زكي في أربعة مجلدات أسماها : « الآثار الباقية » وهو كتاب ممتع ، يطلع الانسان عند مطالعته على مدى عمق التفكير والتتبع الرياضي لدى المسلمين . وهذا نصير الدين الطوسي له مكتشفات في تسطيح الارض وتربيع الدائرة ومساحة الاشكال الكروية والمنحنيات وكتابه : « كتاب الشكل القطاع » كتاب وحيد من نوعه . ترجمه الغربيون الى اللاتينية والفرنسية والانكليزية وبقى قرونا عديدة مصدراً لعلماء أوربا ، يستقون منه معلوماتهم في المثلثات المستوية والكروية (١) . والطوسي

---

(١) سورة الاسراء : ٣٤ . (١) كتاب : فلاسفة الشيعة ، ص : ٩٤ .

أول من استعمل الحالات الست للمثلث الكروي القائم الزاوية .

ولأبي جعفر المصري وأبي سعيد السجستاني وعلي بن أحمد الموصلي وأبي يوسف الكندي ومحمد بن ميسر البغدادي آثار هامة في الرياضيات ومكتشفات جديرة بالذكر والتقدير .

وأما أبو العلاء البيهقي فقد ألف في الميكانيك والأثقال كتاباً قيماً وكذلك في دقائق المخروطات .

كما ان لأبي الريحان البيروتي مكتشفات رياضية جديرة بكل تقدير .

وهكذا نرى أن المسلمين يعدون آباء العلم الحديث على حد تعبير « نهرو » .

إن علياً عليه أفضل الصلاة والسلام كان له اليد الطولى في وضع أسس العلم الحديث ولكنه عاش في وقت الجدب العلمي في العلوم الكونية في الجزيرة العربية ، فلم تستفد الناس من مواهبه وكمالاته .

فيحق لأحد المفكرين أن يقول : « الاسلام هو الدين الوحيد الذي يماشي العلم المادي والفلسفة الحقة » .

ويحق لـ (وولتر) أن يقول : « إن (مارتن لوتر) لا يقوى على حلّ عقد خيوط حذاء محمد » . كل ذلك عندما يرى عظمة الاسلام في حقول شتى ، في حقل الفلسفة الحقة والاخلاق المثالية والعدالة الاجتماعية وادارة البلاد والسياسة الدولية والعلوم المادية بفروعها المتنوعة . مع أنه لم تكن لدى (وولتر) مصادر كافية عن الدين الاسلامي .

فحقيق بشبابنا الجامعي أن يقدر الاسلام حق قدره ، وأن يضحي لأجل تحكيم دعائمه ونشره في أرجاء المعمورة . فانه تعالى يقول :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » [٢] .

---

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

الصادق عليه السلام والعلم الحديث

قد يتساءل الناس : هل ان الامام عليه السلام كان مستوعباً العلم الحديث ، أو كان يعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم ؟

إن ما نقرأه عن أحوال الأئمة عليهم السلام ــ يشير الى ذلك ، وانهم كانوا يجيبون بصورة ارتجالية دونما تفكير على أسئلة صعبة في حقول العلم الحديث ، مسائل يحتاج حلها الى تفكير ووقت لا يستهان به ، مسائل ما كان ليقوى على حلها العلماء من جميع الأمم في ذلك العهد . ولم نجد في ما نقرأه عن أحوال الأئمة ــ عليهم السلام ــ أنهم استمهلوا للاجابة على مسألة ، أو عينوا موعداً للجواب ، عدا ما صدر عن جميعهم ــ عليهم السلام ــ إخبار بالغيب طابق الواقع تماماً : فقد قال الرضا عليه السلام : « سوف لا يحج من ملوك بني العباس أحد بعد هارون » ، وكان كما أخبر به الرضا (ع) . وقال عليه السلام : « هارون وأنا كهاتين . وضم اصبعيه » . قال الراوي : ما عرفنا معنى حديثه حتى دفناه معه .

وإن هذا العلم ــ وأعني به علم الامام عليه السلام ــ على ضربين :

١ ــ علم مستقى من رسول الله صلى الله عليه وآله على حد قول علي عليه السلام : « علمني رسول الله ألف باب من العلم ، ينفتح لي من كل باب الف باب » ، وقوله : « سلوني قبل أن تفقدوني ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقني رسول الله زقا » ، وقوله : « سلوني ، فان عندي علم الأولين والآخرين » ... الى ما هنالك من روايات كثيرة ، كلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو المعلم الاول لعلي عليه السلام في شتى العلوم ، وعلي (ع) معلم الأئمة ــ عليهم السلام ــ .

٢ — وعلم يأتي من طريق الالهام ، وهو علم لدني (إن صح التعبير) .

فان المكتشفات الحديثة تعتمد — في الدرجة الاولى — على الالهام والحدس (Intuition) وما يراه المكتشف في حلمه (في عالم الرؤيا) .

يرى المكتشف في عالم الرؤيا أنه يُلهم مراحل حل مسألة رياضية صعبة لم يقوَ على حلها مدة مديدة . ويلهم صنع آلة ، أو تركيب مواد وعناصر لصنع دواءٍ ناجع لمرض تعسر شفاؤه ... الى ما هنالك .

وقد جاء في الحديث : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » .

هذا العلم ليس بالعلم المادي فحسب ، وانما هو المعارف الالهية أو الفلسفة الالهية الحقة ، تأتي كرشحاتٍ للنفس الزكية ، برياضاتها وقيامها بأعمال صالحات ، انه علم بحقيقة الكون والحياة والوجود ، انه علم يفسر هذه الآية الشريفة : وهي قوله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » .

انه علم جاء من مراقبة النفس وجعلها مطيعةً لأوامر الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة ... انه علم يورث الخشية، علم يمنُّ الله تعالى به على عبد هو مصداق هذا الحديث : « ان من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه » .

انه علم يتأتى من الاخلاص عند الصباح ، على حد ما جاء في هذا الحديث :

« مَن أخلص لله أربعين صباحاً ، جرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » .

هذا النوع من العلم — العلم بما وراء الطبيعة والوقوف على فلسفة الكون الحقة — لا يتأتى الا من ناحية التقوى وتزكية النفس ، ومَن مثل الامام المعصوم في مراتب التقوى وتزكية النفس ، فنفوسهم — عليهم السلام معصومة من الزلل ، بالغة أسمى مراتب الزلفى ، نتيجة التقوى ، تقوى لا يقوى

عليها غيرهم — صلوات الله عليهم ، فهم منهج الايمان ، ومعادن الحقائق ، وشفعاء الخلائق ، ومفاتيح رحمة الله ، ومقاليد مغفرته ، وسحائب رضوانه ، ومصابيح جنانه ، وحملة فرقانه ، وخزنة علمه ، وحفظة سره . ولهم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء [1] وجعلها أوعية للشكر والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصفاها من سوء شواغل الفترة .

فهم ، على ما جاء في زيادة الجامعة : « خزان العلم ، ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ودعائم الاخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأمناء الرحمن وسلاسة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة ربّ العالمين » .

***

نعم ، ان الالهام الرباني كان حليف المكتشفين وهم لم يقطعوا شوطاً في عالم التزكية . وانهم ليعترفون بالالهام الرباني في مكتشفاتهم ومخترعاتهم، ويقولون : تملى علينا الحقائق والمعادلات والقوانين كأن شخصية مجهولة تلقننا وتملي علينا مراراً ومرارا ، ونحن ندوّن ما يملى علينا من خارج أنفسنا دون أن تكون لنا تجارب سابقة توصلنا الى ذلك .

لقد سئل (فراداى) عن سر نجاحه الكبير فيما اكتشفه في العلوم الطبيعية والكيميائية والكهرباء ووضعه بعض الدساتير دون أن يكون بارعاً في الرياضيات التي تعتبر أساساً لما اكتشفه فقال :

« انه ينظر الى طبيعة الأشياء ، فيرى ريشة سحرية تخط على صفحات عقله الآراء المبتكرة ، فيمتحنها في مخبره ومختبره ، فاذا بها هي الحقيقة « المنشودة ! » .

أما (ألبرت أينشتاين) ، الذي يعدّ من أعلم علماء العلم الحديث في

---

(١) من زيارة خاصة جامعة لائمة المؤمنين .

القرن العشرين ، فقد كان بطيء النمو والنطق ، ضعيف العقل في صغره ، حتى صار والده يقدم له أنواع الهدايا واللعب كي يتلافى ما عليه من نقص . وكان غير مختلط بالأطفال منعزلاً عنهم . وفجأة نظم أينشتاين أناشيد في مدح العزة الالهية والدعاء والاستغفار . ويلج بعد ذلك ميادين الطبيعة والرياضيات العالية . ويقول هو عن ذلك : « كأن عاصفة قد انطلقت في رأسي تلهمني المكتشفات » .

والطبيب العالمي « باتينك » مكتشف (الأنسولين) الذي يعالج مرض البول السكري ، قد يئس من كشف دواءٍ ناجع بعد دراسات طويلة على الكلاب دامت مدة مديدة . وفي ليلة أجهد فيها نفسه في البحث . فلما ذهب الى فراشه نام نوماً قلقاً . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل هب من سريره ، وهو يستمع الى قول يتردد في أذنه ، ودونه في مذكرته وهو يغالب النوم : « اربط قناة البنكرياس في الكلب ، ثم انتظر ستة أسابيع الى ثمانية حتى تضمر ، ثم استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة » .

وبعد أن دونها نام الى الصباح . فذهب الى (مكلود) : رئيس قسم الفسلجة في كلية الطب بجامعة (تورنتو) الذي استمع اليه وهو يضحك مما يعتقد أنه أضغاث أحلام ، أو أحلام متعب مكدود . فلما علم أن (باتينگ) يريد أن يبيع عيادته ليجري هذه التجارب وافق : (مكلود) بدون اقتناعٍ بصحة ما سمع وسافر في إجازة وترك (باتينگ) ليجري تجاربه على عشرة كلاب . وقد نجحت تجاربه في ٢٧ يوليو ١٩٢١ وكان كما سمعها تتردد في أذنه وهو في منامه .

ويقول (جونسون) في كتابه : (المسألة الكبرى) ، إن [دي ليفد] الموسيقي الشهير ، انما اشتهر في اختراعه : (لحن السماء) و (أغنية العميان) لأنه سمع هذين اللحنين وهو نائم ، فلقن حالة النوم ، ويقول : ليس هذان

اللحنان من اختراعه !

وأما العلامة الرياضي الشهير : (هنري پوانكاره) حاول غير مرة أن يستكشف قانوناً عاما لحل مجموعة معادلات جبرية ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد أن رأى الحل مكتوبا تفصيلا في نومه وهو القائل كلمته المشهورة : « نحن الرياضيين ، انما نعمل لأجل الفيزياء والفلسفة ! » ، علماً منه : أن الفلسفة الحقيقية يجب أن تبتنى على العلم الصحيح الذي لا غبار عليه وقد خرج من مرحلة الظن والاحتمال ولا يقبل الشك والترديد وهو الرياضيات البحتة .

عندما كنت أدرس في المتوسطة ، عصت مسألة هندسية على مدرس الهندسة ، فلم يقوَ على حلها وطلب الي أن أحلها . فحاولت أن أحلها وأنا في الترام في طريقي من بغداد الى الكاظمية فلم أستطع ، واشتغلت فيها ليلا ، فلم أستطع ، حتى اذا كان الصبح ، فصليت صلاة الصبح ، ثم قلت في نفسي لأصلِّ ركعتين وأسأل الله بعدهما أن يمن علي بالحل . فبينما أنا في التشهد اذ تتراءى لي خطوط أوصلتها فحلت المسألة بصورة بسيطة وأنا في حال التشهُّد .

كان المسلمون الأوائل : عندما كان الغربيون يؤمون جامعات الشرق ، المستنصرية ، جامعة القاهرة ، جامعات الاندلس ، يسألون الله تبارك وتعالى في حل مشاكلهم العلمية ويقال عن كثير منهم : اذا تعسرت على أحدهم مسألة ، صلى ركعات وسأل الله تعالى حل مسألته واذا بها تحل بأمر الله والهامٍ منه تعالى .

والمعروف : أن الدكتور : جيمس گريكوري الفلكي الرياضي الاسكتلندي انما حصل على أبرع آرائه العلمية خلال أحلامه .

فالله تبارك وتعالى هو الملهم للنحل لصنع بيوتها الهندسية على شكل

مسدسات منتظمة ، ذلك لأن من لم يدرس في المدارس المتوسطة لا يقوى على رسم مسدس منتظم • ولا يعلم أن ضلع المسدس المنتظم يساوي نصف قطر الدائرة المحيطة به الا مَن درس الهندسة ونظرياتها • وفي أية مدرسة متوسطة درس النحل البراهين الهندسية ونظرياتها حتى يبني بيته العجيب على شكل مسدسات منتظمة تنعدم المسافة بينها : مسافات لا فائدة منها •؟

ولا يوجد الا ثلاثة أشكال تبنى منها غرف متصلة تنعدم الفاصلة بينها • وهذه الاشكال هي : المثلث المتساوي الاضلاع والمربع والمسدس المنتظم وهو أصعبها في التنفيذ • وهو ما يقوم به النحل • لذلك يقول العالم : (مترلينك): « لو أن أحداً من عالم آخر هبط الى الارض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة ، لما وسعنا الا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل » •

وإن النظام المعماري العجيب الذي نجده في أعشاش النمل مما يدل دلالة واضحة ان الله هو الذي يلهم النمل في صنع عشه ، صنعاً كان يعجز عنه الانسان القديم مع ما أوتي من عقل وفكر • فالنمل يصنع بناءاً ذا عشرين طابقاً ، قد حقق في كل طابق ما يحتاجه النمل من حرارة مناسبة ورطوبة وتهوية وقاعات للاجتماع وغرف لتربية الصغار •• الى ما هنالك •

على ان النمل يملك جيوشاً منظمة ، يمارس من أنواع الحروب التي يمارسها الانسان • كالحرب المكشوفة ، والهجوم الشامل والتعبئة العامة وحرب الخنادق والمفاجآت وخطط التسلل وحرب الابادة الشاملة والحصار والاقتحام والهجوم والتقهقر والانسحاب الاستراتيجي • الا انها تتميز بميزتين أساسيتين ، عجيبتين : الأولى : احترام ملكية الغير احتراماً كاملاً والثانية : تقديم الطعام للنمل الجائع •

ولننظر الى أخلاق النمل عندما تقدم طعاماً لغيرها من النمل من داخل

معدتها ، اذ انه حين تخرج الطعام لغيرها من معدتها تصبح واضحة السعادة فرحة . حتى أن النملة لا تستطيع مقاومة تضرعات العدو الجائع ، فتقدم له حاجاته من الطعام قبل احتدام القتال .

فليتعلم الانسان من النمل هذه الاخلاق الرفيعة !

وهكذا نرى أن الالهام من جانب الله تعالى ضارب بأطنابه في أرجاء الكون . وان حصة الانسان من هذا الالهام الرباني أكبر من غيره من المخلوقات وكيف لا يكون الامام عليه السلام مع ما أوتي من نفس زكية طاهرة مُلهماً علوماً شتى ومعارف جمة يعجز عن الوصول اليها البشر العادي .

***

يروى لنا الجنابذي في معالم العترة الطاهرة عن صالح بن الاسود :

سمعت جعفراً الصادق يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني ، فانه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي . فكان يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب ، وحديث علي حديث رسول الله » .

نعم ، قد أملى الصادق عليه السلام خمسمائة رسالة في علم الكيمياء على جابر بن حيان .

يقول : (هوليارد) : « إن جابرا هو تلميذ جعفر الصادق أو صديقه ، وقد وجد إمامه الفذ سنداً ومُعيناً وراشداً أميناً وموجهاً لا يستغنى عنه . وسعى جابر بن حيان أن يحرر الكيمياء بارشاد استاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية [1] فنجح في هذا السبيل الى حد بعيد ، ومن أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن في العالم مثل : بويله ، بريستله ، لاووازيه وغيرهم من الاعلام » .

---

(١) الامام الصادق : ملهم الكيمياء . ص : ٣٧ .

وقد يستغرب بعض الكيميائيين من علم الامام عليه السلام في الكيمياء مع كونه في المدينة !

لذلك ، يقول : (روسكا) : « انه لمن المستحيل على جعفر أن يكون كيميائياً ، فليس من الممكن أن يتعاطى تلك الصنعة سواءً كان نظرياً أم عمليا وهو في المدينة !

ذلك ، لأن روسكا وأمثال روسكا لم يصلوا الى حقيقة الامامة . وكيف أن الله تعالى يُجري على يدي الامام الخوارق والمعاجز اظهاراً لامامته ، كما يُجري ذلك على أيدي الأنبياء عليهم السلام ، وهو على كل شيء قدير .

فجابر بن حيان الذي يُعد من أساطين علم الكيمياء يذكر في رسائله : أن جعفر بن محمد هو الذي ، قال له ، أو علمه ، أو ألقى عليه ، أو حدثه بكذا ، ويقول في رسائله الموسومة بـ (المنفعة) أخذت هذا العلم عن جعفر ابن محمد عليه السلام .

كان يقول علي عليه السلام : « في التجارب علم مستأنف » . وها هو جابر بن حيان تلميذ الصادق عليه السلام ، يقول [1] : ملاك هذه الصنعة العمل . فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبداً ، ويقول جابر بن حيان في مقام آخر :

« إن الأصل كان من الطبائع لا من غيرها . فالوصول الى معرفتها ميزانها . فمن عرف ميزانها عرف كل ما فيها ، وكيف تركبت . والدربة مخرج ذلك . فمن كان دربا ، كان عالما حقاً ، ومن لم يكن دربا لم يكن عالماً . وحسبك في الدربة في جميع الصنائع . اذ الصانع الـدرب يحذق وغير الدرب يعطل » .

نعم ، ان جابراً قد تعلم من استاذه الصادق عليه السلام علماً سماه :

---

(١) فلاسفة الشيعة : ص : ٢١٢ .

علم الموازين ، في الكيمياء وهي المعادلات الكيمياوية التي نجدها في الكتب الحديثة ، مثال ذلك :

$$2\,H_2SO_4 + Cu = CuSO_4 + SO_2 + 2\,H_2O$$

$$S + Cu + O_4 = CuSo_4$$

وقد علمه الصادق عليه السلام كيفية استحضار الحامض الكبريتيك ، والحامض النيتريك ، وهو أول من اكتشف (الصودا الكاوية) ، وأول من استحضر ماءَ الذهب وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض ، ولا تزال هذه [1] الطريقة تستخدم الى الآن في تقدير عيارات الذهب في السبائك وغيرها ، وهو كذلك أول من لاحظ ما يحدث من راسب (كلورور الفضة) عند اضافة محلول ملح الطعام الى محلول نترات الفضة .

ويُنسب الى جابر أيضاً ، وهو ما تعلمه من امامه الصادق عليه السلام ، استحضار مركبات أخرى غير التي مرت ، كـ (كاربونات البوتاسيوم) ، و (كاربونات الصوديوم) ، واستعمل (ثاني اوكسيد المنغنيز) في صنع الزجاج ، وتعلم جابر خصائص ومركبات الزئبق واستحضرها . وقد استعمل بعضها فيما بعد في تحضير (الأوكسيجين) . ولا يخفى أن جميع هذه المركبات ذات أهمية كبرى في عالم الصناعة ، فبعضها يستعمل في صنع المفرقعات والأصبغة ، وبعضها الآخر في السماد الصناعي والصابون والحرير الصناعي .

وقد تعلّم جابر من استاذه الامام الصادق عليه السلام الطرق التجريبية

---

(٢) يراد بـ (S) : الكبريت و بـ (Cu) : النحاس و بـ (O) الاوكسيجين .

(٣) يراد بـ (H_2SO_4) : حامض الكبريتيك و بـ (H_2O) : الماء و بـ ($CuSO_4$) : كبريتات النحاس و بـ ثاني اوكسيد الكبريت .

(١) فلاسفة الشيعة : ص : ١٨٨ .

والعمل في المختبر ، ثم المشاهدة والاستنتاج . وكان يقول : « إن واجب المشتغل بالكيمياء هو العمل واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها » .

***

كان الصادق سلام الله عليه ، عدا علمه بموازين الكيمياء يعلم منطق الطير . وان العلم الحديث ليعترف بمنق الطير وحركات خاصة ، لها معانٍ يتفهمها الطير المخاطب .

فقد قال جابر بن حيان : « كنت عند مولاي الصادق عليه السلام ، اذ سقطت بين يديه حمامتان ، فهدر الذكر على الانثى ، ثم جاء اليها وأحكم برأسها منقاره ، وبعد قليل طارا . فقلت يا مولاي ، ما كان من أمرهما ؟ فقال : الذكر اتهم الأنثى بفرية ، فأنكرت ، وما زال بها حتى حلفت بالبراءة من المولى ، عندئذ صدقها » .

***

قد وضع جابر بن حيان ١٣٠٠ مؤلف في الحيل (الميكانيك) و ٥٠٠ مؤلف في الطب ، ولا شك ان جابرا ، ما كان ليقوى على أن يأتي بهذه المؤلفات لا سيما ، في الميكانيك ، الا اذا استقاها من منبع فياض نمير ألا وهو امامه الصادق عليه السلام ، ذلك لأن ما هو مدوّن الآن في علم المكانيك بصورة موضوعية دون تكرار نفس الموضوع ، مثل ما يدون (في دائرة المعارف للعلوم) لا يمكن أن يتجاوز ٣٠٠٠ صفحة بما في ذلك : الميكانيك العادي والميكانيك الرياضي : Mécanique rationnelle ولو كانت مؤلفات جابر بن حيان في الميكانيك موجودة لحد الآن لخطا العلم في حقل القوى والحركات خطوات ناجحة ، سريعة ، ولكانت ثروة عظيمة في حقل العلم المادي ، للمخترعين والمكتشفين .

***

ان جابر بن حيان كان يعظم إمامه الصادق عليه السلام أيما تعظيم ويقسم

به كثيراً في المعضلات ، من جملة ذلك : قوله :

« وهذا ، وحق سيدي ، كلام جوهري ، نقي ، ما فيه شوب ولا رمز » .

ومن جملة كلامه :

« أتعلم ما قد كشفت للناس فيه ، فان لم تصل اليه فاطلبه ، فانه يخرج لك جميع غوامض كتبي وجميع علم الميزان ، وجميع فوائد الحكمة ، وتصير به ، وحق سيدي عليه السلام ، من أهل الصنعة ، وتعلم الصالح من الفاسد والسلام [1] » .

***

ويقول في مقام آخر : « وحق سيدي ، ما وقعت كتبي الى انسان ، فضيعه الله ، بل يكون له رزق ، ولو اجتهد الناس كلهم على حرمانه ما أمكنهم » .

***

وقد سئل أبو عبدالله الصادق عليه السلام : كما جاء في الوسائل في باب الاجارة : عن رجل قبّل رجلاً حفر بئرٍ عشر قامات بعشرة دراهم . فحفر قامة ، ثم عجز . فقال : « له جزء من خمسة وخمسين جزءاً من العشرة دراهم » .

من الواضح المعلوم أن التعب الذي يصيب الرجل في حمل مقدار من التراب الى مسافة مترين ضد الجاذبية الأرضية هو ضعف ما يصيبه لنقل مثل ذلك المقدار من التراب الى مسافة متر واحد فقط ضد الجاذبية الأرضية . فان القوة التي تصرف ضد الجاذبية الأرضية لرفع كيلو غرام واحد الى مسافة متر واحد يطلق عليها في الفيزياء (كيلو غرام ــ متر) = كغم/متر . فاذا رفعنا الكيلو غرام الواحد الى مسافة مترين كانت القوة المصروفة تعادل ٢ كيلو غرام ــ متر : ٢ كغم/م . و واذا رفع ٣ كيلو غرامات الى أعلى كانت

(١) الامام الصادق : ملهم الكيمياء ، ص : ١١٣ .

القوة المصروفة ٣ كغم/م ٠ وهكذا ٠

فالطاقة التي صرفت لرفع مقدار معين من التراب ضد الجاذبية الارضية الى ارتفاع قامتين هي ضعف ما يصرف الى ارتفاع قامة واحدة وهكذا ٠ فلنحسب وحدات الطاقات المصروفة لحفر البئر كلها بهذا الاعتبار :

١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩ + ١٠ = ٥٥ وحدة

أو حصة ٠ فيجب أن يقسم ١٠ دراهم على ٥٥ حصة : $\frac{١٠}{٥٥}$ من الدرهم

وهذا ما يستحقه المستأجر من المبلغ كله ازاء حفره قامة واحدة ٠

فهنا : ١ + ٢ + ٣ + ٤ ٠٠٠٠ + ٠٠٠ + ١٠ متوالية عددية أساسها = ١

والحد الاول = ١ وعدد الحدود = ١٠ والحد الاخير = ١٠

أي د = ١ ، ا = ١ ، ن = ١٠ ، ل = ١٠

فمجموع الحدود حسبما معروف في الجبر :

$$ح = \frac{ن}{٢} (ا + ل) \quad \text{وبالتعويض}$$

$$ح = \frac{١٠}{٢} (١ + ١٠) = ٥ \times ١١ = ٥٥$$

أو باستعمال الاساس :

$$ح = \frac{ن}{٢} [١ ا + (ن - ١) د] \text{ ، وبالتعويض}$$

$$ح = \frac{١٠}{٢} (٢ + ٩) = ٥ \times ١١ = ٥٥ ٠$$

وان الصادق سلام الله عليه كان عالماً بالطب الى حد بعيد ٠ وان ما دوّنه جابر بن حيان في الطب في مؤلفات جمة انما هو مستقى من علم الصادق (ع)

وما جاء في توحيد المفضل عن طبائع الأشياء وفوائد الأدوية وما جاء فيه من معرفة الجوارح التي تكفل بها علم التشريح ومناظراته مع الطبيب الهندي ، كل ذلك دلائل واضحة على ما كان للصادق من علم واسع في حقل الطب وطبائع الأشياء . وهو القائل : « ان لكل ثمرة سماً . فاذا أتيتم بها ، فأمسّوها الماء واغمسوها في الماء » .

وبقوله : « انا أهل بيت لا نتداوى الا بافاضة الماء البارد ، يصب علينا » .

وقد نطقت الأخبار ودلت الآثار أن الصادق عليه السلام قد كلم الفرس بلسانهم وأهل اللغات المختلفة بلغاتهم وناظر أهل كل علم وفن فخصمهم مثل علماء النجوم والفلك ، والطبيعيات والطب وما عداها .

***

والاسلام دين يحث على العلم والتعقل والتفكر والنظر الى حد بعيد وذلك بقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رُفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الارض كيف سُطحت » [١] وبقوله :

« إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والارض لآياتٍ لقوم يعقلون » [٢] .

وبقوله : « واذا ناديتم الى الصلاة إتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وبقوله : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون » .

---

(١) سورة الغاشية .

(٢) سورة البقرة .

وبقوله : « قل ، هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وبقوله : « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ... » .

وبقوله : « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج » .

وبقوله : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به ثمرات مختلف الوانها ، ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه ، كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماءُ ، ان الله عزيز غفور » .

وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يدعوه بهـذا الدعاء : « ربِّ زدني علماً » .

فكان للمسلمين مكتشفات هامّة استجابةً للآيات القرآنية المتقدمة وأحاديث نبوية ، منها : « تعلموا العلم من المهد الى اللحد » . « تعلموا العلم ولو بالصين » .

***

واضح أن الامام الصادق عليه السلام لم يجد بيئةً صالحةً لبث علومه الجمة ، اذ أن الوسط الاجتماعي لم يكن وسطا علمياً مركزاً كما نراه اليوم . لذلك ، لم يكن للمسلمين حظ وافر للاستفادة من علومه في حقول شتى . على ان ما أودع الله من خواص ومعادلات وقوانين في أجزاء هذا الكون تكاد لا تتناهى ، فكلما عثرنا على قانون أو خاصية جاءت وراءها قوانين وخواص تدهش الألباب .. فالكيمياء الذرية الحديثة علم حديث يحاول الوقوف على سر الخلق ! وهيهات !! نعم ، صاروا يقولون : الحياة : تفاعلات كيمياوية ، ولكنها ليست كتلك التي تجري في الأواني والاوعية في المختبرات ، فللأوعية والمخابر كيمياؤها وللحياة كيمياؤها : انهم بحثوا عن المادة الكيمياوية التي

يختبىء وراءها سر الحياة ، فوجدوها في حمض ، سموه : الحمض النووي ! وأشاروا اليه بأحرف : DNA . ثم صاروا يقولون : ان سر الحياة يختبيء وراء هذا الحمض ، حتى قالوا ان الحياة هي هذا الحمض نفسه لا غير ؟! (١)

ولقد أخذ علماء الكيمياء الحيوية يبحثون في الحموض النووية ، فألفوها متصفة بصفات خاصة لا عهد لهم بأمثالها في الحوامض المعروفة . وكان أعظم هذه الصفات شأناً قدرة الحوامض المذكورة على التكاثر العفوي وتمكنها من التمثل ، ولقد أمكن بطرق كيمياوية معقدة وأساليب دقيقة استخلاصها ، فتبين أنها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية تؤلف وحدة صغيرة تتسلسل وتتكرر بشكل شريط أو سلسلة طويلة تقابلها سلسلة أخرى مثلها ، تصطف أمامها وتلتف احداهما حول الاخرى بشكل حلزوني ويربط بين السلسلتين ، بمسافات متساوية الأبعاد ، روابط هيدروجينية تجعل شكلها النهائي كشكل سلم لولبي أو درج مأذنة مستديرة . ولقد تبيَّن ان ما يميز حمضا نووياً من آخر هو طريقة ترتيب المواد الواحدة الداخلة في كل منها ، كما ان غياب أحدها واستبداله بنوع آخر يؤدي الى تغير في طبيعة الحمض النووي ، وقد شبهوا ذلك بكلمات من حروف محدودة يتبدل معناها ويتباعد باختلاف ترتيبها ، فان حرف : ح ، س ، ب اذا تتابعت فيها الحروف ح ، س ، ب كان معناها : حسب ، من الحساب ، واذا تعاقبت بالترتيب الآتي : س ، ح ، ب كان معناها سحب من السحب . لقد صاغوا الحمض النووي وبلوروه ، فكان من ذلك : حمض : ظنوه سر الاسرار ! ولكنه بدا عاجزا عن التكاثر بصورة عفوية ، كما يتكاثر الحمض النووي الذي وجد في الحمات . كانت صبغات الحمضين واحدة ولكن الفرق بينهما عظيم جداً : هو الفرق بين الحياة والموت ، هو الفرق بين الصنم العديم الروح والجسد الحي الآهل بالروح . لقد كان

(١) مجلة حضارة الاسلام : السنة الرابعة ، العدد السادس .

عنصراً طبقوا عليه تعبير سرّ الاسرار !!.. ولكن ينقصه الواجب الوجود الأزلي وهو قدرة الباري جل جلاله الخلاقة واهبة الحياة ونافخة الروح .

فما هي الروح كيف تدب في الأجسام الكيمياوية سؤال شغل العلماء والفلاسفة منذ قديم الزمان . ولا يزالون في أول المرحلة ، وهو الاعتراف بواجب الوجود وهو الله تعالى وسيبقون كذلك أبد الآبدين . وهو قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

لذلك يقول عدد من علماء الفضاء والذرة الأمريكيين والروس : « وكلما ازددنا علماً بالفضاء وأسباب الحياة زاد جهلنا » .

ويقول : (لنكولن بارنت) : « ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود ، بسبب عجز جهاز الابصار عنده ، ولو أن عينه كانت أكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الأشعة السينية لبدت له الدنيا مختلفة تماماً عما يراها الآن » .

حقاً ، ان الانسان لا يزال ناقصاً في ملكاته وقابلياته سواء منها الحواس وقابلية التفكير ، وسيبقى ناقصا ويظل يتتبع ويجد فيفتح له باب من العلم بهذا الكون الرحيب واذا به أمام أبواب لا تتناهى من المجاهيل وهكذا أبد الآبدين . ذلك : لأن ما أودع الله تعالى من خواص وتركيبات معقدة في كل جزء أو جزيء أو ذرة من هذا الكون المعقد تكاد لا تتناهى وهو قوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

نعم ، كل هذه المكتشفات وما أملاه الامام من علوم تساعد على معرفة الله ، لو طهرت النفوس من أدرانها وأرجاسها ولم تحجب عن التقرب الى الله بالمدنسات . ذلك لأن : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » [1] .

(١) من كلام لعلي عليه السلام .

وان معرفة الله تعالى غاية الغايات والعلوم المادية تبرهن على عظمة الله تعالى وسعة علم الله الذي لا يتناهى . ولا شيء ألذ من معرفة الله تعالى وتسبيحه وتقديسه . ولنستمع الى ما يقوله الامام (جعفر بن محمد) عليهما السلام في معرفة الله تعالى :

انه عليه السلام يقول : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الأعداء من زهرة هذه الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنات مع أولياء الله . ان معرفة الله عز وجل آنس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم » .

استمعوا الى ما يقوله الشهرستاني في إمامنا جعفر الصادق عليه السلام : « هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط . وقيل : من أنس بالله استوحش من الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس » . ومن كلماته سلام الله عليه : « من طلب الرياسة هلك » .

يُروى : ان سفيان الثوري ، الذي كان محدث العراق وواعظ الكوفة حضر مجلس الصادق عليه السلام والامام صامت لا يتكلم ، فقال الثوري : « لا أقوم حتى تحدثني » . فقال الصادق عليه السلام : « أنا أحدثك ، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان ... اذا أنعم الله بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها ، فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فان الله عز وجل قال في كتابه :

« لئن شكرتم لأزيدنكم » ، واذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، فان الله عز وجل قال في كتابه : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويجعل لكم جناتٍ ، ويجعل لكم أنهاراً » ... يا سفيان ، اذا حزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من « لا حول ولا قوة الا بالله » فانها مفتاح الفرج . وكنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده ، وقال : « ثلاث وأي ثلاث » .

وكان أبو حنيفة يروي عن الصادق عليه السلام ، ومع انه كان في مثل سن الصادق عليه السلام لم يتأبَّ عن الأخذ عنه ، فقد صحب الصادق (ع) سنتين وكان يقول : « لولا السنتان لهلك النعمان » .

وان الصادق سلام الله عليه كان اذا التقى بأبي جعفر المنصور يقول الحق تصريحاً وتلميحاً ، ويروى ان ذبابا حام حول وجه المنصور حتى أضجره ، وأبو عبدالله عليه السلام في المجلس ، فقال : « يا أبا عبدالله ، لِمَ خلق الله الذباب ؟ » ، فقال الصادق عليه السلام : « ليذلَّ به الجبابرة » .

وقد كتب اليه المنصور قائلاً « لِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ » فأجابه الصادق عليه السلام : « ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنيك ، ولا نراها نقمة فنعزيك » فكتب اليه المنصور : « تصحبنا لتنصحنا » ، فأجابه : « من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك » .

انظروا الى ما يقوله (مالك) عن الصادق عليه السلام ، انه يقول : « لقد كنت آتي جعفر بن محمد ، وكان كثير التبسم ، فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اخضر واصفر ، ولقد اختلفت اليه زماناً ، فما كنت أراه الا على احدى ثلاث خصال : إما مصلياً ، واما صائما ، واما يقرأ القرآن ، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا

على الطهارة ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله . وما رأيته الا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي » . وجعل يعدد فضائله .

ولقد سئل سلام الله عليه : لماذا حرم الله الربا ؟ فأجاب : « لئلا يتمانع الناس » . وهو الحق ، ذلك لأن الناس اذا كانوا لا يقرضون الا بالربا ما وجد تعاون بينهم وعند عدم وجود التعاون حصل التمانع بينهم واذا حصل التمانع أحضرت الأنفس الشح .

وقد بلغ الامام مرتبة قاصية من السخاء ، فكان يعطي حتى لا يبقي لعياله شيئاً . وكان يقول : « لا يتم المعروف الا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستره » .

وكان الصادق عليه السلام حليماً ، سمحاً الى أبعد حد ، ويقابل الاساءة بالتي هي أحسن ، عملاً بقوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . وكان يقول : « اذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم ، فانه ان كان كما يقول فيه القائل كانت عقوبة قد عجلت ، وان كان على غير ما يقول ، كانت حسنة لم يعملها » .

وكان عليه السلام رفيقاً مع كل من يعامله من عشراء وخدم . يروى في ذلك : انه بعث غلاماً له في حاجة فأبطأ فخرج يبحث عنه ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه ، وأخذ يروّح له حتى انتبه ، فقال له : « ما ذلك لك . تنام الليل والنهار ! لك الليل ، ولنا النهار » .

وكان عليه السلام يدعو الله أن يغفر لمن أساء اليه . فقد كان اذا بلغه نيل منه أو شتم له في غيبته ، يقوم ويتهيأ للصلاة ، ويصلي طويلا ، ثم يدعو ربه : ألا يؤاخذ الجاني ، لأن الحق حقه ، وقد وهبه الجاني غافراً له ظلمه . وكان يعتبر : من ينتقم من عدوه — وهو قادر على الانتقام — ذليلاً . وقد

نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : « ما نقص عَفو من عز ، وما نقص مال من صدقة ! » .

وكان الصادق سلام الله صبوراً الى حد بعيد . فقد مات بين يديه ولد صغير له ، فبكى وقال : « لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت » ثم حمله الى النساء ، فصرخن حين رأينه ، فأقسم عليهن أن لا يصرخن ، ثم أخرجه الى الدفن وهو يقول : « سبحان من يقبض أولادنا ، ولا نزداد له الا حباً » ، ويقول بعد أن واراه التراب : « انا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا ، فاذا أحبَّ ما نكره فيمن نحبُّ رضينا » .

وهكذا كان الصادق عليه السلام مثالاً رائعاً في كل فضيلة ، وكان رجلاً مثالياً في كل صفة من صفات الكمال . فهو الامام حقاً بعلمه ، وعبادته وسمو صفاته وجهاده المبين . فيجدر بفلاسفة العالَم أن يستقوا من علمه ويقتدوا بسيرته ويصححوا فلسفتهم على ضوء معارفه فيخرجوا الناس من الظلمات الى النور . فقد قال الله تعالى : «ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور !» [1] .

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

هل ينقذنا العلم فحسب

كانت أوروبا في القرون الوسطى تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط المرير نتيجة الرهبانية التي كان يتعاطاها القساوسة ورجال الدين ، وانتشرت حياة العزوبة التي كانت الرهبان يزينونها للناس ويرغبون فيها ، مما أدى الى قلة النفوس وانتشار الأوبئة والأمراض في طول القارة الاوربية وعرضها ، وقد دس هؤلاء الرهبان في كتبهم المقدسة معلوماتٍ بشريةً ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية بمقدار ما كان موجوداً في ذلك العصر ، وعدوا ذلك مقررات دينية لا يمكن أن تتبدل أو تتغير ، حين أن العلوم الطبيعية رهينة التجربة والبحث. ولم تكن الطريقة التجريبية متأصلة في ذلك الوقت . فجاء دور التجربة والمشاهدة والبحث على ضوء التجارب المتكررة ، بالآلات والأدوات وأجهزة خاصة ، فثبت اذ ذاك عدم صحة ما دوّنه الرهبان في كتبهم الدينية عن الفلك والأمطار والزوابع والرعد والبرق ... الى ما هنالك فحصل شجار وتضارب بين المكتشفات المستندة الى التجربة والاستقراء وبين ما دوّن من الخرافات في الكتب الدينية من قبل الرهبان . أي حصل كفاح مشئوم بين الدين والعقل ، والعلم الذي انهزم فيه الدين ، ذلك الدين المختلط بعلم البشر المتغير من وقت الى وقت ، ذلك العلم الذي فيه الحق والباطل والخالص والزائف هزيمةً منكرة ، وسقط رجال الدين في أوروبا سقوطاً لم ينهضوا بعده ، وكانت نتيجة ذلك : أن أمست أوروبا لا دينية على وجه التقريب .

ولم يكتف الرهبان بما أدخلوه من معلومات بشرية زائفة في كتبهم الدينية ، بل صبغوا هذه المعلومات الطبيعية أو الجغرافية الناقصة أو الزائفة

صبغة دينية يجب الاعتقاد بها ، ووصموا غير المؤمن بها بالكفر ، حتى أنهم ألفوا كتاباً أسموه : « الجغرافية المسيحية ! » : Christian geography فيه من الخرافات ما أنزل الله بها من سلطان وقالوا بكفر مَن لا يدين بها .

الا أن علماء الطبيعة حطموا سلاسل التقليد الديني ، فرفضوا هذه النظريات ، الجغرافية المغلوطة وغيرها من معلومات زائفة المدوّنة باسم الدين في كتب الدين . وأعلنوا اكتشافاتهم وتنائج اختباراتهم، فقامت قيامة الكنيسة وقام رجالها المتصرفون في زمام الأمور في أوروبا ، وكفروا كل من لا يؤمن بما جاء من الخرافات المدسوسة في كتب الدين ، (والدين منه براء) ، واستحلوا دماءهم وأموالهم وأنشأوا محاكم التفتيش التي كانت تعاقب وتُعدم اولئك الملحدين والزنادقة ! أي الذين لا يؤمنون بمعلومات مشوشة مغلوطة جغرافية دسّت في كتب الدين باسم الدين .

وقد عاقبت هذه المحاكم (٣٠٠ ٠٠٠) عالم واحرقت منهم (٣٢ ٠٠٠) أحياءاً ، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو ، نقمت منه الكنيسة أراءاً من أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل واقترحت بأن لا تُراق قطرة من دمه . ومعنى ذلك أنه يجب أن يُحرق حياً .

كما انه حكم على (كاليله Galilio) بالقتل لقوله بحركة الأرض حول الشمس ، ولكنه كان صديقاً للبابا وحلف بالاناجيل كلها امام محكمة التفتيش أن لا حركة للأرض ! فسجن مدة من الزمن . ونجا من الاعدام .

ونتيجة لهذا الصراع بين العلم والكنيسة قرر الثائرون من علماء الطبيعة الذين كان علمهم مستنداً الى الطريقة التجريبية : أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان [1] ، وان العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان ، فمن

---

(١) وقد اسهبنا الموضوع فى الجزء الاول من كتاب التكامل فى الاسلام فى ان لا تنافى بين الدين والعلم التجريبي .

استقبل أحدهما استدبر الآخر ، ومن آمن بأحدهما ، فقد كفر بالآخر .

واذا جاء ذكر الدين ، تذكروا تلك الدماء البريئة التي أريقت في سبيل التحقيق العلمي على أساس التجربة والمشاهدة والبحث العلمي الصحيح وتلك القسوة التي أظهرتها رجال الكنيسة ضد العلم والعلماء . تذكروا تلك الوجوه الكالحة والعابسة التي قست على رجال البحث وأعدمتهم دون مبرر عقلي أو ديني ، (لا الدين الذي تقول به الكنيسة !؟) .

ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من حسن التفكير أن يميزوا بين الدين الصحيح والزائف وأن يبحثوا عن الاسلام دين الحق والعقل والتفكير الصحيح .

فلم يرسلوا مَن يبحث لهم عن هذا الدين وأعني به الدين الاسلامي ، ليعلموا كيف أن الاسلام يؤيد العلم ويشجع البحث العلمي الحر ، وهو قوله تعالى : « ولا تقف [١] ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » [٢] . « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوبٍ أقفالها » [٣] .

وقوله تعالى : « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار . والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » [٤] .

وبقوله تعالى : « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » [٥] .

---

(١) ولا تقف : ولا تتبع .
(٢) سورة الاسراء : ٣٦ .
(٣) سورة محمد (ص) : ٢٤ .
(٤) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٥) سورة يونس : ١٠١ .

وبقوله تعالى : « قل سيروا في الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق » [٦].

وبقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » [١] .

وبقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (سورة : ق) .

وبقوله : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت » . (سورة الغاشية).

وبقوله : « أوَلم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق » . (سورة الروم) .

وبقوله : « يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » . (سورة النحل) .

وبقوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم [٢] ويتفكرون في خلق السماوات والارض » . (سورة آل عمران : ١٩١) .

وقوله تعالى : « وكذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون » . (سورة البقرة) .

وقوله تعالى : « أفلا تعلقون » .

وقوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولَعباً ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . (سورة المائدة) ..

وقوله تعالى : « وما يذكّر الا أولوا الالباب » . (سورة البقرة) .

وقوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون ، قل العفو [١] ، كذلك يبيّن

---

(٦) سورة العنكبوت : ٢٠ .
(١) سورة الروم : ٢١ .
(٢) على جنوبهم : مضطجعين .
(١) العفو : الفاضل عن الحاجة .

الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . (سورة البقرة : ٢١٩) .

وقوله تعالى : « قل ، هل يستوي الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون » . (سورة الأنعام) .

وقوله تعالى : « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز [٢] ، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون » . (سورة السجدة : ٢٧) .

وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ، ليدبروا آياته . (سورة : ص) .

وقوله تعالى : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » . (سورة الأنعام ...)

وقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (سورة المجادلة) .

حتى آل أمر العلماء المحدثين الى معاداة الدين ، أي دين ، والكفر بما وراء الطبيعة والتمسك بالمبدء المادي والالحاد والزندقة ، وانكار كل ما لا يُرى بالعين أو بالميكروسكوب ، أو التلسكوب ، وعدم الايمان بالغيب .

حتى قال : هكسلي صراحة في كتابه : (الانسان في العالم الحديث) : « ان الجهل والعجز فقط هما اللذان يخضعان الانسان لله ! فاذا ازدادت معرفته وقوته ، فلا موجب اذن لفكرة الله وما يرتبط بها من عبادات ... وليكن الانسان هو الله ! » .

ولو كان لدى المسلمين في تلك الحقبة من الزمن عـدد" وافٍ من

(٢) الجرز : اليابسة التي لا نبات فيها .

المبشرين بالدين الاسلامي العظيم فذهبوا الى أوروبا ، وقرأوا على الناس الآيات القرآنية التي تؤيد اكتشافات العلماء المحدثين :

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم [١] » . وقوله تعالى : « وهو الذي خلق الليـــل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون [٢] » ، « كلٌ يجري الى أجلٍ مسمى [٣] » ... « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلـــكم بلقاء ربكم توقنون » [٤] .

« وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء [١] .

« ألم تروا أن الله يُزجي [٢] سحاباً ثم يؤلف بينه [٣] ، ثم يجعله ركاماً فترى الودق [٤] يخرج من خلاله ، وننزل من السماء من جبال فيها من بَرَد نصيب به من عبادنا من نشاء ونصرفه عمن نشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » [٥] .

---

(١) سورة يس : ٣٨ .
(٢) سورة يس : ٤٠ .
(٣) سورة الرعد : ٢ .
(٤) سورة الرعد : ٢ .
(١) سورة النمل : ٨٨ .
(٢) يزجي : يسوقه برفق .
(٣) أي يتكاثف البخار ، فتقترب أجزاؤه بعضها من بعض نتيجة البرودة وتأين الهواء (الكهربائية) .
(٤) الودق : المطر ...
(٥) سورة النور : ٤٣ .

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » [٦] .

«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» . (سورة الذاريات : ٤٩).

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب » . (سورة المعارج : ٤٠) .

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث » . (سورة الزمر : ٦) . الى آيات كونية اخرى تبلغ ٧٥٠ آية ، هي عصارة المكتشفات الحديثة وما سيكتشف في مستقبل قريب أو بعيد ، لأسلمت برمتّها ولآمنت بالدين الاسلامي : دين العلم والعقل والعلم الصحيح . هذا الدين الذي « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم [٧] والاغـلال التي كانت عليهم » . (سورة الأعراف : ١٥٧) .

فاتجه الغرب ، نتيجة تصرفات الكنيسة الخاطئة وتقاعس المسلمين عن التبشير بالاسلام ، الى المادية بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وعلم وأدب وسياسة وحكم بصورة تدريجية ، فأنكر العلماء المحدثون كل شيء وراء المادة ، وقالوا ان المادة هي الخلاقة والمفكرة والمدبّرة والمحيط (أو البيئة) هو المؤثر الوحيد العالي التفكير والمدير اللبيب والمهندس البارع المبـدع دونما نظير ، فصاروا يستهزؤون بكل نظرية تبرهن على وجود الباري جل جلاله وأسموها الطريقة التقليدية البالية الخرافية التي لا تجدي نفعاً ولا تكشف شيئاً . جحدوا كل شيء وراء الحركة والمادة ، وأبوا الايمان بكل ما لا يأتي تحت الحس والاختبار

(٦) سورة الحاقة : ٣٩ .
(٧) القيد والتكاليف الشاقة .

ولا يدخل تحت الوزن والمساحة والزمان أو لا يقاس بالغرام والسانتيمتر والثانية ، فأصبح عندهم الايمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبل المفروضات أو المواضيع التي لا يؤيدها العقل ولا يشهد بها العلم .

نعم ، قد بقى ثلة من الناس في أوروبا يؤمنون بالغيب ولكن منهج التفكير كان ينكر ذلك ولا يؤدّى بالايمان بالله والوحي والنبوات والحياة الاخروية ، ذلك لأنه لا شيء من المذكورات يدخل تحت منهجهم الفكري الذي لا يؤمن الا بالحس والاختبار ، وما يصدقه القياس الزمني : الثانية .. والقياس البعدي : السانتيمتر ... والقياس الوزني : الغرام ... فصاروا يزدادون كل يوم شكاً في العقائد الدينية !!..

ونتيجةً لهذا التفكير المنهجي نهض الكتّاب والمؤلفون يؤيدون وجهة نظر المادية ويكتبون كتباً اجتماعية تؤيد النواحي المادية في الحياة ، وان لا شيء وراءَ المادة أو الطبيعة العمياء ! ويفسرون الأخلاق تفسيراً مادياً وينشرون الفلسفة النفعية وفلسفة اللذة الأبيقورية (Epicure) ويقولون : ان الفكر من نتائج المادة (١) .

وقد جعل هؤلاء الحواس الخمسة أساساً للمعلومات والعلم أي علم حين أنه يقول (لنكولن بارنت) : « ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود بسبب عجز جهاز الابصار عنده . ولو أن عينه كانت أكثر حساسية ، فتدرك مثلاً موجات الأشعة السينية (Rayons X) لبدت لـه

(١) قد علم اخيراً ان لا تناسب بين حجم المخ وقوة التفكير . فمخ الاسكيمي اضخم لو قيس بحجم بدن صاحبه ، ويأتي بعده مخ اليابانيين . وقد وجد ان اصغر مخ هو مخ العبقري الايطالي : (دانتي) . وعلم كلما ابتعد الشيء عن حالته المادية وآل امرها الى الاشعاع والقوى والطاقات كان اكثر فعالية وانتاجاً وتأثيراً .

الدنيا مختلفة تماماً عما يراها الآن » .

ثم ان السياسيين دعوا الى فصل الدين عن السياسة ، وقالوا : ان الدين اذا كان لابد منه ، فانما هو قضية شخصية ، لا ينبغي أن يتدخل في أمور السياسة ، ولا معنى لتشكيل دولة على أسس دينية [١] !؟ وان النصرانية انما موضوعها الحياة الأخروية ، والمتدينون لا يفيدون الدولة في شيء وان كان وجودهم يفيد الكنيسة لتقيدهم بأحكام دينهم ، والملوك والأمراء لهم أن يكذبوا ويخونوا وينقضوا العهود والمواثيق اذا اقتضت الحالة ودعت سياسة الوقت الى ذلك .

فالكذب والخيانة والغش والنفاق دعائم لكل دولة تريد أن تعيش ، وهكذا أولدت الفكرة المادية فصل الدين عن الدولة وأوجدت سياسة الغش والكذب .

وثار المؤلفون على الاخلاق القديمة والنظم الاجتماعية السابقة وزيّنوا للناس الإثم والفحشاء والمنكر والشهوات والنزوات ودعوا الناس الى التهام الحياة البهيمية وإرضاء الشهوات وانتهاب المسرات ، فكانت المراقص ودور الخمور والفجور . وصار الغرب يؤمن بكل ما يحمل « خاتم » التجريب ويأخذونه قضية مسلّمة لا تحتمل الشك أو التأويل ، اما ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة أو هو على الأقل شيء ساقط عن الحساب ، ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يدخل الى المعمل ! ولا يخضع للتجريب العلمي ! فقد استغنوا عنه وأعلنوا أنه غير موجود !

---

(١) كما كان فى صدر الاسلام والناس فى دعة واطمئنان ، قد نالوا سعادة الدنيا ونعيم الاخرة ..

نعم ، قد فعلت هذه الموجة الالحادية العاتية الغاشمة فعلها وانتشرت كالنار في الهشيم وأدى ذلك الى تحطم الدين وانهيار الأخلاق والتقاليد وتلوث كل تراث بشري في حقل النبل والأخلاق والفضائل .

***

ثم ان هؤلاء العلماء الماديين قد فسروا نظرية (دارون) تفسيراً خاطئاً يحقق ميولهم المادية ، وقالوا بالتوكد الذاتي ، حين أن (دارون) نفسه كان يعزو نظريته التكاملية الى خالق مدبّر عظيم ، نظم هـذه الخطوات التكاملية التي لا تعـدّ ولا تحصى اعتباراً من آميبا : (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) الى ما هنالك من نباتات وحيوانات تكاد لا تتناهى . إذن هذه الخطوات من الدقة والتعقيد ما يحيّر الألباب . وهي من التنوّع وتعدد المراحل ما ينفي الصدفة ويجعلها في مرتبة الصفر على ما ثبت في حساب الاحتمالات من أبحاث الرياضيات العالية ، حقاً « إن الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد » (١) . « أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولوا الألباب » (٢) ، ان هذا الانسان يمر كل يوم على آيات وشواهد على عظمة الله تعالى ، تكاد لا تتناهى ، يمر عليها معرضاً عنها ، غير معتبر بها لغشاوة على عينيه من جراء ما تلوثت به يداه من أجرام وآثام وفسوق وفجور ، نعم ، « وكم من آيةٍ في السماوات والارض يمرون عليها وهم مُعرضون » (١) . ولكن الله تعالى يَمنّ على هذا البشر بأنواع الآيات كل يوم لعل هذا الانسان يرتدع عن غوايته : « سنريهم آياتنا في

(١) سورة العاديات : ٦ ـ ٨ .
(٢) سورة الرعد : ١٩ .
(١) سورة يوسف : ١٠٥ .

الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ، أوَلم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . » (سورة حم . سجدة : ٥٣) .

***

وجاء فرويد ، بعد (داروِن) بنصف قرن ، فزاد في الطين بلة وصوَّر الانسان حيواناً عرياناً لا حياء له (٢) ، حيواناً عرياناً من كل خُلق ومن كل دين ومن كل شعور نظيف ، وقال : ليس هنالك حقيقة في العالم الا الشهوة والشعور بالجنس ، فالجنس هو كل شيء ، وكل شيء نابع عن الجنس ! الطفل يرضع ثدي أمه بلذة جنسية ! ويتبوَّل ويتبرز بلذة جنسية ، ويحرك عضلاته بلذة جنسية ، ويرتبط بأمّه بشعور جنسي ، كما ترتبط الطفلة الانثى بأبيها بشعور جنسي . وهكذا ينمو هذا الشعور الجنسي مع نمو الطفل ، فلا معنى للكبت ، وليعمل كل من الجنسين لتحقيق اللذة الجنسية كيفما كان ، دون قيد وشرط !!!...

لقد تلقف الشباب بصورة خاصة تعاليم فرويد وتشبثوا بها تشبثاً وراحوا يوسعون رقعتها في كل اتجاه .

نعم ، دعا (فرويد) الى العلنية في ممارسة الجنس من دون خجل ، وأضفى الصيغة الشرعية على سلوكه البهيمي ، وتخصص قسم من الأدباء في تحبيب ممارسة الجنس الى الشبان بطريق غير مشروع أمثال : (و . هـ . لورنس) ، ونظموا موسيقى كاملة في اثارة الجنس والتعبير عنه بشتى صنوف التعبير مع مصحوبة بالرقص وحركاتٍ شهوانية ، وكانت نتيجة ذلك ان اسودت القلوب وادلهمت النفوس ، فاتجه العلماء المحدثون ، هؤلاء الذين تشبعت

(٢) جاء في الحديث عن النبي (ص) : الاسلام عريان ولباسه الحياء . وفي حديث آخر : « لا ايمان لمن لا حياء له » .

أفكارهم بعباده الطبيعة العمياء وتلوثت نفوسهم بأنواع الموبقات الى الطريقة العلمانية في الدولة والشؤون الاجتماعية والاعتقاد بأن العلم البشري والقوانين الوضعية كافيان للكمال البشري ، وان ليس وراء المادة شيء ، ولم ينزل الله تعالى من السماء كتابا يهدي الناس سواء السبيل ، كل ذلك لاتباعهم هوى نفوسهم ، فكان أمرهم فرطا : على حد قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه ، وكان أمره فرطا » (٢) .

***

ثم ان الثورة الصناعية الكبرى التي قضت على المعامل الصغرى في القرى والارياف أدت الى نزوح القرويين الى المدن ابتغاءً للرزق ، وانطلق هؤلاء العمال الى الفسق والفجور وأوغلوا في البغاء ، وبعد أن اطمأنوا الى حياتهم الجديدة أرسلوا الى أسرهم لتلحق بهم في المدن ، الا أن هذا لم يقض على الضرورة التي كانت من قبل ، بل ظلت قائمة للأجيال الجديدة التي رأت فيها طريقة سهلة للتخلص من وطأة الجنس بغير تبعات . وأصبح البغاء بصوره المختلفة من أول الصداقة الفردية الى بيع الجسد لكل راغب هو المتعارف في الاوساط . وسمي هذا تطوراً يتفق ومفاهيم العصر الحديث .. وما عداه خرافة وتقاليد بالية يجب على المثقف أن يتركها ليعدّ من المثقفين !

ثم ان النساء بحكم الضرورة التحقن بالمعامل أيضا ، ذلك لأن رواتب الرجال كانت قليلة ، والبغاء كان منتشراً الى حد بعيد مما منع الشاب من التزوج الى مدة مديدة ، فزاد التحاق النساء بالمعامل مع الرجال جنباً الى جنب في الفحشاء والمنكرات مما لوّث النفوس وأبعدها عن عالم التكامل النفسي أيما ابعاد .

---

(١) فرطاً : اسرافا .

(٢) سورة الكهف : ٢٨ .

فماتت النفوس من جراء تلوثها بأنواع الموبقات على الشواطيء والطرقات والترام وفي كل مناسبة ، فصارت ، لادلهمامها ، لا تؤمن الا بالمادة وهذا العلم المادي ، وزعمت أن العلم المادي هو الكمال المطلق وانه موصل هذا الانسان الى الكمال المنشود ، انه هو المعبود الذي يجب أن يُعبد وهو حلال المشكلات .

فالعلم المادي هو الأخلاق الفاضلة وهو غذاء الروح وموصل هذا الانسان الى غاية الغايات .

فالأنبياء والوحي والجنة والنار والبعث والحساب والاعتراف بالذنب والغفران مفاهيم خرافية أولدتها جهالة القرون الوسطى والأولى ، قضى عليها العلم المادي حيث لا رجعة ولا عَود .

وهكذا تحجرت النفوس ، فنشأت المذاهب المادية وعلى رأسها مذهب ذوي العاهات على حد تعبير الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، حين أنه لا رابطة بين العلم المادي والتكامل النفسي بوجه من الوجوه ، ولكن شهوة التجريب لم تقف بالتجريبيين عند المادة ، ميدانهم الأصيل ، بل راحوا يجربون في كل شيء وكل ميدان حتى عَنَّ لهم في مبادىء هذا العصر أن يجعلوا النفس مادة للتجريب يخضعونها لتجارب المعمل والمختبرات ، ويستنتجون من هذه التجارب قوانين يحكمون بها النشاط النفسي ويفسرون بمقتضاها الانسان والانسانية ! وصاروا يخضعون حتى المعنويات لتجارب المعمل للوصول الى حقائق موضوعية ثابتة !

***

التكامل النفسي انما هو نتيجة تعاليم روحية تؤدي الى كمال النفس

الانسانية وهي ليست من العلم المادي أي من السانتيمتر والغرام والثانية في شيء .. انما هو دساتير روحية تكاملية قررها الله تعالى على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ذلك ، لأن العلم المادي انما هو نتيجة التجربة والاختبار والمشاهدة والمقارنة والاستقراء والاستنتاج والتجريد والتعميم الى ما هنالك من فعاليات ذهنية لا تتصل بالنفس من حيث السمو والضعة أو التكامل والتسافل في شيء فان عملية :

$$\text{ن} + ١ \qquad \text{ن} - ١$$
$$\times \; ٣ \qquad\qquad ٣$$

أو رسم المنحني : القطع الزائد : $\frac{\text{س}^٢}{\text{ب}^٢} - \frac{\text{ع}^٢}{\text{حـ}^٢} = ١$

أو رسم القطع الزائد المجسم : $\frac{\text{س}^٢}{\text{ب}^٢} + \frac{\text{ع}^٢}{\text{حـ}^٢} - \frac{\text{ص}^٢}{\text{د}^٢} = ١$

أو حل معادلة تفاضلية : (Equation différentielle) أو مسألة فيزيائية أو كيميائية ، كل ذلك يجري من قبل النفوس بأجمعها دون تفريق بين المتعالية منها أو المتسافلة ، المتألهة منها أو الملحدة ، المتصفة منها بأخلاق ملكوتية أو المتردية باغواءات شيطانية ، فلا تؤثر تجربة كيميائية أو عملية حسابية أو معادلة تفاضلية : Equations différentielle أو دستور كسوف الشمس أو

دساتير ليبنيتز في التحليل الرياضي Analyse Mathématique في سمو النفس أو تسافلها ، انما يتأتى سمو النفس بالقيام بأعمال صالحة من مساعدة الغير وخدمة الأبوين والأرحام والقيام بحوائج الناس بصورة سرية ولوجه الله تعالى ونكران الذات في سبيل الخير والتضحية لانقاذ الآخرين والمثول بين يدي رب العالمين بخشوع وخضوع وصلوات مقبولة والتهجد جوف الليل ببكاء وخنوع ، وبتزكية النفس من أدرانها وأوساخها على ما قرره الشرع (١) واعطاء فضول الاموال الى الفقراء والمعوزين ، لا سيما الارحام الى ما هنالك من واجبات ومستحبات يطول ذكرها .

فالعلم مجرد عملية ذهنية وفكرية لا تمت الى صناعة تهذيب النفس وتكاملها بصلة .

يقول (ماريت ستانلي كونجدن) وهو عالم أمريكي معاصر — في مقال له بعنوان : (درس من شجيرة الورد) : « ان العلوم حقائق مختبرة ، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الانسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته ، ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود ، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ . وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك .. وليس باليقين .. ونتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للاخطاء في القياس والمقارنات ، ونتائجها اجتهادية ، وقابلة للتعديل بالاضافة والحذف .. وليست نهائية » .

ويقول سير (جيمس جينز) عالم الطبيعيات والرياضيات :

---

(١) قال علي عليه السلام : « ليس الدين بالرأي ، انما هو اتباع » .

« لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الواثق ان الطبيعية لا تستطيع أن تسلك الا طريقاً واحداً : وهو الطريق الذي رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن الى نهايته . وفي تسلسل مستمر بين علة ومعلول . وأنه لا مناص من أن الحالة : (أ) تتبعها الحالة (ب) . اما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن : هو : ان الحالة (أ) يحتمل أن تتبعها الحالة (ب) أو (جـ) أو (د) أو غيرها من الحالات الاخرى التي يخطئها الحصر . نعم ، ان في استطاعته أن يقول : ان حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالا من حدوث الحالة (حـ) وان الحالة (حـ) أكثر احتمالاً من الحالة (د) ... وهكذا . بل ان في مقدوره أن يحدد درجة احتمال كل حالة من الحالات (ب) و (جـ) و (د) بعضها بالنسبة الى بعض . ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين : أي الحالات تتبع الاخرى . لأنه يتحدث دائماً عما يحتمل . اما ما يجب أن يحدث فأمره موكول الى الاقدار » .

وقد يكون العلم مع نفس متردية آلة تخريب وفساد : « والله لا يحب الفساد » [1] . وقد قال علي عليه السلام : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » .

فالعلم يكون وسيلة تخريب وهدم ان لم تتحلَّ النفوس بمكارم الاخلاق وفضائل الخصال على ما قرره الشرع ووفق ما يريده الله تعالى وهو العارف بطرق تكامل النفوس .

وكم من عصابات في أمريكا وغير أمريكا تقوم بأعمال منكرة من اختطاف البنات أو البنين وسرقات خطيرة ، فيسرق ما في المصارف والبيوت التجارية

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .

بشتى الوسائل من قبل عصابات هم من خريجي المدارس العالية !!.

والجيل الناشىء في أوروبا يعاني أقصى درجات التحلل والانحدار ! فعصابات للخطف والسلب والنهب والاغتصاب ، عصابات من الاطفال لمهاجمة القطارات وقذف نوافذها بالأحجار ، عصابات ــ من الاطفال ــ تضع الاحجار على القضبان لتخرج من عليها القطارات ! عصابات الحشيش والأفيون وبقية المخدرات . « التزويغ » من دفع اجرة الركوب ... كل الرذائل التي يمكن أن يتصورها الانسان !...

ولقد علمت أن استاذاً في الفيزياء الرياضية العالية نال مكافأة ثمينة على مؤلف خطير ، فأنفد المكافأة في شهواته ونزواته وابتلي بمرض السيفيليس ومات وهو مجنون ، وآخر مع كونه دكتورا في التربية وعلم النفس كان يشرب الخمرة ويستمر في العربدة حتى يُمسي مهزلةً للآخرين وآخر دكتورا في مواضيع ثلاثة كان يفتخر بارتياده دور البغاء ويقول متبجحاً ...!؟

ليس لهذا العلم المادي تأثير في توجيه الشباب نحو الكمال والاخلاق الفاضلة وضبط النفس عن الولوج في الشهوات والموبقات . كان يقول كندي: « ان الشباب الامريكي مائع منحل مترف غارق في الشهوات ، وانه من بين سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكهم في الشهوات ، واندر بأن هذا الشباب خطر على مستقبل أمريكا ، وأهاب بالعلماء والمصلحين الاجتماعيين أن يبحثوا هذا الخطر ويقرروا العلاج » .

يقول (ول ديورانت) : « ان اختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغيير أخلاقنا . فقد كان القانون قديماً يقيد الصلة الجنسية بالزواج لأن النكاح يؤدي الى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد

مسؤولا عن ولده الا بطريق الزواج ، اما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية وبين التناسل وخلقت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين الرجال والنساء آخذة في التغيير نتيجة هذا العامل ، ويجب على القانون الاخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه هذه التسهيلات الجديدة التي جاءت بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة » .

حتى ان في بعض الدور التي أعدت للعبادة والصلاة ، فبعد أن ينتهي الأب من الموعظة في الكنيسة الامريكية ، يطفيء الأنوار الكبرى ويضيء المصابيح الخافتة المغرية بالخلسة ويدير اسطوانات الرقص للشباب والفتيات بنفسه . وهكذا تعمل النظرية القائلة : دعه يعمل : (Laissez faire) بلا حواجز . فأدت الى تفسخ مرير في الاخلاق والأنفس .

وهكذا نرى ان ليست هنالك أية صلة بين الكمال النفسي ، وما يتعلمه الانسان من دساتير في الفيزياء والكيمياء وما يكتشفه من قوانين في الفلك أو الرياضيات أو دساتير تتعلق بعلم الاجتماع أو علم آثار النفس أو ما يضعه من قوانين لتنظيم شؤون الناس . انهما : أي الكمال النفسي والانتاج العلمي وأعنى به العلم المادي أو القوانين البشرية الموضوعة ، من واديين مختلفين .

فالكمال النفسي يتأتى من تطبيق دساتير السماء ومراقبة النفس في خلواتها والخشوع امام عظمة الله التي لا تتناهى و الاستغفار بشتى أنواعه ، والآخر ، واعني به العلم المادي أو الثقافة العصرية عملية ذكائية وفكرية يقوم بها العالم المادى ، بغية الكشف أو نيل درجة في الأوساط الاجتماعية أو الشهرة بين الناس .

ولا مراء أن الانسان مهما سما وتعالى لا يأتي بسنن أخلاقية رصينة

ودساتير تكاملية ناصعة لنقائص في نفسه ، فوجب أن يتبع العالم المادي سنن الأنبياء (ع) لو أراد التكامل الناصع الذي لا شائبة فيه ، لأن الله تعالى هو الذي وضع سنن تكامل النفس الانسانية وأوحاها الى أنبيائه (ع) ليهدوا الناس سواء السبيل .

فالعلم المادي والتعرف الى ما أودع الله تعالى من دساتير في عالم الفيزياء والكيمياء وفي الميكانيك السماوي والأرضي ومن قابليات النمو والتكاثر والتنوع في حياة النبات والحيوان يزيد في ايمان الشخص ويعطيه من الاطمئنان ما ترتاح له النفوس ، فالعلوم الطبيعية منافذ ينفذ منها التفكير الانساني ليرى ما أودع الله تعالى من دقيق الصنع في هذا الكون الرحيب .

فالمعارف الإلهية وتعاليم الأنبياء (ع) تفتح القلوب وتجعلها متدرجة نحو الكمال المنشود .

فقد قال علي عليه أفضل الصلاة والسلام ، بالنسبة الى المعارف الإلهية ومعرفة الله تعالى ، الى كميل :

« يا كميل ، ان هـذه القلوب أوعيـة ، فخيرها أوعاها للعـلم ، احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة ، عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع [1] ، أتباع كل ناعق غاوٍ ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق » .

هؤلاء الذين يميلون مع كل ريح هم أولئك الماديون المثقفون بثقافة

---

(١) همج رعاع : الهمج ذباب صغير كالبعوض ، يقع على وجوه الغنم ، والرعاع : الاحداث الطغام اي أوغاد الناس .

العصر ، من طب وكيمياء وفيزياء ونبات وعلم طبقات الأرض ... الى ما هنالك فلم يتعرفوا الى المعارف الإلهية وعوالم ما بعد الطبيعة ولم يعملوا لأجل التدرج في عوالم تكامل النفس ، فصاروا أشبه شيء بدابة همها علفها ، لم يستضيئوا بنور العلم الإلهي ولم يلجأو الى ركن وثيق ، فصاروا لا يخشون الله تبارك وتعالى مع كونهم من العلماء في عوالم المادة ، فلا ينطبق عليهم قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١) ، ذلك لأن المراد في هذه الآية من كلمة « العلماء » اولئك الذين يذكرهم علي عليه السلام بقوله : « فخيرها أوعاها للعلم » .

نعم ، ان هؤلاء قد قست قلوبهم وصار عليها غشاوة حجبت عنهم مشاهدة أنوار القدس من جراء أنواع الفسوق والآثام . وقد جاء في الحديث « ما ضرب ابن آدم بعقوبة أشد من قسوة القلب » وان القلب ليقسو من :

١ ــ ترك ذكر الله تعالى .

٢ ــ كثرة الأكل والشرب ، ففي الحديث : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء .

٣ ــ لقمة الشبهة ، أي من مال مشكوك حليّته أو من مال غير مزكى أو غير مخمّس ، الخ ، ففي الحديث : « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب » .

٤ ــ كثرة أكل اللحم ، ففي الحديث : « لا تجعلوا بطونكم قبور الحيوانات » .

٥ ــ التعجيل في الأكل .

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

٦ ــ كبر اللقمة .

٧ ــ تأخير الصلاة عن وقت الفضيلة ، «ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » [١] .

٨ ــ كثرة الكلام ، لقوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » [٢] .

٩ ــ الأكل بالشمال ، أي : باليد اليسرى .

١٠ ــ كثرة النوم ، لقوله تعالى : كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون » [٣] .

١١ ــ كثرة الضحك ، ففي الحديث : « لا يكمل ايمان أحدكم حتى يترك المزاح جدّه وهزله » .

١٢ ــ الهمّ بالدنيا للدنيا ، لقوله تعالى : لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » [٤] .

١٣ ــ طول الأمل . ففي الحديث عن رسول الله (ص) : « ان أخوف ما أخافه عليكم اثنان ، اتباع الهوى وطول الأمل ، اما اتباع الهوى ، فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة .

١٤ ــ كثرة المال ، لقوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » [١] ، ولقوله تعالى بالنسبة الى قارون : « فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين

---

(١) سورة الماعون : ٤ ــ ٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ٣ .
(٣) سورة الذاريات : ١٧ ،
(٤) سورة آل عمران : ١٩٦ ــ ١٩٧ .
(١) سورة الكهف : ٤٦ .

أوتوا العلم [٢] ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يلقاها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض . فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » [٣] .

١٥ — مجالسة الأنذال ، فقد جاء في الحديث : « عاشروا مَن يذكّركم الله » .

١٦ — الخلوة بالنساء . فان الشيطان هو الثالث لهما كما جاء في مضمون حديث .

١٧ — مجالسة الأغنياء .

١٨ — مجالسة الضال والجائر في الحكم . « ولا تركنوا الى الذين ظلموا ، فتمسّكم النار » [٤] .

١٩ — ترك مجالسة العلماء ، فقد جاء في الحديث : « النظر الى وجه العالم عبادة » .

نعم ، اذا ماتت النفوس بشهواتها ومراقصها واستهتارها ، شقيت ، وللشقي علامات وأمارات ، فعن رسول الله (ص) : « علامات الشقاء أربعة : نسيان الذنوب السابقة ، وذكر الحسنات الماضية لا يدرى ، قبلت أم رُدّت والنظر الى مَن فوقه في الدنيا ، والنظر الى مَن دونه في الدين » .

***

يقول (روبرت هتشنس) بالنسبة الى العلم المادي : « لقد بلغ العلم

(٢) يراد بهذا العلم : المعارف الالهية .
(٣) سورة القصص : ٧٩ — ٨١ .
(٤) سورة هود : ١١٤ .

في آن واحد الى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا [١] والتحكم في الطبيعة ، والى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية » .

فهذا القول ان دل على شيء ، فانما يدل ان ليس للعلم المادي ، ومختلف الدساتير في الرياضيات أي أثر في توجيه الانسان نحو الكمال وايجاد سياسة عالمية ترتاح لها النفوس ويرتضيها الله تبارك وتعالى .

ويؤيّد ما أقول : قول أحد أعضاء مجلس الوزراء الأمريكي «أندرسن» (وهو رجل في مقتبل عمره ، متمالك لقواه العقلية وقد كان استاذاً للقانون): « اذا كان للانسان أن يحكم على نفسه بشكل موثوق ، فان المقاييس التي يستخدمها للحكم على سلوكه يجب أن تكون ، بالضرورة ، من الطراز الذي يتعدى قدرته على تحويرها أو تحديدها ، اذ لو أعطي القدرة على تحديد هذه المقاييس لأضحت حتماً ما يريدها أن تكون ، وعليه ، فان ما لدي الآن من قدرة غير محدودة على تبرير الامور قد يجعل الأكاذيب تبدو عند ذاك وكأنها حقائق ، والخديعة وكأنها تتجلبب ثوب الشرف ، والاضطهاد وكأنه يستخدم مكان العدالة ، هذه بالنسبة اليّ ، هي الخطيئة الكبرى للفلسفات المادية والانسانية ولكل منهج فلسفي آخر لا يقر بوجود مستقل لقيم أخلاقية وروحية مطلقة ... هذه القيم هي روحية مطلقة لا مادية نسبية ، وهي أعلى وأبعد من أن يصل اليها الانسان في تطوره . وعلى الانسان أن يدرك أنها قيم ثابتة أزلية من صنع الله . وعليه أن لا يتصور أنها ملك خاص لعقله يكيفها لتنطبق على كل حالة عارضة . وعلى هذا فاننا نؤكد اعتقادنا بوجود مصدر

---

(١) التكنولوجيا : Technologie العلم الذي يبحث عن تاريخ واصول الفنون والصنايع على اختلاف انواعها .

إلهي للقيم الروحية المطلقة ، ونرى أنه لا يجوز للانسان أن يعمل فيها يد الهدم والتخريب » [١] .

ولو كان قد تشرف (أندرسن) بالدين الاسلامي العظيم لوجد في الاسلام من التعاليم ما يجعله أن يقول : ان حياة الانسان في النشأتين تتوقف على اعتناقه دين الاسلام . فهو حقاً ، حياة القلوب : « يا أيها الذين آمنوا ، استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » [١] . « أو َمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون » [٢] .

***

العلم المادي لا يرتقي بالنفوس الى معالم القدس ولا يعترف بالغيب ، والاعتراف بالغيب انما هو رشحات النفوس الزكية ، تلك التي اتصفت بالتقوى : « ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب » [٣] .

كيف يؤمن بالغيب من اظلمّت نفسه بالمادية الصماء ، كيف يؤمن بالغيب من اتخذ الفحشاء شعاراً والخمرة دثاراً . لا يؤمن بالغيب الا الأتقياء الخاشعون فلابد للمؤمن بالغيب من خشيةٍ في خلواته : فيما بينه وبين ربه ، فان لم يكن هناك خوف وخشية فلا قبول للمعارف الإلهية ، بل يقوم مقامه الجحود والاستهزاء . وقد جاء في الحديث : « رأس الحكمة مخافة الله » . « ولقد

(1) R. B. Anderson., Time, October 26. 1953. P. 27.

(١) سورة الانفال : ٢٤ .
(٢) سورة الانعام : ١٢٢ .
(٣) سورة البقرة : ١ — ٣ .

آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءاً وذكراً للمتقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون [١] » [٢] .

***

فالفرق بالنسبة الى الاخلاق والعقيدة في القديم والجديد انه قد وجدت مذاهب ونظريات في القديم كانت تبرر الانحراف والتحلل دون أن تلبّس ثوباً علمياً . ولكن اليوم تلبس هذه النظريات والمذاهب الهدامة للنفوس والمميتة للارواح ثوباً علمياً ويبرهن على صحتها بما يترشح (من عنديات) من نفوس اظلمت بفجورها ومجونها ، فأصبحت مدلهمة لا ينفذ اليها بصيص من نور الحق والواقع .

وقد يُغري الشاب مجاملة بعض الغربيين لا سيما أهل فرنسا . فيقول : انهم ظرفاء ، مهذبون . نعم ، انهم ظرفاء للمنفعة . فحين يستقبلك أهل باريس بالأدب والظرف و (الأتيكت) ويمنحونك عواطفهم انما يريدون ان تنفق في فرنسا أكثر ما تستطيع انفاقه من النقود !.

***

ان الله تعالى يفتح على هذا الانسان أبواب رحمته كي يقربه من الاعتراف بالغيب ولكي يزيد في ايمانه بشتى الطرق ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » [٣] « سأريكم آياتي ، فلا تستعجلون » [٤] ومنها : الرؤيا . فكم من رؤيا تشير أن هناك عالما آخر وراء المادية الحالكة وأن المدبّر للأمور هو الله تعالى ...

---

(١) مشفقون : خائفون .
(٢) سورة الانبياء : ٤٨ — ٤٩ .
(٣) حم — سجدة : ٥٣ .
(٤) سورة الانبياء : ٣٧ .

فقد ذكر لي أحدهم انه رأى والده في عالم الطيف يقول له : ولدى ، إن لصديقي : (الروحاني) مشكلةً ، عليك أن تحلها وتدفعها عنه .

يقول : فذهبت عند الصباح الى بيته ورأيته قد حمل بساطاً له في سيارة يريد الذهاب به الى السوق ليبيعه ، فيقضي دينه الذي طولب به حثيثاً فسألته عن مقدار الدين ، فقال لي (١٠٠) دينار . فدفعت اليه المبلغ امتثالاً لأمر والدي . وأرجعت بساطه الى بيته .

كيف يفسر لنا المادي هـذا الطيف مع أن الرجل يدعى انه لم يلاق (الروحاني) منذ أكثر من ستة أشهر .

ذكر لي استاذي في الأصول أنه ضايقه صاحب الدار ببدل الايجار مضايقةً شديدة ، وهو لا يملك ما يدفع به بدل الايجار ، فأمسى في قلق شديد . وصار يتوسل الى الله تعالى في أن يمنَّ عليه بحلٍّ مشكلته ، فاذا بالباب تطرق ، يفتح الباب ، فيرى صاحب الدار قد جاء معتذراً قائلاً : « إبقَ في الدار ما شئت ، ولا أطالبك بعد هذا بشيء ، ذلك لأني رأيت في عالم الرؤيا مَن يهددني بالقضاء عليَّ والهلاك ان أنا طالبتك بشيء من بدل الايجار » .

أنى للصدفة أن تلعب دوراً في هذه الرؤيا مع تنوع المراتب والمراحل ، وإن حساب الاحتمالات كما أسلفنا ، يجعل الصدفة في مرتبة الصفر لو تعددت المراحل ، ولقد جُرِّب أن الشخص لو فكَّر في موضوع فانه لا يراه كما يريد في طيفه ، خلافاً لما يظنه البعض .

فالايمان بالغيب لا يرتضيه المادي ولا يعترف به ويراه خرافةً ورجعية وتقهقرا الى ما هنالك من تعابير . وان اختلاف التعابير وتعددها لا ينفي ما

هو واقع مشاهد كالملموس . كيف يؤمن بالغيب من اظلمت نفسه وتلوثت جوارحه ولم يفكر في توبة أو تكفير ، فان الذنوب اذا تراكمت أصبحت حجاباً حاجزاً دون رؤية الحق والواقع ، فيصدأ القلب فلا يبقى فيه نور يبصر به عوالم الغيب « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (١) .

نعم ، ان استعمال الـ (هروئين) من قبل بعض الشباب المثقف والتفسخ الخلقي الفظيع بين الشباب والشابات وسهولة الحصول على المرأة زميلة في العمل وفي الشارع وفي دور التعليم وفنون الاغراء التي زوّدت المرأة بها عن طريق الصحافة والاذاعة والسينما ثم التليفزيون والبغاء المتاح في جميع صوره وألوانه من بيوت للدعارة رسمية وغير رسمية ومسارح وملاه نصطاد الزبائن وتقدم لهم البضاعة الدنسة والتوجيه الفكري بأن الحياة خُلقت للاستمتاع ، ثم فقدان أولاد تتراوح أعمارهم بين (١٥ — ٢٠) سنة بعـدد لا يستهان به كل يوم واضطراب أهليهم وذويهم لأجلهم ، وما يجري بواسطة التلفونات من تواصل غير مشروع وما نلمسه من فراغ عقائدي نتيجة هذا التفسخ المرير ، كل ذلك يدل على أن الطريقة العلمانية في الحكم أو اصلاح المجتمع من حيث الصفات الكريمة والفضائل دون خشية الله ومراقبة الله أي دون التمسك بتعاليم السماء وسنة أهل البيت عليهم السلام تؤدي الى انهيار النفوس ومن ثمّ الى الهلاك والثبور . تؤدي الى قلق نفسي وأنواع الانتحار وأمراض عصبية وشذوذ ومرض وجنون ! كما نشاهد اليوم .

انه تعالى يقول : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض

---

(١) سورة المطففين : ١٤ .

ومن فيهن » [١] .

فلله شريعته الغرّاء ولا نجاة لهذا البشر الا باتباعها « ثم جعلناك على شريعة من الأمر . فاتّبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » [٢] .

فلا علاج لاصلاح هذا البشر الا بأن يتمسك بتعاليم السماء وان لا يقتصر على ما أنتجته التجارب البشرية في حقول العلوم المادية أو الاجتماعية فان العلوم المادية لا تمت الى الكمال النفسي بأية صلة ، وليست منه في شيء واما العلوم الاجتماعية ، فهي علوم بشرية حالكة ، مضطربة ، متغيرة ، ان أصلحت جانباً ، فانها تُفسد جوانب أخرى كثيرة ، ولا تهيّيء الفرد لآخرة سعيدة ولا توجهه نحو الكمال النفسي ، ذلك الكمال الذي يرتضيه الله تعالى لعباده الصالحين .

فلابدّ لهذا الانسان إن أراد السير في مدارج الكمال أن يتمسك بكتاب الله والعترة الطاهرة على حد قول علي عليه السلام حيث يقول :

« إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، خلّف فيكم كتاب الله وأهل بيته ، فعندهم علم ما تأتون وما تتقون ، وهم الطريق الواضح والنور اللائح وأركان الارض القوامون بالقسط [١] . بنورهم يستضاء ، وبهديهم يُقتدى من شجرة كرم منبتُها ، فثبت أصلها وبسق [٢] فرعها وطاب جناها [٣] . نبتت في مستقر الحرَم وسقيت ماء الكرَم . وصفَت من الأقذاء [١] والأدناس وتُخيّرت مِن أطيب مواليد الناس . فلا تزولوا عنهم فتفرقوا [٢] ، ولا

(١) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٢) سورة الجاثية : ١٧ .
(١) العـدل .
(٢) طال فرعها وارتفع الى السماء .

تنحرفوا عنهم فتمزّقوا [١] . والزموهم تهتدوا وترشدوا ، واخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم بأحسن الخلافة ، فقد أخبركم أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، أعني كتاب الله وذريته » [١] .

فقد جاءنا من جانب الله تعالى : « نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » [٥] .

« يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً » [٦] .

---

(٣) طاب ثمرها .
(١) الاقذاء : جمع قذى ، وهو ما يسقط فى العين والشراب .
(٢) اي تفترقوا ، فتذهب قوتكم .
(٣) اي تصيروا متمزقين فى كل واد لا يهديكم هاد ولا يجمعكم جامع .
(٤) من كتاب : دستور معالم الحكم . للقضاعي .
(٥) سورة المائدة : ١٥ — ١٦ .
(٦) سورة الاحزاب : ٤٥ — ٤٧ .

الاسلام هو الدين العالمي فى مستقبل قريب

مما لا مراء فيه ان الله تبارك وتعالى قد أودع في النفس الانسانية غريزة التوجه اليه تعالى والاعتراف بربوبيته وهو القائل : « هو الذي يسيِّركم في البر والبحر ، حتى اذا كنتم في الفلك وجَرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احِيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ، متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم ، فننبئكم بما كنتم تعملون » . (سورة يونس : ٢٢ — ٢٣) .

« واذا مسَّكم الضرُّ في البحر ضلَّ مَن تدعون الا إياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا » [١] . « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » [٢] . « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد [٣] ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختَّار كفور » [٤] . فان هذه الغريزة : التوجه الى الحق المتعال عند الشدائد والمحن متأصلة في نفس الانسان يشعر به من بقي على فطرته السليمة الى حدٍّ ما : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » [٥] . فان الطفل حسبما أودع الله فيه من غريزة التوجه

(١) سورة الاسراء : ٦٧ . (٢) سورة العنكبوت : ٦٥
(٣) مقتصد : متوسط بين الكفر والايمان ، ختار : غدار .
(٤) سورة لقمان : ٣١ . (٥) سورة الروم : ٣٠ .

اليه يشعر بعد أن يبلغ الخامسة أو السادسة من عمره بقوة خارقة مهيمنة عليه ، يستعين بها ويتوجه اليها في الشدائد وهذا المهيمن اللانهائي في صفاته وكمالاته هو الله تعالى وهكذا كل مَن في السماوات والارض مضطر بأن يتوجه الى الحق المتعال بصورة فطرية وهو القائل :

« وله أسلم مَن في السماوات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون » .

(سورة آل عمران : ٨٣) .

حتى ان الجمادات أسلمت لله تعالى في حركاتها وقوانينها التي أودعها الله فيها ، فهي مطيعة منقادة مُسيرة ، ليس لها أن تنحرف عما رسم لها قيد شعرة : « وان من شيء الا يسبح بحمده » . ألا ترى : ان الالكترون يدور حول البروتون في باطن الذرة بسرعة ٢٠٠٠ كيلو متر في الثانية بشكل اهليليجي ، فهـذا نوع تسليم الى مشيئة الله تعالى ونوع انقياد واسلام يتناسب مع حياة الذرة ، كذلك تتجاذب الأجسام أو الكرات مستسلمة الى أمر الله حسبما أودع فيها من قانون :

$$ق = ى \frac{ك ك'}{م^{٢}}$$

(قوة الجذب بين كتلتين ، ك ، ك') تتناسب طرديا مع حاصل ضربهما وعكسياً مع مربع المسافة بينهما ، و (ى) هي النسبة الثابتة ومقدارها :

$$\frac{١}{١٥ \ldots \ldots \ldots}$$ من ثقل الغرام

ويقول الله تعالى في هذا المقام :

« ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده » (١) .

وكذلك الرقاص يطيع الله تعالى في تذبذبه وحركاته التابعة لقانون وضعه الله تعالى :

$$ن = ٢ ط \sqrt{\frac{ل}{ج}}$$

فان مدة الذبذبة الواحدة لهذا الرقاص يتناسب طرديا مع جذر طول الرقاص وعكسياً مع التعجيل الارضي و (ط) هي النسبة الثابتة وتساوي ٣ر١٤١٦ أو $\frac{٢٢}{٧}$ تقريباً .

وان حدوث الماء من امتزاج حجمين من الايدروجين (H_2) مع حجم من الاوكسيجين (O) بعد افراز تيار كهربائي نوع تسبيح لله تعالى .

وان التيار الكهربائي يسبح الله تعالى باتباعه قانونا منّ الله على (جورج سيمون اوم) الفيزيائي الالماني الشهير باكتشافه : ت = $\frac{ف}{م}$ أي شدة التيار تتناسب طردياً مع الجهد الكهربائي وعكسيا مع مقاومة السلك .

ومئات القوانين في الفيزياء العالية كلها أدلة واضحة على تسبيح كل شيء في أرضنا هذه لله تبارك وتعالى وكم من قوانين فيزيائية في كواكب اخرى ومجرات لا تعد لا تشبه ما على الارض من قوانين لاختلاف الشروط والاحوال لا يعلمها الا الله تعالى : « ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام

---

(١) سورة فاطر : ٤١ .

والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم» [١] .

وما أعظم قول الله تعالى حين يقول :

« ان كل من في السماوات والارض الا أتي الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدّهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » [٢] .

فحين يعمل جهاز الرادار الذي وضعه الله تعالى بفضله في جسم الوطواط دون حاجة من الحيوان الى انتباه أو اصلاح انما يسبح الله تعالى أيما تسبيح وان عمليات الهضم والامتصاص في الجسم الانساني والتفاعلات الكيموية التي تنطوي عليها والخميرة التي تقوم بكل تفاعل والخرائط التي تبين التفاعلات الدائرية العديدة وما يدور بين كل منها والآخر من تفاعلات اخرى والجذور حين تمتص المواد الكيمياوية من التراب ويوصلها الى الاغصان فالاوراق وعملية التنفس والتغذي بالهواء المحيط كل اولئك استسلام لامر الله تعالى دون زيغ او حيد . وفي الوقت نفسه يوحي ان وراء كل ذلك النظام خالقا أعلى نظم الكون أبدع تنظيم ولم يكن الانسان في جميع هذه المعلومات الا مستكشفا عما أودع الله من قوانين وخصائص ، بلطف منه تعالى .

فكل شيء في هذا الكون حتى الطير يسبح لله تعالى بأنواع التسبيح ، وله صلاته الخاصة به وقد أسلم وجهه الى الله : «ألم تر ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » [٣] .

وهكذا الرعد يسبح لله تعالى بتسبيح لا نفهمه على حد قوله تعالى : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » [٤] .

« وله من في السماوات والارض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .
(٢) سورة مريم : ٩٣ — ٩٥ .
(٣) سورة النور : ٤١ .
(٤) سورة الرعد : ١٣ .

ولا يستحسرون ، يسبحون الليـــل والنهار لا يفترون » . (سورة الانبياء : ١٩ ، ٢٠) .

فالتسبيح انما هو تقديس الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص وهو توجه الى الله تعالى واستسلام واسلام .

والاسلام دين الله في أرضه منذ ان خلق السدم والكواكب والشموس والمجرات والنبات والحيوان والانسان ، والاسلام دين الله منـــذ ان بعث آدم (ع) نبيا ، ودين الانبياء جميعا ، وقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » (٣) « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري مايفعل بي ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين » (٤) .

وان دين ابراهيم عليه السلام هو « الاسلام » وكان حنيفا مسلما على حد قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٥) .

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج . ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس . فأقيموا الصلاة وآتوا الزكـــاة واعتصموا بالله ، هو مولاكـــم ، فنعـــم المولى ونعم النصير » (٦) .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقـــد اصطفيناه في

---

(٣) سورة حم ـ سجدة : ٤٣ .
(٤) سورة الاحقاف : ٩ .
(٥) سورة آل عمران : ٦٧ .
(٦) سورة الحج : ٧٧ـ٧٨ .

الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب :يابني ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » [٧] .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا ، انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » (سورة البقرة : ١٢٧ — ١٢٨) .

كانت التوراة تدعو الى الاسلام ، وذلك بقوله تعالى « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » [٨] .

وان حواريّ عيسى كانوا مسلمين : « واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » [٩] .

« فلما أحس عيسى منهم الكفر . قال : من أنصاري الى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله ، واشهد بأنا مسلمون » [١٠] .

وان سحرة فرعون قد أسلموا أيضا ، وذلك بقوله تعالى : « وما تنقم منا،الا انآمنا بآيات ربنا لما جاءتنا،ربنا أفرغعلينا صبرا وتوفنا مسلمين» [١١]

ان يوسف (ع) كان من المسلمين : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السماوات وا لارض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين » [١٢] .

ويقول الله تعالى في قصة لوط (ع) : «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين

---

٧) سورة البقرة : ١٣١—١٣٢ .
(٨) سورة المائدة : ٤٤ .
(٩) سورة المائدة : ١١١ .
(١٠) سورة البقرة : ٥٢ .
(١١) سورة الاعراف : ١٢٥ .
(١٢) سورة يوسف : ١٠١ .

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » (١٣) .

فكل شيء أسلم وجهه لله من جماد ونبات وحيوان ولابد لهذا الانسان الذي منّ الله عليه بعظيم النعم وسخر له الشمس والقمر ورزقه من الطيبات أن يسلم وجهه لله تعالى وان لا يحيد عن سنة الله في أرضه وسمائه ، وهو القائل : « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الامور » (١٤) . ولذلك ما من شيء يقرب العبد الى الله تعالى كجلب الناس ولا سيما الشباب الى حظيرة الاسلام في أرجاء الارض « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » (١٥) . « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين » (١٦) .

وقد انبرى في السنوات الاخيرة ثلة من المسلمين للدعوة الى الاسلام ونشر حقائق الاسلام . دين الله الخالد في الكون الرحيب ، فتأسس مركز اسلامي باسم Islamue Center . 333 في جنيف (سويسرا) ويصدر هذا المركز مجلة « المسلمون » .

ويزداد عدد المسلمين في افريقيا في كل سنة مئات الآلاف ، والافريقيون يرحبون بالاسلام أيما ترحيب ، ذلك لان الاسلام في نظرهم يأبى الاستعباد والاستعمار ، وهو دين الحرية والانطلاق . لذلك يوفد ثلة من المبشرين بالدين الاسلامي والدعاة من قبل الجامع الازهر في مصر وكلية الشريعة في دمشق الى أفريقيا وغيرها من البلاد . وأما في الايام الاخيرة فقد تأسست جمعيات اسلامية متعددة في أنحاء العالم . وهم يوجهون نداءاتهم الى العالم الاسلامي

(١٣) سورة الذاريات : ٣٦ .
(١٤) سورة لقمان : ٢٢ .
(١٥) سورة التوبة : ٢٠ .
(١٦) سورة العنكبوت : ٦ .

لارسال دعاة مجاهدين يقومون بدعوة اسلامية شاملة ، فاليابان أرض خصبة للدعوة الى الاسلام • وفي الهند فعاليات مشكورة لنشر حقائق الاسلام بشتى اللغات • وقد شيد مسجد فخم في هانبورك : (هانبورغ) بألمانيا الغربية ويسلم كل يوم نفر من الالمان ، ويعملون بما نص عليه الدين الاسلامي •

***

ومن الطريف جداً ان أنقل هنا باختصار من مجلة حضارة الاسلام [1] اسلام امرأة فرنسية من مواليد بلجيكا اسمها (بوليت گيو) • كانت تسكن في شقة بناء في حي فخم بجواربجيرتي (اكسل) على مقربة من جامعة بروكسل عاصمة بلجيكا • وكان نزيلا الدور الثاني من هذا البناء (محمد وعدنان) من الطلاب السوريين •

وكان مألوفا ان يتلاقى محمد وعدنان وهذه الجارة الفرنسية (بوليت گيو) معظم الايام على مدخل الدار السفلي ، أو أثناء الدرج ، فلا يكون بينهم اكثر من تحية طائرة تفرضها المجاملة ، دون ان تجر وراءها كلمة واحدة •

وان هذه الامرأة الفرنسية (بوليت گيو) كانت تعتني عناية صارخة بزينتها اليومية الى حد الافراط ، فكانت انموذجا من الاستهتار الذي لا يقيم وزناً لأي مقياس أو تقدير • ومع ذلك فهي تمر بالطالبين السوريين وزائريهما كما تمر بالآخرين من الناس في الشارع والترام والسيارة والشركة التي كانت تعمل فيها كسكرتيرة لمديرها • انها ما كانت تثبت نظرها في أي وجه ، الا بمقدار ما يتطلب الموقف • فكان غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط اجتذاب الابصار واثارة الفضول دون أي شيء آخر •• !

— ٢ —

وحدث ذات يوم أن محمداً ، وهو أكبر الطالبين ، قد عاد من اجازته الصيفية ، ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه في الكيمياء الصيدلية ، وكدأبهما

(١) مجلة حضارة الاسلام ، العدد السادس والسابع من السنة الرابعة .

في مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه ببعض الهدايا الشرقية ، فملأ لصاحبي البناء طبقاً من الحلوى ، ثم مضى بمثله الى الجارة المجهولة ، هذه الفرنسية (بوليت گيو) ولما أطلّت الجارة الفرنسية تتعرف الطارق ، فوجئت بما لم تتوقع ، وجمدت قليلاً قبل ان ترد تحيته ، ثم سألت في لهجة لم تخلُ من الاستغراب : ماذا ؟

ومد محمد يده بالطبق الشهي ، وهو يقول : انها هدية صغيرة من حلويات دمشق ، قدمت مثلها الى جيراننا الآخرين ، فهل تتكرمين بقبولها . تناولت (بوليت) الهدية شاكرة . ودعته الى الدخول ، وألحت بذلك ، فلم يسعه الا الاستجابة ، واتخذ مجلسه في الغرفة ، ودخلت (بوليت) بالهدية الى غرفة الطعام ، ثم عادت ومعها صحفة فضية يعلوها قدح صغير مذهّب وانحنت وهي تقدمه اليه ، ولكن محمداً وضع يده على صدره وهو يعتذر : سأكون شاكراً اذا أعفيتيني .

— ولكنها خمر جيدة ، من أحسن أنواع الكونياك .

— لا أشك في حسن ذوقك ، ولكن لا أشرب الخمر ..

— لماذا ؟..

— لأنني مسلم .

— مسلم !!!

وانزلقت الكلمة في عفوية ممزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها ، كأنها تريد أن تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته .

ولم تشأ أن تحرج الفتى بالالحاح ، فوضعت الكأس في الصحفة الفضية على النَضد النصفي ، ثم أخذت مجلسها في مقعد مجاور ، وجعلت تنظر اليه ، وهي تقول : الاسلام ! هذا شيء أذكر أني قرأت عنه في بعض الكتب ، وقد

أعجبني منه دعوته الى النظافة .

فقال محمد : ان النظافة في الاسلام من الصفات الاساسية ، ولكني أرجو مع ذلك أن يكون الكتاب الذي قرأتِه عنه من الكتب النظيفة ، التي لا تتعمد تشويه الحق .

فقالت : الحق أنني لم أقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقي ، ولم أتعمد البحث عن مضمونه .

فقال محمد : فهل ترغبين في قراءة شيء عن الاسلام ؟.. لدي كتاب بالفرنسية ، ذو أسلوب أدبي معجب ، وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين الإلهي .

فقالت (بوليت) سأكون شاكرة اذا أعرتني هذا الكتاب ما دمت واثقاً من موضوعيته .

ولم يشأ أن يؤخر الأمر ، فاستأذن ليأتيها به ، وما هي الا دقيقتان حتى أقبل عليها ، وهو يقول : انه مقدمة لكتاب ضخم ألفه مصري اسمه (عبدالله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن) ، لينال به اجازته الدكتوراه من باريس .

— ٣ —

كانت شقة محمد وأخيه عدنان أشبه بمكتبة الجامعة ، يرتادها العديد من طلاب العرب في مختلف أوقات النهار . وقد تطور أمرها أخيراً ، حتى أصبح بين روادها الافريقي الأسود ، والهندي الأحمر والأسباني الابيض . وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذاكرات الجامعية ، بل تجاوزها الى المدارسات الاسلامية ، والعبادات واقامة الفرائض ، وطبيعي ان هؤلاء الرواد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها ، بل تعددت مستوياتهم كما تعددت جنسياتهم ففيهم الطالب والعامل والتاجر ، والفقير والثري ، يفدون الى الدار من أنحاء العاصمة ، ليتعاونوا على فهم دينهم ، وتجديد عقيدتهم ، والبحث في شؤون

شعوبهم ، وأوطانهم • وقد رأوا أخيراً أن يخصصوا يوماً في الاسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة ، فحصص للقرآن ، واخرى للحديث ، ومثلها للفقه ، ووقت خاص لبعض المؤلفات الاسلامية الحديثة وفترات خاصة للاستجمام وللعبادة ، وهكذا كان يوم الاثنين من كل اسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الرفاق • يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الأيام ، ويتهيئون له بالأفكار الجديدة والأسئلة العديدة •

وفي جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لأول مرة أن يعرف مؤسسيها ودعاتها • لأن روح الأخوة لا يدع مجالاً لأي تمييز بين الواحد والآخر من روادها • ولكن القدامى منهم يعلمون أن الاخوين الدمشقيين محمداً وعدنان ، هما نقطة الانطلاق والارتكاز في هذا التجمع • وقلما تمضي عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا في نهارهما • وكانا قد شقّا لنفسيهما طريقاً آخر الى عمـل مثمر ، ينسجم مع أخلاقهما التي لم تألف الانحراف عن سبيل الحق • وهكذا انتهيا الى الاتفاق على مخطط مدروس ، ذى شعبتين : أولاهما ذاتية تتركز في تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل سواء في حقل الدراسة ، أو التهذيب الروحي ، حتى يحصناها من تلك المفاسد التي تكتسح الكثرة من مواطنيهم في مختلف أقطار أوربة، وأما ثانيتهما ، فموضوعية وبالأصح انسانية ، تستهدف تنظيم الطاقات الاسلامية في نفوس الشباب المؤمن ، ليس فقط في بروكسل ، بل في أي مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به في بلجيكا وخارجها •

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما في نفسيهما والأقربين من رفاقهما ، ثم قضوا جميعاً متعاونين في توسيع مجالات هذا النشاط • حتى استطاعوا أن ينقلوا خطواتهم الأولى في سبيل انشاء المركز الاسلامي الذي يحلمون به • وكان ذلك حين أحرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على اعطائهم البناء الخاص

بالحكومة التركية في معرض (بروكسل) ، وهو البناء الذي أنشىء على صورة المسجد بقبته ومنارته . ثم أصبح فارغاً معطلا بعد ارفضاض العرض . وهاهم أولاء يعدون عدتهم منذ اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذي بات موعده وشيكاً . ثم ليجعلوه فيما بعد مسرح نشاطهم الذي لم يعد بمتسع له البيت .

وقد أصبح لديهم مكتبة متنقلة تحتوي على طائفة من أنفس الكتب الاسلامية بالعربية وغيرها ، وتقدم بطريق العارية للرجال والنساء على سواء . ولقيت حركتهم عطفاً مشجعاً لدى بعض السفارات الاسلامية ، وبخاصة سفارة (السنغال) التي يقوم على رأسها رجل يهمه أمر الاسلام وانتشاره في أصقاع الأرض ويحيط به قلة من الموظفين لا يقلون عنه حباً للاسلام واهتماماً بشؤون المسلمين . ولم تعد حركتهم محصورة في حدود المسلمين وحدهم ، بل بدأت الاتصالات بعناصر مثقفة من البلجيكيين والأوروبيين أنفسهم . وها هو ذا عدد منهم نساء ورجالا يحضرون اجتماعاتهم الاسبوعية ، ليستمعوا الى معاني القرآن والحديث ، وليشاركوا في مناقشة الأفكار المختلفة التي تقرأ في بعض هذه الاجتماعات عن الاسلام والمسلمين .

علم محمد أن المرأة الفرنسية تريد أن تترك شقتها الكبيرة في هذا البناء الى شقة صغيرة في بناية أخرى فاقترح على صاحبة البناء أن يقدم شقة كان يسكن فيها هو وأخوه عدنان الى المرأة الفرنسية وهما ينتقلان الى الشقة الكبيرة ، فحصلت الموافقة .

— ٤ —

وعاد الأخوان مساء ليجدا كل شيء قد تم على ما يرام ، بل فوق المرام لقد بدلت الدار بالدار ، ورتبت أشياؤهما من كتب وثياب وحقائب وما الى ذلك مما يملك المسافر في أمكنتها المناسبة من المنزل الجديد ، وكانت الدار

بأثاثها الأصلي الفاخر غاية في الاناقة التي يحلم بها طالب في منزل أجرة (پانسيون) • فاستشعرا روح الهناءة ، ووقفا هنيئة يخططان للاجتماعات المقبلة ، ولم ينسيا ان يخصصا قاعة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك في أوقاته الاسبوعية • وشدّ ما أدهشهم منظر بياضهم مغسولا مطوياً ، وثيابهم منظفة مكوية ، وقد نسقت على مشاجبها في الخزائن ! فقدروا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين ، وفي هذه الآونة فوجئا بالجرس يدق ، ولما فتح الباب أطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما وتسألهما اذا كانت ثمة من خدمة أخرى تستطيع تقديمها لهما ••!

واستجابت المرأة لدعوتهما ، فجلست لترشف قدح الشاي الذي صبّ لها ، وقالت رداً على الثناء الذي وجهاه اليها ••• : لم أفعل شيئاً كبيراً ، لقد وجدت نفسي في فراغ الأحد ، وكان لابد من نقل أمتعتي الى داركما الأولى كما اتفقنا ، فبدلاً من أن أعود فارغة الى فوق ، في كل مرة ، كنت أحمل بعض أمتعتكما بطريقي ، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء ، ثم وجدت لدي بقية من فراغ فسليت نفسي بانجاز بعض الاشياء التي قد يضيق وقتكما عن انجازها في الوقت المناسب •

قال عدنان : ولكن هذا كثير ، أيتها الجارة المحترمة •

وقال محمد : لقد وضعتنا بذلك تحت عبء من الفضل قد نعجز عن مكافأته ، وهنا أثبتت قليلا نظرها في وجه الفتى الذي صبغه الحياء ، وبرق ببوادر الشعور بالجميل ••• ثم قالت : « بل لعل الأمر على العكس ، ولو علمت ما أحدثت عاريتك في نفسي لأدركت أنك أنت المتفضل •• »

وفجأةً وثب الى خيال محمد صورة تلك الليلة التي طواها وراء ستة أشهر ، وتذكر الكتاب الذي أعارها اياه ••• فقال : أرجو أن يكون وقتك قد اتسع لقراءة الكتاب •••

ـ لقد أعدت قراءته خمس مرات ...

ـ وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه .

ـ الملاحظات كثيرة ... ولكني لم أكتب واحدة منها خارج قلبي ... أجل .. لقد نقشت انطباعاتي بالكتاب هنا ، على صفحة قلبي التي لا تقبل المحو ...

وسكتت ، وسكت الفتيان بما يسمعان . وينظر كل منهما الى الآخر دون كلام ... حتى عادت المرأة تقول : كنت أحسب أن تجاربي الماضية كانت كافية لصرفي نهائياً عن أي تفكير ديني . ولكن هذا الكتاب قد كشف لي بشكل مباغت أنني على أتم الجهل بجوهر الدين . وإنني لأول مرة أجد نفسي في مواجهة الحقائق الإلهية ، التي قضيت شطراً كبيراً من عمري في البحث عنها بغير طائل .

قال عدنان : ذلك حال طبيعي ، فالقلب الانساني كالقفل الدقيق ، لا يستجيب الا الى مفتاحه ، وليست الحقائق الإلهية الا ذلك المفتاح .

ـ تمثيل رائع ، وأستطيع القول بنتيجة خبراتي الشخصية أن هذه الحقائق هي وحدها التي تروي عطش القلب الضائع في صحراء المجهول . وكل تفكير ديني مجرد عنها هو كالماء الملح لا يزيد النفس الظامئة الا تلهباً واحتراقاً .

وفي غير تعمد انسرب بصر محمد يجول في مظهر هذه المرأة ، كأنه يفتش عن الدليل الذي يؤكد أنها جادة في الذي تقوله . فاذا هو يصطدم بالواقع ، الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق ...!

ان الأحمر الذي يغرق شفتيها .. والركبتين تشدان النظر الى ما وراءهما في إغراء وقح . والضغط الصارخ الذي يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنّع ، والذي لا يزال محتفظاً بالكثير من مُغريات الفتوة

كل اولئك من شأنه أن يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جادٍّ . وبخاصة في مقياسه هو الذي لا يستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها ولذلك لم يستطع منع وجهه من ابتسامة خفيفة لا يفوت الذكي ما وراءها !!..

وعادت الفرنسية الى الكلام : « لقد اطمأن عقلي وقلبي الى هذا الدين وأريد أن أسألكما عن السبيل الى اعتناقه ... » .

قال محمد : ان مجرد الاقتناع به هو اعتناقه . ويبقى اعلان ذلك بالشهادتين : أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ..

ـ فأنا أشهد أن لا اله الا الله ، لأني مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة ، واما رسالة محمد ، فلا ينكرها الا كافر بعقله ، أو كاره للحق . فهل أنا إذن مسلمة الآن ؟!

ـ بالتأكيد ... ولكن هناك مشكلة ...

ـ مشكلة !... وما هي ؟.

ـ هي : أن الاسلام نظام كامل .. يؤخذ جملةً لا تفاريق ... وهو يفرض على معتنقه سلوكاً معيناً ، ومظهراً خاصاً ، وخلقاً مميزاً ... بحيث يمثل في شخصه المتميز ، الخطوط العملية الكبرى لحقيقته الإلهية .

ـ أدركت هذا من سلوككم .. الذي أعطاني في الواقع كثيراً من التفسيرات التي لم يتسع لها الكتاب . لقد سئمت الأديان التي تفصل بين السلوك الشخصي والمعبد . وتتساهل حتى في الفضائل الرئيسية . فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة ، والملاهي العابثة ، والمراقص المنكرة ، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينها وبين الشباب الطائش ، وكرهت من رجال هذه الأديان بوجه خاص وقوفهم في نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد ، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع . اذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة . فيكتفون من المتديّن أن يظلّ على صلة بمعبدهم ولو ساعة في الاسبوع

ثم لا عليه بعد ذلك أن ينطلق وراء غرائزه في سباق محموم لا يعترف بأية رقابة لعين الله . ولا أية مسؤولية تجاهه ، وذلك بخلاف الاسلام الذي تبيَّن لي انه من الشمول بحيث يعتبر الارض كلها معبداً ، وكل عمل صالح ما دام المؤمن يأتيه وهو مستهدف رضوان ربه . ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للاسلام ... وهو لا شك سعيد بذلك . لأنه لا يستشعر أي تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وفي داخله . بل ، انه ليشعر بديل ذلك بأتم الانسجام بينه وبين الحياة . وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤدٍ الى شقائه ، لأنه تصادم مع مبادىء الحياة نفسها .

وأمسكت قليلا تحدق في ما بين يديها دون تركيز على شيء بعينه ، وقد غرق البهو كله في صمت عميق . وأطرق كل من الفتيين مثلها يسبح في غمرة هذه المعاني ، التي فتحت أمام نفسيهما آفاقاً ماتعة ، يخيل اليهما أنهما يستشرفانها لأول مرة .

وقطعت الصمت كرة اخرى لتقول : « من أجل ذلك استجابت نفسي كلها لهذا الاسلام . اذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع أعماق الفطرة الانسانية ... وقد صممت على أن أخضع جميع تصرفاتي الى أحكامه ... »

ولم يشأ محمد ان يؤخر ملاحظاته أو يجمجم بها فقال : « ولو قضت هذه الاحكام بتغيير نظام حياتك كله !؟... »

وفي تصميم قاطع أجابت ، وما فائدتي من الاسلام اذا هو لم يغير طريقتي في الحياة !... وهل تظن أنني كنت راضية عن نفسي ونظام حياتي .. وعن أي شيء مما حولي !...

ثق أيها الجار الكريم أنني كنت انسانةً ضائعة ، بل غريقة ، يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها . ولم تكن تصرفاتي الشخصية جميعها الا محاولة للهروب من الواقع الحائر ، الذي تفرضه عليَّ حضارة لا أؤمن بها

لأنها حضارة عوراء ، لا ترى من الانسان الا جانبه الجسدي ، ولا تقيم وزناً لأي ظمأ داخلي خارج نطاق المادة ، ولقد كان لقائي بك ليلة الهدية أول صدمة شدتني الى الاتجاه الآخر ، ثم جاء كتاب الدكتور (دراز) فدفعني شوطاً بعيداً في هذا الطريق • وكان لطريقة حياتكم في هذا الجوار الطيب أثرها العملي في صيرورتي الى هذا التقرير المطمئن ••• وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين أشعر بأنني عثرت على نفسي ووجدت حقيقتي ، ووضعت قدميّ في الطريق السويّ ، فكيف لا أخضع وجودي كله لحقائق الاسلام • وهو الذي أنقذني من ذلك التمزق ، وهداني السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل •••!

وعقب عدنان على ذلك قائلاً : ولكن عناءاً جديداً ينتظر القابض على هذا الدين ••• لعل أهون منه قبض الجمر •• إنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء • ويتطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائياً من مثل هذه الثياب الى أشكال اخرى تتم بها الحشمة ، دون تضييق ولا تقصير ولا خلاعة ، حتى الشعر ، لا يأذن بظهوره لأجنبي ••• وهناك صلوات خمس في كل يوم وليلة لا مندوحة من أدائها ••• ثم صيام شهر رمضان الذي نحن فيه هذه الايام • ثم كف النفس عن كل شهوة حرمها الله كالخمر والرقص المختلط ، والخلوة بالأجنبي ••• وأقل ما يجره هذا الاتجاه هو أن تصبحي هزأة لدى الذين سيرون منك كل هذا التغيير دون مسوّغ مقنع في أنظارهم •

وكفّ عن الكلام ليرى أثره في نفسها ، فاذا هي تقول : اما هذه الثياب فستتغير في أسرع وقت ••• وفي الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح لي فيها ان أروي ظمأ قلبي الى مناجاة الله • وسأجد في الصيام دون ريب متعة رائعة ، اذ تعرفني حاجة الانسان الى نعم الله التي ألِف أن لا يعيرها تفكيراً ••

ولقد مجت نفسي تلك الشهوات التي لم تزدني الا استشعاراً للفراغ الروحي الذي طالما عانيته ... أما هزء الناس فقد توقعته ، ووطنت نفسي على احتمال كل شيء ...

ولم يبق لدى الفتيين ما يقولانه بازاء هذا الاصرار الحاسم .. فاكتفيا بأن قدما اليها الأوراق التي كتب فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة ... وما لا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتديء . ثم قال محمد : سنكون جميعاً مسرورين باستقبالك أصيل كل اثنين . اذا شئت أن تحضري معنا بعض الدراسات والعبادات ... وسترحب بك أخوات من السنغال وألبانيا وأندنوسيا وأنحاء اخرى من العالم ...

وقد اختارت (بوليت گيو) الفرنسية لنفسها اسماً جديداً (هدى) بعد اعتناقها دين الاسلام ودخلت في صباح اليوم التالي على مدير الشركة البلجيكي فقالت له : لدي خبر ، أرى من واجبي اطلاعك عليه لكي لا يفاجئك.

وابتسم المدير لسكرتيرته في لطف أبوي وقال : اعرضي ما تريدين ..

ـ ابتداءاً من الغد سترون تغيراً بل انقلاباً في حياتي كلها ، وأول ما تلمحونه من ذلك في ثيابي التي ستكون أدنى الى أردية الرواهب ...

ـ لعلك راغبة في اللجوء الى الدير !؟...

ـ كلا .. لا شيء من ذلك .. انما قررت أن أكون مسلمة ...

ـ مسلمة !.. وهل يعني ذلك أن تتركي الكاثوليكية ..؟

ـ هو ذاك ، لأن الاسلام شيء غير المسيحية المعروفة كلها ... وسأعرفك به عندما تريد ...

ـ ولكن الاسلام كما قرأت وكما أخبرنا بعض القسس يحتقر المرأة ... ويجعلها قعيدة بيتها لا تصلح لأي عمل ..!

ـ ذلك من دسائس أعداء الاسلام الذي لا تعرفه مع الأسف الا عن

طريقهم . أما الواقع فهو أن المرأة لم تسترد اعتبارها الانساني الا في ظل الاسلام ...وقد لبثت أحقاباً لا تعدو منزلة الشياطين في حكم رجال الكنيسة حتى هبت على أوربة نفحات الحضارة الاسلامية عن طريق الأندلس والحروب الصليبية ، فاذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم في المرأة ، ثم لا يزالون يعدلونه حتى انتهوا الى الاعتراف ببعض حقوقها التي قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرناً ... ومهما يكن فذلك بحث نرجئه الى وقته المناسب . ولكن هذا لن يؤثر في اخلاصي في عملي بل سيزيدني رغبةً فيه واتقاناً له ، لأنني بذلك أحقق أحد تعاليم ديني الجديد ...

ولم يرَ المدير في أمر سكرتيرته أي أمر ذي بال . ما دام اسلامها لن يحول دون استمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه ... وقلّب شفتيه ويديه وهو يقول لها : ذلك أمر يخصك ولا يهمني .

ثم مضت هدى الى زملائها من مستخدمي الشركة ، تنقل اليهم النبأ في لهجة مثقلة بالجد . وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد ، لأنه مخالف لمألوفهم ، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها ، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير ، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج .

وجاء اليوم الثاني ... وغادرت هدى الشقة الى عملها اليومي في زيها الاسلامي الجديد . الذي أعدته لها اختها فاطمة الاندنوسية : ثوب سابغ أبيض يمتد من أعلى النحر الى أسفل الساق . وقد اتسع حتى لا يمثل أي عضو تحته . وخمار زبدي اللون أدير على الرأس وحول العنق ، بصورة لا أناقة فيها الا سذاجة . وفي القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لا يوحي بأي اغراء أو تبذل ... وقد تعمدت أن تكون نظارتاها من اللون الاسود .. لتستطيع حجب تأثرها من الأشياء المزعجة التي تتوقع أن تراها أثناء اليوم . وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذي تقابل به الناس لأول مرة

منذ ثلاثين سنة ونيف خالياً من كل أثر للزينة أو الطلاء ... فلا أبيض ، ولا دهان ، ولا أحمر ، اللهم الا حمرة الخجل الذي غشي وجهها جميعاً .

وفي سيارة الشركة ، التي اعتادت أن تمر بها كل صباح ، تلقت أول صدمة ، وذلك حين انصبَّت عليها أحداق العمال والمستخدمين فاغري الافواه من الدهشة . لا تكاد أعينهم تصدق أن هذه هي سكرتيرة المدير ! وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم خبرها بالأمس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم ، فراحوا يتغامزون ويتهامسون وهم يسارقونها النظر . وهي في هذه الغمرة من المفاجآت لم تلحظ هدى أن أحداً رد عليها تحيتها ، كأنهم لم يسمعوها ، أو كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر ، حتى جعلت تراجع نفسها فلا تدري : أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك !..

ولم تتمالك رعشة سرت في جسدها وهي تستقبل هذه المفاجأة ، ثم غلبها الضعف ، فاذا دمعتان كبيرتان تتدحرجان على خديها [1] ، فتسرع الى مسحهما بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقليبه !

وودت لو تطير بها السيارة لتخلص من هذا الجو ، وقد قررت أن تلوذ بغرفتها فلا تغادرها الا لضرورة قاهرة ، وان تتجنب هذه الأنظار ، فلا تخالط أصحابها الا بعد أن يألفوا منظرها الغريب .

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة ، اذ ما كادت تهبط من السيارة الى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير . يطل عليها من الباب الخاص ، ليقلب نظره طويلا في هذا الزي الذي لمحه عن بعد ، والذي سمع المستخدمين

---

(١) ما اعظم فضيلة الصبر ، فانه تعالى يقول : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » . (سورة الزمر : ١٠) وقال تعالى : « وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » . (سورة القصص : ٨٠) .

ويقول علي عليه السلام : « فى البلاء تحاز فضيلة الصبر » .

يتهامسون بشأنه ..!

وانتبه المدير الى موقفه ، فلم يسعه الا ان يتكلم ، أسعدتِ صباحاً أيتها الآنسة ، أرجو ان لا تجدي ما يزعجك طوال اليوم !..

وأدركت ما يريد ، وتذكرت كلمات عدنان ... وتصميمها السابق ، فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف، ثم قالت : ليثق حضرة المدير أن لا شيء يزعجني ... لأنني مطمئنة الى أن مسلكي هو الأفضل .. وكل استغراب له انما يرجع الى بعد المستغربين عن فهم الحقائق الالهية ...

ولم يجب المدير بشيء .. وترك لشفتيه أن تتمتما ببعض الكلمات الغامضة ... ثم انسحب الى مكتبه ...

وانتضت (هدى) بتصميمها . وتذكرت أيضا أن الاسلام يستحق منها أكثر من هذه المزعجات . انه غريب في (بروكسل) كغربته من قبل في مكة ، ولقد تلقى أتباعه الأولون ، بين اخوتهم الكافرين به ، ألوان العذاب في سبيله قبل أن يحتل مكانته الطبيعية في وطنه الأول ، فلمَ لا تحتمل هي اليوم بعض ذلك العذاب في سبيل تعريفه الى الناس في هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه. واستمرت حياة هدى على هذا المنوال أياما طوالا ... لقيت أثناءها الأمرّين من فضول الناس ... فلم تجتز شارعاً ولم تطأ حانوتا ، ولم تركب حافلة ، ولم تدخل مركز الشركة الا سمعت الهمس ورأت الغمز واللمز ... وقابلت ذلك كله بجلد هائل ... ولكنها ما تكاد تخلو الى نفسها في بيتها حتى تتسلم الى بكاء طويل ونشيج محرق ...! [1] .

---

(١) قال رسول الله (ص) : « اذا أحب الله عبدا نصبت فى قلبه نائحة من الحزن ، فان الله تعالى يحب كل قلب حزين ، واذا أبغض الله عبدا نصب له فى قلبه مزمارا من الضحك . وما يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن الى الضرع ، ولم يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان من جهنم فى منخري مؤمن ابدا » .

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم الى دار الطلاب ، لتخبرهم أن جارتهم التي من حقها أن تكون سعيدة في عيد ميلادها اليوم ، قد أغلقت عليها بابها لتنخرط في بكاء حزين ...

وهبطوا : عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها ، وبعد أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب . فدخل الفتيان الى الردهة ليأخذا مكانهما بانتظارها ... ولما عادت نحوهما في رداء الاستقبال ، كان أثر الدمع لا يزال بارزاً من تحت نظارتيها السوداوين ... ورحبت بهم في صوت لم تستطع اخلاؤه من أثر البكاء ...

وتكلم محمد في كثير من التحفظ ، لقد كثرت أحزانك في هذه الايام .. ولابد لأنها نتيجة لوضعك الجديد . ولما يواجهك بسببه من مزعجات . وكان الأولى أن تقابلي ذلك بالصبر الذي وراءه الأجر ...

وكأنها أحست في تلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد ، فلم تستطع منع عينيها من الدمع ... وترددت ملياً تغالب نفسها ، وتسترد أنفاسها ، حتى استطاعت أن تستأنف : « .. حقاً ، انها لأحداث مزعجة : تلك التي اصادفها في كل مكان ... ولكنها لا تزيدني الا شعوراً بالرضى واشفاقاً على هؤلاء المساكين الذين لا يعلمون ما يعملون ... ولعل كثيرا من دموعي وأحزاني لاتعدو أن تكون تعبيرا عن الغبطة الروحية التي تستغرقني ، عندما

وقال رسول الله (ص) : يا علي ، عليك بالبكاء من خشية الله ، يبني لك بكل قطرة الف بيت فى الجنة » .

وقال رسول الله (ص) : البكاء من خشية الله يطفىء بحارا من غضب الله وقد وبخ الله تعالى اناسا على ترك البكاء عند استماع القرآن عند قوله : « افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » . ومدح الذين يبكون عند استماعه بقوله : « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » . وقال بعض العرفاء: اذا اراد الله ان يتوب على عبد جعله يبكى على ذنوبه !...

أشعر بأنني أتحمل بعض التضحية في سبيل الله ... غير أن أخوف ما يخيفني هو ان يكون البعض الآخر من هذه الدموع والاحزان نتيجة لضعف خفي في قوتي الروحية !...

وتهدج [١] صوتها ، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام ... فأمسكت لتمسح دموعها وتهدىء أعصابها .

ورأى محمد ان يساعدها على هواجسها ، فقال : ان مثل هذه الظاهرة تبدو جلية في جميع الذين هدوا الى الاسلام من اخوتنا الأوروبيين . وهذا اسماعيل الذي كان اسمه روجيه ، كثيراً ما تهيج مشاعره حتى لا يجد راحة لقلبه في غير البكاء وهذا كما يبدو لي نتيجة رهافة بالغة في العواطف ولدتها الاشواق الروحية والتأمل المستديم في معاني القرآن الحكيم [٢] ... وهنا رفعت هدى بصرها الى محدثها وقد شاع في وجهها بشر خفي ، ثم قالت وفي صوتها رنة السعادة : « لكم يسرني أن يكون استنتاجك مصيباً أيها الاخ ... الحق ، انني أحس في قلبي رقة لم أعهدها قبل اسلامي ... وكثيراً ما يطغى عليّ هذا الشعور حتى أغيب في فيضه عن كل شيء ... الا تلك الاشارات السماوية التي اكتشفها كل يوم في الآيات القرآنية . أو الاحاديث النبوية ... » .

وتوقفت قليلا ، كأنما اعترضها خاطر مفاجيء ... ثم قالت : لقد عرضت على أختي بنت سفير السنغال أن أترك الشركة الى سفارتهم ، أجد الجو الاسلامي الذي يريحني من مضايقات المخالفين . فترددت أولا ، ثم رأيت

---

(١) تهدج الصوت : تقطع فى ارتعاش .

(٢) « وممن هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا » . (سورة مريم : ٥٨) . « ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » . (سورة الاسراء : ١٠٧ — ١٠٩) .

أن أقبل هذا العرض وان كان دخله دون مرتبي الأول • لأنه سيوفر لي من الراحة النفسية ما أنا في مسيس الحاجة اليه • وفي هذه المناسبة أقول لكما أنني قررت الاكتفاء بالضروري من دخلي ، لأجعل ما يزيد عن حاجتي في خدمة الدعوة ، ولمساعدة الفقراء من لاجئي الألبان المسلمين • وسوف أفتح منزلي لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم الى تركهم للعمل أثناء النهار • وعندي اقتراح آخر هو أن تتخذ من هذا المنزل مركزاً خاصا لاجتماعات نسوية اسبوعية تضم المسلمات وغير المسلمات ، من المثقفات الأوربيات اللواتي نأنس فيهن رغبة في الحق ، وقدرة على فهمه •

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساءً • فتذكر الاخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيك والهولنديين ، فاستأذنا بالخروج لاستقبالهم ، بعد ان اتفقا مع هدى على جميع النقاط التي أثارتها • ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب •••

***

فالمرجو من الشباب المؤمن أن يتأسى بتضحية هذين الشابين وطريقتهما في اعلان الاسلام ونشره بين رجالات الغرب ونسائهم ، وان يتعلم منهما الصبر والأناة والعفة والعفاف ، والثبات على المبدأ •

فللشاب أوقات فراغ يستطيع فيها أن يخدم دينه ، ويخدم الانسانية جمعاء ، بل ينقذها من هوتها السحيقة وويلاتها الفادحة ، وغيها وضلالها الفظيع ، فليست المناصب العلمية : (ماجستير ودكتوراه •••) كل ما يزيّن الانسان ويجعله في مصاف الآدميين ، وانما النفس هي الميزان في كمال الشخص ، لا ما أملته الحافظة أو أنتجته الذاكرة بمساعدة الذكاء ، فالانسان انسان بنفسه : بكمالها وفضائلها وجهادها ، لا باختراعاته وابتكاراته فحسب فرب رقاع أعلى نفساً وأرفع كمالاً وأقرب الى الله ممن بلغ مرتبة «أينشتاين»

في عالم الكشف والاختراع • وقد قال الله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يقل أكثركم ذكاءاً أو علماً أو اختراعاً • وقد قيل :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكم رأينا من شبان حازوا على شهادتين عاليتين أو أكثر ، او نالوا درجة الدكتوراه ، الا انهم لم يتقدموا في الكمال النفسي شبراً واحداً • فهم يتقلبون في دور الخمور والفجور وهم من أسوأ الناس أخلاقاً وأقلهم وفاءً وأشدهم بخلاً وأكثرهم تكبراً وأبعدهم عن الفضيلة ، حتى أنهم يتكبرون على الآباء ولا يقومون بأداء حقوق الامهات ، كأنهم وجدوا دون أن يقطعوا مراحل الطفولة ودون تحمل الآباء والامهات في سبيل نشوئهم أنواع الأتعاب والتضحيات • فبئس العلم المادي الذي لا يرافقه رقة ولطف وأخلاق وفضيلة • وبئس العلم المادي الذي يجعل النفس الانسانية من الغلظة والخشونة والقسوة كالحجارة أو أشد قسوة ، « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله • وما الله بغافل عما تعملون [1] » •

فلابد من انقلاب جذري في حياتنا التعليمية في معاهد التدريس ، من رياض الأطفال الى التحصيل الجامعي ، انقلاب اخلاقي على ضوء تعاليم الاسلام ، فلم يترك الاسلام كل ما يؤدي الى كمال هذا الانسان مذ نعومة أظفاره الى ان يترعرع الا وقد بيّن فيه حكمه بوضوح وجلاء ، فنحن بحاجة الى ايجاد جيل يمثل الانسانية والكمال الانساني خير تمثيل • وهذا لا يتحقق مع تقليد رجال التربية في الغرب في حقول الاخلاق والكمال النفسي ، بل يتحقق باتباع تعاليم القرآن ، « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى

(١) سورة البقرة : ٧٤ .

صراط مستقيم [١] » . وقد قال علي عليه السلام : «ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يُضل والمحدث الذي لا يكذب » .

فلا أخلاق فوق أخلاق نبينا محمد (ص) ولا كمال فوق كماله ، وقد خاطبه الله تعالى قائلاً : « وإنك لعلى خلق عظيم » [٢] .

وقد صرح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى هو الذي أدبه ، بقوله : « أدبني ربي ، فأحسن تأديبي » . فعلى حملة لواء العلم والاخلاق في مدارسنا على اختلاف مراتبها ودرجاتها أن يتأدّبوا بأخلاق الرسول (ص) وأهل البيت عليهم السلام كي يتأدب مَن يربونهم بآداب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (ع) : بآداب الاسلام المثالية ، ليمثلوا الكمال الانساني قبل أن يكونوا علماء في مختلف الفروع من العلم المادي . فقد قال علي عليه السلام : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » . وقال أيضا : « ان الناس الى صالح الأدب أحوج منهم الى الفضة والذهب » وقال أيضا : « ان الحازم من شغل نفسه بجهاد نفسه ، فأصلحها وحبسها عن أهويتها ولذّاتها ، فملكها . وان للعاقل بنفسه عن الدنيا وما فيها وأهلها شغلاً » . وقال أيضا : « ان العاقل من نظر في يومه لغده ، وسعى في فكاك نفسه ، وعمل لما لابد له ولا محيص عنه » . وقال أيضا : « ان الحازم من قيّد نفسه بالمحاسبة وملكها بالمبالغة وقتلها بالمجاهدة » .

وقال عليه السلام أيضا : « ان من أحب العباد الى الله سبحانه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القِرى ليومه النازل فيه » .

وقال أيضاً : « ان أفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته

---

(١) سورة المائدة : ١٥ — ١٦ .

(٢) سورة القلم : ٤ .

وأتعب نفسه لصلاح آخرته » .

وقال أيضا : « ان الكيّس من كان لشهوته مانعاً ولثروته عند الحفيظة واقماً قامعاً » (٣) .

فطوبى للمجاهدين في سبيل نشر حقائق الاسلام في البلاد الاسلامية وخارجها وهو القائل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » (٤) .

وقد قال علي عليه السلام : «ان من بذل نفسه في طاعة الله سبحانه ورسوله دنت نفسه ناجية سالمة ، وصفقته رابحة غانمة » .

***

ويجدر بنا ان نذكر هاهنا بايجاز آراء بعض الشخصيات الذين اعتنقوا الدين الاسلامي في الغرب نتيجة بحث وتنقيب وتتبع عميق دليلاً على أن الاسلام هو الدين العالمي في مستقبل قريب وانه هو دين الله في أرضه وسمائه : « إن الدين عند الله الاسلام » (١) (٢) .

١ ــ اللورد هيدلي رئيس الجمعية الاسلامية البريطانية : يحدثنا بقوله : « ينظر الأوروبيون دائماً الى الاسلام كأنه وحشية وهمجية . فلو علموا كل ما فعله محمد لإزالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغيروا تلك الأفكار حالاً . إنهم هم المبشرون المسيحيون الذين لم يدخروا وسعاً في تحريف الديانة الاسلامية ، وان هذا لأعظم الكذب الذي يخزيهم وان كانوا ليظنون أن ما يفعلونه حسن ، فما أعظم الفرق بين الطمس التعمدي

(٣) واقماً : وقم الدابة : جذب عنانها لتقف . والحفيظة : الغضب والحمية في الشيء الذي ينبغي ان يحفظ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) اقتبسنا هذا الفصل بكل ايجاز من كتاب : « لماذا اخترنا الدين الاسلامي » الذي صدر حديثاً لمؤلفه الاستاذ السيد محمد الرضي الرضوي .

للحقيقة وبين الحالة التي يسير عليها المبشر المسلم في عمله • روح الاسلام تحلق فوق أشياء أرقى وأرفع من تلك الاطماع الدنيئة والاختلافات الجنسية في الشرق والغرب » •

« روح الشكر هي خلاصة الدين الاسلامي ، والابتهال أصل في طلب القيادة والارشاد من الله • وان كان شكري لله على كرمه وعنايته كان متأصلا فيَّ من صغري وأيام حداثتي ، الا أنني لا استطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التي قرع فيها الدين الاسلامي لبي حقاً وتملك رشدي صدقاً وأقنعني نقاؤه وأصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي اذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتها قط من قبل ونجوت من العقائد الغربية المتعلقة بسائر فروع الكنيسة المسيحية المختلفة واستنشقت تلك النجاة كما استنشق هواء البحر الخالص النقي • وبتحقيقي من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده أصبحت كرجل قفز من سرداب مظلم الى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار » •

« حياة محمد كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكوِّن الانسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة » •

« لم يشهر السلاح محمد الا عند الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية وربما ادُّعي بأن الاسلام استعمل السيف في نشر الدين ولكن ألدُّ أعداء الاسلام القادحين فيه عجزوا عن أن يأتوا ولو بأقل دليل أو مثل من الامثلة التي أثر فيها الحرب في هداية أية قبيلة أو شخص الى الاسلام » •

« والحق اننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات ، أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية

وان في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الاطلاق» .

« ومن مميزات الاسلام الأصلية ملائمته لجميع الأجناس البشرية . فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الاسلام . فدين الرسول محمد عليه السلام قد أكد من الساعة الأولى لظهوره ، وفي حياة النبي عليه السلام انه دين عام صالح لكل زمان ومكان ، واذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحا بالضرورة لكل عقل ، اذ هو دين الفطرة ، والفطرة لا تختلف في انسان عن آخر ، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة » .

٢ ــ المستر آرثر : يقول :

« يريد كل منا أن يختار لنفسه الأحسن ــ أحسن الأطعمة ، أحسن المساكن ، أحسن المراكز ، أحسن الاخوان ، ولكن ، كم منا فكر في أن يختار أحسن الديانات ، ان معظمنا راضٍ بالدين الذي وجد عليه آباءه ، وفراراً من التعب تترك البحث ونكون مصداق هذه الآية المباركة « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » . (سورة المائدة : ١٠٧) .

إني لأتجاسر على أن أقول : اذا عينت لجنة من الانكليز الأكفاء حقيقة ممن هم على شاكلة المأسوف عليه : اللورد سالسبري والمأسوف عليه اللورد : بيكو نسفيلد والمستر بلفور واللورد هالدين والسير روفس اسحاق .. الخ لفحص الدين الذي يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامي الذي يشهد له العقل ، والذي يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ...

٣ ــ و . ب . فارمر : W. B. Farmer يقول :

أولاً : ان الدين الاسلامي دين عملي ، دين منزه من المخبئات والخرافات دين يسهل فهم مغزاه ، دين مُبرأ من كل ما يخالف العقل ، ولم تتراكم فيه

عُقد الفلسفة الألوهية .

ثانياً : انه دين يتعرض للأمور الأساسية الأصلية ، وانه دين يزاول القوانين الأولية للطبيعة والفطرة ، وانه لا يعرف فصلاً بين الدين والعلم ضمن ترجيحه لعلم الديانة على سائر العلوم . لأنه علم المكرمات وعلم الحياة السعيدة الموفقة .

ثالثاً : للاسلام أحكام تامة وقوانين كاملة في جميع مراحل الحياة البشرية على هذه البسيطة في كل ناحية من النواحي الاجتماعية والادارية والعسكرية والتجارية .

يشتمل الاسلام على دساتير توضح السبل وترشد الى الطريق ، الاسلام ينظم كل عمل تحتاج البشرية الى مزاولته .

الاسلام له المام بالظروف الراهنة في الحياة وهو دين جاء لهذا البشر العائش في عالم الدنيا .

٤ ــ الدكتور جرموناس الاستاذ بجامعة بوداپست : يقول :

« خالجني منذ طفولتي حنين الى أرض الاسلام وكأنها أرض الميعاد الخيالية . فان الاندفاع نحو الأهداف المادية والرغبة الملحة في السرعة وهما طابع الحضارة الاوربية أبديا لي الشرق الاسلامي دنيا سحرية تفيض بالشعر وتزدان بالمثل الانسانية . واني أنا الرجل الأوروبي الذي لم يجد في بيئته الا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية ، تأثرت أعمق التأثر ببساطة الاسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه » .

« وبينما التمس الاوربيون أسباب سعادتهم في الاستزادة من نعيم البدن كفل الاسلام للانسان راحة نفسه ، اذ قامت تعاليمه على أن السعادة لا تكون في عرض زائل كسيارة أو طيارة ، بل في رضا الضمير ، وسبيله أن يقوم الانسان بواجبه نحو ربه ونحو الناس ، فيحس الأفراد بعد الوفاء بهذه

الواجبات اطمئناناً قلبياً أطول عمراً من السعادة العابرة التي تصدر عن طريق الأسلحة وتنبعث عن الرغبة في التدمير » .

« ولقد وهم السطحيون من الناس — حين قارنوا حال الدول الاسلامية بتزايد نفوذ الدول المسيحية — ان الدين الاسلامي هو علة سقوط دولة المسلمين . ولكني أستطيع أن أجهر بمنتهى الجرأة بعد أن قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الاسلام بأنه لا يوجد في تعاليم الاسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلمين أو يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة » .

« ان محمداً رسول الله لأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ مؤيّد بوحي من عند الله .. ونحن مأمورون أن نفهم تعاليمه ونطبقها على شؤون حياتنا الدنيوية مع الايمان بأن ما أوحي به اليه انما هو أساس لا يهتز ولا يتعثر لكونه إلهياً » .

« ولقد أخطأ المسيحيون اذ لم يفهموا الاسلام على حقيقته وبالتالي لم يتشبعوا بروحه » .

« ان أوروبا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية ، بينما دعا الاسلام اليها وطبقها المسلمون قبل ثورة فرنسا بنحو ألف عام » .

« واني لأجرؤ على القول : بأن الاسلام منح المرأة حقوقاً قانونية أكثر مما كان لها في ظل المسيحية ، ولقد اعترف باباحة تعدد الزوجات في حدود معقولة : بالأمر الواقع أي بما تقتضيه غريزة الرجل ، فحال بهذا دون تعدد الزوجات غير المشروع الذي يسود الجماعة الأوروبية في هذه الأيام » .

« لقد كانت المادية الصارخة والتشيّع للأجداد أي الايمان باللحم والدم هي الدوافع المحركة قبل الاسلام ، وكان العنف هو الحكم الأسمى ، وهنا جاء وحي القرآن وهبطت كلمة الله معلنة بأن التفاخر بالانساب والاعتزاز

بصلة الدم والتشيع للجنس لن تؤدي الى صيانة الحياة الانسانية ولا الى تحقيق الهدوء والنجاح ، وان الطريق الى ذلك هو تقوى الله والصلاح وانباع قوانين السماء » .

لقد وضع الاسلام حداً للنظرية التي كانت تعتبر الانسان وحدة في قبيلة أو وحدة في شعب أو ابناً للغة من اللغات، وسمى بالأفراد من وهدة الحيوانية الى افق انسانية فسيحة .

واني لأؤمل بل أتوقع أن يكون الاسلام قادراً مرة أخرى على تحقيق هذه المعجزة في الوقت الذي تحيط بنا فيه ظلمة كثيفة ، واني لأمد يدي لاخواني المسلمين وأنخرط في صفوفهم مجاهداً في سبيل الاسلام باذلاً ما أستطيع من اخلاص وحسن طوية كاشفاً عن الجروح باحثاً عما يطهرها ويشفيها متحملاً في سبيل ذلك ما يتحمله المجاهدون من نصب مؤملاً في النجاة التي كتبت للمتقين » .

٥ ــ الدكتور بنوه (علي سلمان) : الكاثوليكي الفرنسي يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول :

« كان شعوري بوحدانية الله يمنع عليَّ قبول مبدأ : « ثالث ثلاثة » كما انه كان بطريق التبعية يحول بيني وبين الاقرار بألوهية المسيح . وبهذا كنت على اتفاق تام من حيث لا أشعر مع ما يتضمنه الشطر الاول من شهادتنا (لا إله الا الله) ومع روح سورة الاخلاص : « قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . وعليه يتبيَّن ان اعتناقي الاسلام كان راجعاً أول مرة الى أسباب روحية ، الا أن أسباباً اخرى حملتني على دخول هذا الدين ومن بينها عدم الرضى بالرهبانية التي يجتريء أصحابها على نيل سلطة يعتقدون من ورائها انه يمكنهم محو السيئات البشرية ، وما كانت ترضيني كذلك الطريقة المتبعة عند الكاثوليكيين : (التعميد) وهي

زعم ادماج روح المسيح في الأطفال بواسطة تناول القربان المتمثل فيه بدن المسيح .

« ثم ان نصوص بعض آي الكتاب الموحى به على نبينا منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً تتناسب وأحدث مبادىء العلوم العصرية ، وكان من جراء هذه الملاحظات ان آمنت نهائياً ، فأصبحت بهذا على وفق الشطر الثاني من شهادتنا : (محمد رسول الله) ... .

٦ ــ الدكتور حميد ماركوس الالماني يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ويقول :

« زاد الاسلام في أفكاري وتصوراتي كثيراً مما يرجع الى الشؤون البشرية والوداد الانساني مما لم أجدها في مجالات اخرى ولم أسمع بها من سواها ، ان التوحيد الاسلامي عقيـدة قدسية منزهة عن الخرافات التي لا تتلائم والعلوم الحديثة ، ولذلك لا مضادة بين العقيدة والعلم في الدين الاسلامي ، فهذا امتياز خاص عظيم في الدين الاسلامي يهتدي به رجل صرف جلّ مقدرته واستعداداته في سبيل العلوم » .

« والامتياز الثاني لهذا الدين : أنه ليس جملة من تعاليم فارغة ، وأماني خلابة تأخذ في طريقها العمياء في الحياة ، بل هي قواعد وأحكام نافذة في حياة البشرية مباشرة » .

« ان القوانين الاسلامية لا تسلب الاختيار والحرية الفردية ، بل هي ارشادات تهدف الى تأسيس حرية جماعية عامة . ان الاسلام واسطة ذهبية لربط الحياة الفردية بالحياة الاجتماعية » .

٧ ــ الاستاذ دونالد ركيول الامريكي يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول :

« لفت نظري بساطة العقيدة الاسلامية وسهولتها ، فليست هناك أسرار ولا ألغاز نؤمن بها ولا نناقشها ، بل مردّ الايمان الى العقل والنظر في ملكوت

الله ، وما في الكون من نظام بديع ، يهدي ، بالضرورة ، الى وجود آله متصرف له الخلق والأمر » .

فاذا عرفت الله وآمنت به ، فالاسلام يقول لك ان الله أقرب الى الانسان (من حبل الوريد) والله يخبرك عن نفسه فيقول : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداعِ اذا دعانِ » [١] ، فلا ضرورة من ثم للوسيط بينك وبين خالقك ، ولا حاجة بك الى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك [٢] ، أو هيكل لا تتم العبادة الا فيه ، « ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله » . (سورة البقرة : ١١٥) .

« وراعني تلك السماحة التي يعامل بها الاسلام مخالفيه : سماحة في السلم وسماحة في الحرب ولين مع أهل الكتاب من نصارى ويهود » .

« والجانب الانساني في الاسلام واضح ملموس في كل وصية من وصاياه وفي كل تشريع جاء به ، فالناس وان اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها فهم متساوون أمام الله ، لا فضل لأحد على آخر بسبب غنى أو جنس أو لون وانما يتفاضلون بالتقوى » [٣] .

« وللفقير والعاجز والمحتاج (حقه المعلوم) على القادرين ، يؤدونه زكاةً واجبة . والاسلام لا يقعد بمتبعيه عن ركب التقدم والعمران ، بل يأمر الناس أن يأخذوا بالاسباب ، فقد قال النبي الكريم : (اعقلها وتوكل) . « وهو لا يحرم الانسان الطيب من متاع الدنيا » [١] .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٢) « ومن يغفر الذنوب الا الله » . (سورة آل عمران : ١٣٥) .

(٣) « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (سورة الحجرات : ١٣) .

(١) ولا بأس بذكر صك الغفران بالمناسبة هاهنا . فقد ذكر الشيخ رحمةالله الهندي فى كتابه : « اظهار الحق » : « اخترع البابا : (لاون العاشر) للمغفرة تذاكر تعطى منه او من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياه الماضية والمستقبلة ايضا ، وكان مكتوباً فيه : « ربنا يسوع المسيح يرحمك ويعفو عنك باستحقاقات

٨ — كونراد (خالد) الانكليزي يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، وهو من الأسرة الملكية ، وقد أذاع في أواخر العام الماضي رسالة باللغة الانكليزية عنوانها : (الاسلام دين البشر) ، جاء فيها قوله : اني لسعيد ومغتبط أن أجدني قادراً على القول بأني مسلم ، وان الاسلام وحده هو الدين الحق وان رسالته بسطت للبشر رواق الأمل في الحياة على حين أن غيره من الأديان ينهار اليوم ويتداعى للسقوط .

٩ — كنود هلمبو (علي أحمد كنود هلمبو) كاتب صحفي دانمركي كبير يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، وهو مؤمن من أعماق قلبه ان مستقبل العالم للاسلام . وان النصرانية قد فشلت ، وان الاسلام هو الحياة بذاتها وسيبقى الى الأبد . ويقول : قد منيت الكتب السماوية قبل القرآن بالتحريف فليس الا القرآن هادياً للانسانية .

١٠ — The Reverand R. G. Flowers (رج فلوَرز) قسيس بريطاني يعتنق الدين الاسلامي . انه يقول : « العلة التي دعتني لمتاركة فرقتي الغربية (الفرقة الارتودكسية) واعتناق الدين الاسلامي ذات أهمية ، تمس صميم الحياة ، فليست هي من الطفيليات الآنية وليدة العواطف والأحاسيس الطارئة ، بل هي نتيجة المراجعات الكثيرة التفصيلية الضرورية ، ووليدة التفكير العميق واستجابة للأدعية والطلبات من الباري جل شأنه » .

آلامه المقدسة . وبعد ، فقد وهب لي بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس والبابا الجليل فى هذه النواحي ان اغفر لك : اولا : عيوبك الاكليروسية مهما كانت ، ثم خطاياك ونقائصك ، ولو كانت تفوت الاحصاء ، بل ايضا الخطايا المحفوظ حلها للبابا وبقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية اغفر لك كل العذابات التي سوف تستحقها فى المطهر ، واردك الى اسرار الكنيسة المقدسة والى اتحادها والى ما كنت حاصلا عليه عند عمادك من العفة والطهارة ، حتى انك متى مت تغلق فى وجهك ابواب العذابات وتفتح لك ابواب الفردوس ، وان لم تمت الان فهي باقية لك بفاعلية تامة الى آخر ساعة موتك باسم الاب والابن والروح القدس ، آمين . » .

ويقول أيضا في كتاب أرسله الى رئيس جمعية الشيعة الامامية في لندن :
« ان قلوبنا وأرواحنا لتتلهف على أشد الاشتياق الممكن لنكون دعاة فعالة الى الدين الاسلامي في العالم . ونسأل الله العظيم ان يمنحنا حياة سليمة مقرونة بالصحة كي نوفق الى هذا الهدف المقدس .

١١ — Count Edward gioja (الكونت ادوارد گيوجا)
الايطالي يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ويقول : « قمت في تحقيق ومطالعات حول الأديان كلها : قديمها وحديثها ، وقايست بين واحد واحد منها ، ونظرت اليها بمنظار النقد والتمحيص ، فكانت النتيجة أن جهودي في ذلك حفزتني شيئاً فشيئاً الى الاعتقاد بأن الايمان والعقيدة الاسلامية هو الدين الثابت الحقيقي . وان القرآن ليتضمن بين دفتيه كلما تحتاج اليه الروح الانسانية في ارتقائها وكمالها المعنوي .

١٢ — J. W. Lovegrove (. ح . و . لاف گروف) يعتنق الدين الاسلامي ، فيقول : « لا يعتقد انسان بدين خرافة [1] ما لم يسحق نداء عقله بقدميه . فوظيفة الانسان تجاه ربه ومع جاره تجب ان تكون أساساً وهدفاً لكل دعوة دينية ، اما الاسلام فقد جعل من هذا القانون الخلقي دستوراً

(١) ومن الخرافات التي اشار اليها ما جاء فى الباب التاسع عشر من سفر التكوين : ان لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه بعد ان شرب الخمرة ، فحملتا منه بالزنا ، (٣٠ — ٣٨) . وفى الباب الثامن والثلاثين من السفر المذكور : ان يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار كنته فحملت بالزنا منه وولدت توامين : فارص : (جد سيدنا عيسى عند المسيحيين) وزارح (وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم اولاد فارص المذكور كما هو مصرح به فى الباب الاول من انجيل متي) . وجاء فى الباب الحادي عشر (٢ — ١٦) من سفر صموئيل الثاني : ان داود عليه السلام زنى بامراة اوريا الحثى وحملت منه ، فاهلك زوجها بالمكر واخذها زوجة له . وفى الباب الحادي عشر من سفر الملوك الاول (٤ — ١٣) . ان سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره ، وكان يعبد الاصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها ولم يحفظ ما اوصاه به الرب .

عملياً نافذاً عاماً » .

١٣ — محمد رايموند لويس — يعتنق الدين الاسلامي . ويصم السعادة في أوربا ، انه يقول : « السعادة ، يا لها من خيال ملؤه الأوهام ، أي سعادة؟ فالبعد بينهم وبين السعادة شاسع جداً . وان جميع مزايا المدنية الغربية وتلكم الأماني المتفشية في دنيا الغرب لم تؤثر في نيل السعادة الحقيقية ولا يوجد لها أي أثر بتاتاً » . ويقول : الاسلام : الحجر الاساسي لكل صرح قويم تبتني عليه الأخوة البشرية .

١٤ — Ibrahim Voo (ابراهيم ڤو) المسيحي ، يعتنق الدين الاسلامي . فيقول : « اني قبل اعتناقي الاسلام كنت كاثوليكيا رومانياً ، بصورة لم أكن لأعتقد بمراسيم التثليث ، والعشاء الرباني ومعجزات المضيف . فكنت مخالفاً للأسرار والمخبئات الدينية في حال لم أوع الايمان بالله تعالى ، فلم يساعدني أي قسيس كاثوليكي في توضيح هذه المسائل بصورة مقنعة أبداً . والجواب الوحيد الذي كنت أتلقاه على استمرار هو : ينبغي للأسرار أن تبقى أسراراً ، ان المسيح آخر الأنبياء ، ومحمد مبطل في دعواه (هداهم الله الى الصواب) [1] ...

فعلمت بعد ان صادفت جماعةً من المسلمين في (مالايا) : أن الاسلام دين العقل وان هذا الدين هو الدين الذي كنت أتطلبه باسم الحقيقة الواقعية ، فلا أحد ولا شيء يُعبد سوى الله تعالى ، ولا توجد في معبد اسلامي صورة

---

(١) يقول مؤلف كتاب « على حافة العالم الاثيري » فندلاي : يحدثنا مذهب القديس : أثنا سيوس : اننا اذا لم نصدق غير المعقول فاننا لن ننجو بل نهلك دون شك الى الابد ، فكيف يستطيع عاقل او عاقلة ان يقرا هذا المذهب ، ثم يقول فى نزاهة : ان من خليط هذه الكلمات عديمة المعنى يؤلف دينه الذي يعتنقه . وغير خاف ان أسقف كانتربرى يؤيد الاعتقاد القائل : « بأن القسيس بتدشينه القربان يمكنه ان يجعل المسيح يجيء ويحل فى خبز العشاء الرباني وخمره » .

وتمثال أو نقوش . ان الصلاة في المسجد سخرت قلبي الى الأبد ...

١٥ ــ الاستاذ ويرنر الفريد المسيحي الكاثوليكي يعتنق الدين الاسلامي ويعمل في نشره ، وهو الآن رئيس الجمعية الاسلامية في هامبورگ واسمه الجديد : الشيخ عمر شوبرت (٢) .

١٦ ــ لوماكس (محمد عز الدين) المسيحي الامريكي يعتنق الدين الاسلامي وهو يقول : ان المسيحيين لا يزالون يعلمون الناس : ان المسلمين عبدة أوثان ، ولكن والحمد لله في عام ١٩١٧ م اعترتني مشاعر نفسانية دخيلة حركت قلبي ودفعت ارادتي الى اجتياز ٥٠٠ ميل لاقتات من فضلات موائد المسلمين ولآخذ من أدبيات روح الدين الاسلامي نصيباً .

١٧ ــ Oscar . J. Pfaus اوسكار . ج ، پفوس (جعفر حسن علي) المسيحي الالماني الطالب حالياً في المدرسة الصناعية العالية في ڤاكسو والمؤسس للجمعية الاسلامية في المدينة نفسها (ڤاكسو ــ السويد) . انه يقضي أكثر أوقاته في سبيل بث الدعوة الاسلامية هناك في شتى الأساليب ، في قطر يرى عدم رغبة أهله في أن يسمعوا عن الاسلام شيئاً . لأن دعاة السوء ملؤوا أسماعهم بأراجيف اختلقوها وأحاديث مشوهة للاسلام ابتدعوها ، ومع هذا فلم يفتر في عمله ولم يتوانَ في سيره ، وتأتي البشائر انه ناجح في ايجاد تاريخ اسلامي جديد .

---

(٢) انه يوالي اهل البيت واختار مذهب اهل البيت من بين المذاهب الاسلامية ، وعندما سئل ، أجاب ، بقوله : من ذا الذي يترك عترة آل النبي مصطفى (ص) ومن ذا الذي هو في غنى عن شفاعتهم يوم الحساب . حيث روى عن الامام علي (ع) عن النبي (ص) انه قال : « الم تسمع قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » هم انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، اذا جاءت الامم للحساب ، تدعون غراً محجلين .. واضاف قائلا : فانني اطمع في ان اكون احد الذين ينالون شربة من يد الامام الكريمة .

١٨ ــ ليوپولد ڤايس (محمد أسد) النمساوي ــ يعتنق الدين الاسلامي وهو من كبار الصحفيين ــ أخذ يجاهد مجاهدة الابطال بعد اعتناقه الدين الاسلامي لبث الدعوة الاسلامية وتفهيم حقائق الاسلام • انه يتأسف للاسلام فيقول : ان الحياة الاسلامية في الواقع تظهر على كل حال في أيامنا الحاضرة بعيدة جداً عن الامكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الاسلام • من ذلك مثلاً : أن كل ما كان في الاسلام تقدماً وحيوية أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركوداً ، وكل ما كان في الاسلام من قبل كرماً وايثاراً أصبح اليوم بين المسلمين ضيقاً في النظر و (أنانية) وحباً للحياة الهنيئة •

لقد تحققت ان ثمة سبباً واحداً فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ، ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئاً فشيئاً يتركون اتباع روح التعاليم الاسلامية ، فنتج من ذلك ، ان الاسلام ظل بعد ذلك موجوداً ، ولكنه كان جسداً بلا روح • واعتقد ان الاسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر • وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد •

١٩ ــ المستر هاري أ• هنيكل يعتنق الدين الاسلامي بعد بحث وتحليل عميقين • انه يقول : « من المفروض في كل مسيحي أن يعتقد بأن الكتاب المقدس ليس ككتاب ديني تجب قراءته ، بل قطعة نفيسة يزين بها بيته ، ولا ابالغ اذا قلت انه قد تنقضي السنون دون أن يخطر ببال أحد أن يلقي نظرة على الكتاب المقدس ، بل يظل كما صدر من المطبعة •

قال الاستاذ : شارلس فرانسيز في كتابه (قصة الدين) : الانجيل كتاب لا يعرفه أحد في أمريكا ، اما القرآن فهو كتاب يعرفه كل مسلم • وهذه عين الحقيقة ، ومن حسن حظ الديانة المسيحية أن الانجيل كتاب لا يعرفه

أحـد .

ويقول المستر هاري : الاسلام دين العقل والتسامح وهو خالٍ من كل شائبة . وجدت الاسلام يشجع على متابعة الحقيقة ، وان صحائف التاريخ مملوءة بالحقائق التي تثبت عرقلة الاديان الاخرى للمدنية والعمران وذكر الكاتب أحاديث نبوية كثيرة عن العلم والسعي للمعرفة .

وقال يوسف مكاب ، أحد الملحدين : ومن الصعب جداً وجود علم غير مدين بفضله للاسلام .

ويقول المستر هاري المسلم : « ولا أتردد لحظة في القول ثانية : لو كان الاسلام منتشراً في الغرب أكثر من انتشاره اليوم لأدهش العالم المتمدن بكثرة أنصاره ومشايعيه ويرجع السبب في عدم انتشاره الى تشويه الحقائق التي يتعمدها البعض ممن يتصدون لترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات الاخرى . ومع هذا فالزمان وحده كفيل بازالة هذه الصعوبة .

٢٠ ــ الاستاذ فؤاد غريب يعتنق الدين الاسلامي الحنيف معجباً بالعدالة الاسلامية وبالسيرة النبوية وبالديانة الاسلامية الغراء .. ويقول :

قد بلغت قسطاً من الثقافة يدلني على المحجة ويومىء لي بالفوز . ووقفت يوماً أتأمل هذه الروح المتأججة في صدري والثائرة بين جوانحي والتي تحاول أن تتنفس بشيء لم أكن لاستطيع التعبير عنه آنذاك ، وأفقت من حيرتي واضطرابي ، ودلفت مستهدياً الى أخي : (الأديب) ، أسأله ان يدلني على (روح الاسلام) التي قصرت عنها حتى ذلك الحين بكل صراحة فلا يتبع معي مجاملة أو غيرها ، وكنت من الاندفاع بحيث قلت متمثلا : (فان لم تفعل ما تؤمر فما بلّغت) . فانفجر بين يديّ باكياً يضمني الى صدره ويقول : « لتجدنّ أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك : بأن منهم

قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

وغرقت في دموعه وغرق في دموعي ، فما كنت أناجيه ، أخي : نعمان ، الا كأني أحس بصوت إلهي يتردد في كياني ويهزني بعنف وقوة ، حيث كان يسمع صوت محمد (ص) يتردد في حديثه لأصحابه : أخي عيسى ، وانتبهت بعد غفوة لأجد هدية صاحبي بضعة كتب تصور الاسلام بأجلى صوره وتنافح عن الروحانية الحقة وتفتح في النفس آفاقاً من الحرية والانسانية . وعلمت ان الاسلام التحرير الأعظم للانسانية .

ثم يقول : « وقد يكفي للتدليل : موقفه يوم حنين وكيف كان يسند صحابته المنهزمين من الانهيار ، فينال الأذى الكبير ، ولكن لم ينس واحداً منهم ، فقد كان يتفقدهم واحداً واحداً ، ويناجي ربه داعياً : « ربِّ ان تُهلك هذه العصابة فلن تعبد في هذه أبداً » .

وبمثل هذا الايثار وهذه التضحية لم يكن النبي محمد (ص) ليفرق نفسه عن أصحابه ولا الكتاب . فقد جاء في سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزِل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » .

« فأي عدالة سماوية واجتماعية هذه التي لا تفرق بين الكتب المنزلة ، ولا بين الرسل ، انها رسالة محمد ، وانه القرآن العظيم ، اللهم فاشهد : أني آمنت بمحمد » .

٢١ — الاستاذ يني يماني (زايد يحيى يماني) . يعتنق الدين الاسلامي الحنيف بعد دراسات وبحوث في الأديان ، انه يقول :

« عندما يسألني سائل لماذا أسلمت ؟ أكاد أجيب ولماذا لا أسلم ؟ ولماذا

لا يسلم كل باحث عن الحقيقة التي لا تخفى كثيراً وراء الحجب ولكنها مستعدة أن تتجلى له اذا هو رغب حقاً فيها ، وخطب ودها وسعى لها سعيها » .

« ان هذا السؤال لماذا أسلمت ؟ يوازي السؤال لماذا اهتديت ؟ وهذا يدخل في نطاق الغيبيات والاجابة عليه اجابة صحيحة كاملة من الخوارق ، لأن الله وحده هو علام الغيوب . هو الذي شاء لي الهدى فهداني : « من يهدِ الله فهو المهتدي » [1] .

يقول : كان أبي مسيحياً متديناً وكانت أمنيته ان أسير على نهجه في تدينه ، فلم يدخر جهداً لهذا . فبعث بي الى مدارس (الفرير Frerer) لكني بدل أن أؤمن بما كانوا يلقنونني اياه أصبحت أشك فيه ، حتى اذا بلغت أربعة عشر ربيعاً كنت زنديقاً لا أؤمن بشيء ، وضاعف من زندقتي خرافات دينية لا يصدقها العقل المجرّد . فصرت أدرس العقائد والديانات جميعاً واقارن بينها ، فعرفت ان الله هو الحقيقة العظمى وان كل شيء سواه باطل . عرفت ان الله كما يقول (ابن سينا) الوجود المحض ، والحق المحض ، والخير المحض ، والعلم المحض ، والقدرة المحضة ، والحياة المحضة .

ولما كان الذي جاء بالاسلام هو محمد رسول الله (ص) فقد كان طبيعياً أن أؤمن به وأشهد بصدق رسالته ، وبالقرآن الذي أنزل معه وبالتعاليم الانسانية التي جاء بها .

٢٢ ــ ارنست تشريرى البرازيلي (محمد عبدالرحمن) يعتنق الدين الاسلامي فيقول : « الاسلام ليس دين تفرقة عنصرية ولا يدعي أبناؤه انهم الشعب المميّز أو الجنس المختار وأكثر من ذلك فهو دين عالمي للناس جميعاً .

٢٣ ــ Feysal W. Wagener (فيصل و . واگنر) الهولندي أحد أعضاء الكنيسة الكاثوليكية يعتنق الدين الاسلامي ، في كانون الثاني

---

(١) سورة الاعراف : ١٧٧ .

لسنة ١٩٥٢ م ، فيقول :

« علائق متعددة الجوانب وفحص دائم عن الدين الحق حفزتني نحو الكتب والمنشورات الاسلامية » .

ويقول : « ان قولة الرسول (ص) : اطلبوا العلم ولو بالصين عرفتني شدة الأواصر الوثيقة بين الاسلام والعلم ، وهذه ميزة لهذا الدين لا تجدها في تاريخ الكنائس المسيحية بتاتاً » .

« وان دراسة أعمق حول الاسلام أبدت لي أن الاسلام مجموعة من قوانين وأحكام كافلة لنواحٍ شتى ، دينية وأخلاقية ، اجتماعية واقتصادية ، سياسية وقضائية » .

٢٤ ــ اشميتس دور مولين المهندس (محمد عادل بك) المهندس الالماني يعتنق الدين الاسلامي ويعمل لأجل نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فألّف كتباً عدة ، أشهرها : (الاسلام) ، (في الحرام) ، (استانة) ، (بلدة الاسلام) ، وقد أثبت عادل بك في مؤلفاته ان الاسلام قريب جداً من النصرانية الحقيقية ، وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والأمراض الاجتماعية .

٢٥ ــ الفونس اتيين دينيه (ناصر الدين) الفنان الفرنسي يعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة طويلة ، فيقول : « ان العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير ، فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير ، وكما ان الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع المدنيات » .

ويقول : « ان الاسلام يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم فهو ببساطته المتناهية ... يهدي علماء أوروبا وآسيا الى الطريق المستقيم

ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير ان يحول بينهم وبين حريتهم التامة في آرائهم وأفكارهم ، كما انه تعزية وهدى لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية ... ويرقى في بروج ذلك التاجر الانكليزي رجل العمل الذي يعتبر الوقت من ذهب ، كما يرقى بروح الفيلسوف المتدين ويسمو بنفس الغربي الشغوف بالفن والشعر ، بل هو يسحر لب الطبيب العصري بما قرره من الوضوء المتكرر كل يوم وبما في الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معاً » .

ومن جملة مؤلفاته في الاسلام : (السيرة النبوية) في مجلد كبير وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتنوعة من ريشته الخاصة ، يمثل فيها المناظر الاسلامية ومشاهد الدين ومعالمه ، ونشره كذلك باللغة الانكليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام .

٢٦ ــ وارتون كرباسين (حسين اثنا عشري) الشاب الپاريسي ، يعتنق الدين الاسلامي الحنيف ، فيقول : « وكانت الليالي فرصة مغتنمة للمطالعة حول الدين الاسلامي ، وقرأت القرآن عدة مرات ، ولكني أصبت مدة اقامتي بالمحمرة (خرم شهر) بمرض (سينوزيت) بصورة شديدة جداً فكان يؤلمني ليل نهار . وانتهت نظريات الأطباء الى العمل الجراحي ولم تطاوعني نفسي .

وصادفت تلك الأيام وهي السنة الماضية شهر المحرم (شهر الامام حسين عليه السلام) وفي جواري دار واسعة ، مغطاة بخباء كبير أعدّت للتعزية بمناسبة الوقت ، وكانت المآتم تقام في الليالي وتلقى فيها ذكريات المصائب وكلمات الوعظ والارشاد ، فاعتدت الجلوس وراء الشباك ،والاستماع الى المصائب والكلمات .

فاتفق ذات ليلة أن قدّم الي أحد خدمة المأتم طبق شاي وقال : أيها السيد تشتهي أن تشرب شاي الامام الحسين عليه السلام ؟ فقبلت منه على اشتياق

ورغبة تامة ، وعندما لمست شفتاي ذلك الشاي أحسست أن نوراً خاطفاً في فكري ، فناجيت ربي : (إلهي بحرمة الامام الحسين ومنزلته أرني معجزة خارقة لأستريح من هذا الألم ومن شدة مرض (السينوزيت) المهولة ، وفي اليوم التالي وعند نهوضي من فراش النوم رأيت عجباً ، أن المعجزة وقعت وشفيت رأساً .

فكانت مطالعاتي السابقة حول الاسلام وهذه الواقعة العجيبة التي شاهدتها عيناي أثرت أثرها في نفسي ، فصممت على اعتناق الدين الاسلامي وبعد أشهر عدت الى طهران ومنهـا الى (قم) وحضرت مجلس آية الله (شريعتمداري) ، وأجريت مراسيم الشهادتين واعتنقت الاسلام وسُميت باسم : (حسين اثنا عشري) .

وقد ذكرت مجلة (نور دانش) الزاهرة ان عمر هذا الشاب ٣٢ سنة ويعرف ست لغات .

٢٧ — (فرانسيسكو پايللي) الايطالي يعتنق الدين الاسلامي ويقول : « ان الفطرة الاسلامية مبثوثة بطبيعة الحال في نفوس كثيرين من الأوروبيين على غير علم منهم بأن ما يشعرون به هو عين المبادىء التي قررها الاسلام . فلو جاءهم الدعاة ووضعوا بين أيديهم الحقائق الاسلامية باللغات الاوروبية وبالأساليب التي يأنس الاوروبيون بها لتحوّل هؤلاء جميعاً لهذه الدعوة يجاهدون في سبيلها ويفتحون الفتوح لهدايتها .

٢٨ — فيتورادى الميدا (عبدالله الاسلامي) الشاب البرتغالي يعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة وافية .

يقول الصحفي جبرائيل بقطر في مقال كتبه عن الشاب البرتغالي المسلم : « وبعد عام ونصف عام ورد الي خطاب مكتوب بلغة عربية ... من هذا الشاب البرتغالي المسلم ... انه يذكرني بالمقابلة التي تمت بيننا في (لشبونة) ويروي

لي قصة حياته بعد أن افترقنا ، فيقول : انه ترك لشبونة الى طنجة بعد ان تزوّج من سيدة پرتغالية أسلمت بعد ان عرفت منه حقيقة الاسلام ، وانه أنجب طفلة سماها (زهرة الورد) • اما هو فقد أعلن اسلامه باسم (عبدالله الاسلامي) ، وانه أخذ في دراسة اللغة العربية ليستطيع قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه ••• وانه ما زال يتمنى أن يحج ويزور مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام وكعبة المسلمين •

٢٩ ــ الاستاذ نشكنتا بادهيايا (محمد عز الدين) رئيس جامعة حيدر آباد سابقاً واستاذ التاريخ في جامعة مهراجا في ميسوري يعتنق الدين الاسلامي بعد بحث عميق • واسمه بعد اسلامه : (محمد عز الدين) •

كان في أول أمره شديد الاعجاب بمذهب العقليين ولكنه لم يلبث ان تحول عنه لأنه لم يثرِ له غليلا • وأخذ بعد ذلك في درس الدين البوذي وأعجب بظاهر رفعته الاخلاقية ، لكنه وجده أخيراً على عكس طبيعة البشر ، فمله • ثم صار يقارن بين اليهودية والزردشتية والبرهمية والبوذية والنصرانية والاسلام • وفرغ نفسه مدة لدرس التصوف وعاد منه أيضا غير مقتنع • ثم عاد الى دراسة الاسلام بصورة مفصلة فاستمالته وشعر بصحته وأسلم • وهو يبني رضاءه بالاسلام على أبواب ثلاثة :

١ ــ صحة أخبار الاسلام وانه الدين التاريخي الوحيد •

٢ ــ موافقته للعقل •

٣ ــ انه عملي (لا خيالي) •

٣٠ ــ كروپ الشاب المسيحي الأرمني يعتنق الدين الاسلامي رغبةً في الحجاب الذي يأمر به الدين الاسلامي وتحريمه التبرج والسفور ويدعى بـ (علي اسلامي) ، وهو مسلم جعفري يتابع مذهب أهل البيت (ع) •

٣١ ــ (عبدالله وايسر) أحد علماء اللاهوت يعتنق الدين الاسلامي

الحنيف وذلك ان : في روما كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أعدت (عبدالله وايسر) للتبشير في الهند وزودته بالدراهم الكافية ، وأدخلته أحد المستشفيات الكاثوليكية ليتعلم صناعة التمريض لتساعده للتأثير في الهنود .

وقدم المستشفى مسلم هندي واحتك بعبدالله فتعرف عبدالله على مبادىء الاسلام وكان قد درس أيضا شيئاً عن الاسلام ، فعبدالله ، قبل أن يسافر الى الهند للقيام بمهمة التبشير ، عدل عما انيط به ونطق بالشهادتين ، وصار يحاضر عن الدين الاسلامي وندد بالكنيسة واستعبادها للعقول وسيطرتها على حرية التفكير .

٣٢ ــ عليجاه محمد البطل المتحرر والملون الامريكي يعتنق الدين الاسلامي ويتبعه في ذلك (٢٥٠ ٠٠٠) من الملونين الامريكيين في أمريكا حالياً . وقد بنيت نتيجة جهوده المشكورة مساجد جميلة على أساليب حديثة في حارات الملونين يجتمعون فيها كل يوم لأداء فريضة الظهر جماعة ، وان أصوات المؤذنين بكلمة التكبير والتوحيد من مآذن تلك المساجد كل صباح ومساء لتدوي في أرجاء مدينة نيويورك . وتوسعت دائرة نشاط (عليجاه محمد) الى ٢٥ بلدة امريكية منها : ديترويت ، شيكاغو ، بوستون ، فيلادلفيا ، سان فرانسيسكو ، لوس انجلس ، كليولند ، رايتون ، اتلانتا ، نيويورك .

٣٣ ــ بقيا الشاب المسيحي الأرمني يعتنق الدين الاسلامي عام ١٣٨٠ هجرية . انه يقول قد قرأت في انجيل يوحنا المطبوع في لغتنا الارمنية قولاً عن عيسى ان نبياً يأتي من بعدي هو خاتم الأنبياء .

ويقول : ان الأرامنة بعد أن يموت الميت منهم يزين بملابس عرسه وبالحلي والحلل ويوضع في صندوق ويدفن في الارض وبعد الفراغ من الدفن يشربون الخمر على قبره ويطربون ، ثم يتوجهون الى الكنيسة للمغازلة ولأعمال تخل بالشرف . وكان لهذه الأعمال أثر سيىء في نفسي ، فاتفق اني حضرت تشييع

جنازة أحد المسلمين وشاهدت صنع المسلمين عند دفن موتاهم وما يقومون به من أعمال بعد الدفن ، فرأيت الحقيقة في الاسلام ، فذهبت الى العلامة الشيخ مصطفى الآملي في (دزفول) وأسلمت على يديه وسماني (محمداً) ولقبني بـ (اسلامي) .

وبعد ، ان أسلم محمد تبرع جماعة من المسلمين بمال ليتجر به ولكنه أبى وعاش بكد يمينه وقال : لم يكن اسلامي طمعاً في المال .

وقد أراد أحد العلماء اختباره قبل أن يعلن اسلامه ، فقال له : إن في الاسلام فقراً وعسراً وضيقاً ، فما بالك تسلم ، فأجاب : اني اسلم لأني وجدت الحقيقة ، غير مبالٍ لما يصيبني من ضيق وعسر .

٣٤ ــ صاحبة السمو الأميرة الانكليزية (ديانخ مود) أميرة سرواك تعتنق الدين الاسلامي وتقول : لقد دهشت عندما رأيت ما في الدين الاسلامي من طهارة وحكمة ويُسر . وقد شعرت بأن قلبي كله وروحي جميعاً مغموران بهذه الهداية التي هي في غاية الملائمة للبشر والعقول . وقد قالت بعد اسلامها : إني عازمة على اصدار مجلة باسم (الاخبار الاسلامية) في باريس . وذاهبة الى المانيا وغيرها للعمل على نشر الاسلام .

٣٥ ــ (لدي أولين كابولد) احدى المثقفات البريطانيات تعتنق الدين الاسلامي وتقول : اني لست أتذكر اللحظة الخطيرة التي هبطت على حقيقة الاسلام فيها ، بل وليس في وسعي تعيينها ، فكل ما أدري هو أني لم أزل مسلمة ولا أزال . وليس يثير العجب هذا الأمر عندما يتذكر الانسان أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للطبيعة البشرية ولحياتها الاجتماعية ، فاذا ترك الطفل ونفسه ينشأ على هذا الدين الفطري ألبتة ، كما يقول أحد علماء أوروبا : (الاسلام دين الحس المشترك البشري) : يعني الفطرة البشرية .

وتقول : « فكلما قرأت وكلما توصلت اليه في تحصيلاتي العلمية

واختبرت بها الامور ثبت لدي ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن للبشرية العمل وفق منهاجه القويم • وهو الدين الوحيد الذي يحل عقد المسائل الاجتماعية ويذهب بكل مشكلة أبهم على العالم طريق حلها وهو الذي يجلب للانسانية السلام العام والسعادة الأبدية •

٣٦ ــ فاطمة ج• ب • كاترجي الهولندية تعتنق الدين الاسلامي سنة ١٩٥٥ م وتقول : يتجلى الاسلام حلاً لعُقد الحياة المعنوية والمشاكل الاجتماعية في عالمنا المتقطع الأشلاء : لا يقتصر الاسلام على النواحي الروحية والمعنوية فحسب ، بل يعالج الجوانب المادية والطرق العلمية أيضا •

وتقول : الاسلام يراود الروح البشرية مباشرة وله مقدرة ليوفر لنفوسنا المضطربة ذلك الاطمئنان والراحة اللائقة •

٣٧ ــ Mrs. Cecilia Connolly سيسليا (محمودة كونلي الاسترالية تعتنق الدين الاسلامي بعد دراسة وتحقيق وتقول : قبلت الاسلام لما وجدت نفسي مسلمة بطبعي حتى وقبل أن أعرف ذلك ، فقد تخلّيت عن المسيحية أبان شبابي لعدة أسباب ، منها :

أني كلما واجهت أحد الروحانيين المسيحين وسألته عن مشكلة دينية سلبت راحتي وأخذت بأفكاري كلها أو عن تعاليم الكنيسة الثقيلة كانت الاجابة على اسئلتي من طراز واحد ، وعلى نسق مطرد في الجميع وهي لا ينبغي لكم السؤال والتجسس حول تعاليم الكنيسة ، بل الواجب عليكم هو الايمان الخالص •

٣٨ ــ وقد اهتدت الى الاسلام في هذه الايام : عزيزة روشه لرون الفرنسية وهي عضوة جمعية الاخوة الاسلامية في فرنسا وهي تخدم في هذه الجمعية من غير تعب ولا ضجر • وقد انشأت مجلة أسمتها : (النظر الى الشرق) الغاية منها تفهيم الفرنسيين الاسلام •

٣٩ ــ البروفسور : القسيس داود بنيامين (عبد الأحد داود) ، يعتنق الدين الاسلامي ، وهو يقول : لست أعلل اسلامي بسبب سوى العناية الإلهية وأراه لا يرتبط بشيء غير الهداية من الذات الاحدية فقط • فلولا العناية الالهية لكانت المساعي والجهود وجميع المعارف والعلوم للوصول الى الحق والحقيقة أقرب الى الضلالة والعمى •

٤٠ ــ الدكتور دي كابريو الايطالي يعتنق الدين الاسلامي وهو اليوم رئيس مجلس ادارة المركز الثقافي الاسلامي في (سان فرانسيسكو) وقد سئل عن سبب اعتناقه الاسلام، فأجاب : انه التقى بزوجته في مدينة (سان فرانسيسكو) فأعجب بمسلكها في الحياة والاسلوب التي تنتهجه في حياتها ، فلما سألها عن سبب ذلك ، قالت : انها مسلمة ومن أبوين روسيين ، وقد ولدت في اليابان ثم هاجرت مع أهلها الى أمريكا وشرحت له التعاليم الاسلامية فوجدها ــ على حد قوله ــ هي التعاليم التي كان يتصور انها يجب أن تكون عليه المعتقدات البسيطة المعقولة لكل البشر ، وعلى ذلك اعتنق الاسلام • ولم يجد شريكة لحياته أفضل من تلك السيدة المسلمة التي يمكن أن تعينه على ان يحيا حياة اسلامية صحيحة •

٤١ ــ الدكتور خالد شيلدريك أسلم عام ١٩٠٣ م ومنذ اعتناقه الدين الاسلامي قام بواجبه في بث الدعاية الاسلامية في انكلترة وفرنسا وكندا •

وهو يقول : ان المبشرين في الصين بذلوا أموالهم وأنفسهم ونساءهم لتبليغ المسيحية في الايام الماضية ، ولكن لم يتبعهم سوى عدد قليل جداً ازاء الجماهير التي تعتنق الاسلام • واما اتباع المسيحية فلرغبة في المال ، أو الوظائف أو النساء اللاتي يردن على المبشرين من حين لآخر •

والدكتور خالد منهمك إليوم بتصنيف الكتب والمقالات الاسلامية على طريقة مذهب أهل البيت عليهم السلام في جرائد الهند الانكليزية وهو أول

مسلم انكليزي استجاب الى العقائد الشيعية الامامية الاثنى عشرية . وهو خطيب بارع يصلي بالانكليز وغيرهم كل الاوقات المفروضة .

٤٢ — الدكتور توماس بالنتين أيبزتنك الامريكي يعتنق الدين الاسلامي وقد أعجبه ما في الاسلام وتعاليمه السمحة من عدل واخاء ومساواة وقد اصدر عدة مجلات في باكستان وجنوب افريقيا .

٤٣ — المحامي : زكي عريبي رئيس الجالية اليهودية في مصر يعتنق الدين الاسلامي الحنيف وهو من أشهر المحامين في مصر .

يقول : اني نظرت في رسالة هذا الرجل العظيم (محمد بن عبدالله ص) الذي لم تؤهله للرسالة ثقافة ولا علم ولا دين ، نشأ كما ينشأ الناس ، وعاش عيشتهم وحيا حياتهم ، ثم اذا به قد اوحي اليه بهذا الكتاب الخالد الآتي من وراء الحجب ، وهو مليء بأخبار الأولين .

« وأعجبني من هذا الدين انه جاء مصدقاً لما قبله ، فالمؤمن به من أهل الكتاب لا يقتلع مع دينه اقتلاعا ولا ينخلع عنه انخلاعا . فان كان يهوديا وجد في القرآن تمجيد موسى ودين موسى الحقيقي ، بل وتمجيد أبناء اسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين في وقت من الأوقات . وان كان مسيحياً وجد في القرآن تمجيد المسيح بن مريم وتمجيد امه . بل وتمجيد آل عمران جميعاً بل واعترف بهم الاسلام كأخوة مكرمين حيث يستأمنون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . واني لأحب أن يدلني الناس على دين آخر فيه هذا التسامح وفيه هذا البعد عن النصب » .

« ووجدته دين سياسة رشيدة ، لا يعلو فيها الحاكم ولا يذل المحكوم » .

٤٤ — المهندس : البرهمي الروحي الهندي : كل ماني مسرا : (كل محمد) يعتنق الدين الاسلامي الحنيف بعد مناقشات طويلة وقد حسن اسلامه بالتزامه بالعبادات كلها وكتب كتباً مهمة في الاسلام .

٤٥ ــ (يوسف م. بينيوا ليونارد تشيروا) يعتنق الدين الاسلامي فيقول : قلما يوجد كتاب أو نصادف مقالا على صحيفة يبحث عن الاسلام وعن القرآن المقدس . الى أن سافرت الى بايرا Beira وفي احدى الليالي جاء مدير الفندق وأصحبني وسائر المسلمين الى مسجد حديث البنيان لأداء فريضة الصلاة ، والتمست منهم قرآناً . وفي الغد أعطوني قرآناً مترجماً بالانكليزية بقلم (مارما دوك پيكتال) وشعرت بعد ذلك اني بحاجة الى من يكلمني حول الدين الاسلامي ، الى أن ذهبت الى (لندن) وحضرت ساحة (هايد) عند دكة الجمعية الاسلامية البريطانية لاستمع الى محاضراتهم ، وهناك تعرفت حقاً الى كثير من حقائق الاسلام . فاعتنقت الاسلام وعلمت ان الدين الاسلامي هي الرابطة الكبرى العالمية لجميع أبناء البشر وباستطاعة كل أحد أن يفهمه عملياً وهو أنفع دين عرفته البشرية حتى اليوم .

٤٦ ــ ذو الفقار مسيح (ذو الفقار علي) المسيحي يعتنق الدين الاسلامي فيقول : اعتنقت الدين الاسلامي لما وجدته ديناً كاملا حافلا بجميع ما يحتاج اليه البشر في حياته الدنيوية والدينية ، وليس هو يختص بعصر دون عصر أو جيل دون جيل ، وان النجاة في الدارين لا تحصل الا بالتمسك بدين الاسلام .

٤٧ ــ رابرت والديا (حسين اسلام دوست) يعتنق الدين الاسلامي وهو يقول : كنت من سكنة (رضائية) فاتفق بيني وبين جماعة من أهلها مشاجرة في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المبارك ١٣٨١ هـ .

وكان سبب ذلك انهم أساؤا الأدب الى نبينا عيسى (ع) [1] . وكنت أقابلهم متحاملا عليهم ، وأوشكت أن اسيء الى مقدسات الاسلام ، غير اني

(١) عيسى عليه السلام من انبياء أولي العزم ، على كل مسلم تقديسه وتبجيله ومن اعتقد سوء فيه (ع) ونال من كرامته فقد خرج من زمرة المسلمين .

أحجمت ، الى أن جن الليل وأردت المنام ، فعمدت الى اطفاء المصباح ، واذا بالغرفة اضاءت من جديد ، فهرعت الى مصدر الضوء ، واذا بانسان على زي عربي ، واضعاً يده على قائم سيفه وسط الغرفة ، وتوجه الي وقال : نِعم ما صنعت اليوم ، أمسكت عن النزاع وعن الاهانة بمقدسات المسلمين . وها اني أعرض عليك ثلاثة أمور ، لابد لك من امتثالها . قلت : سمعاً وطاعة قال : ليس هكذا ولابد أن تحلف بموت أمّك ، فحلفت له بذلك . قال :

عليك أولاً أن تتشرف بالذهاب الى قم وتسلم هناك ، وتمكث عشرة أيام ، ثم تزور قبر الامام الرضا عليه السلام . وتمكث أيضا هناك عشرة أيام وبعدها تذهب الى الأعتاب المقدسة ، كربلاء والنجف وسائر الائمة (ع) وسأكون معك في حرم الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان هذا آخر كلامه وغاب عني [1] .

وقد قام هذا الشاب بما أمر به وأسلم وحسن اسلامه .

٤٨ — ١٢٠٠ — من الهندوسيين يعتنقون الدين الاسلامي . وقد الف أحد الاساتذة البلجيكيين كتاباً عن الديانة الاسلامية جاء فيه : ان انتشار هذه الديانة في ازدياد ، خصوصاً في جهات آسيا ، وان الاسلام الذي كان الأوربيون يتوهمونه خطراً كبيراً ينتشر انتشاراً سريعاً في الشرق الاقصى وخصوصاً في الصين . ففي الصين الآن عشرون مليوناً من المسلمين وفي الهند والسند يزداد عدد الداخلين في الاسلام ازدياداً مرموقاً .

وذكرت جريدة النهضة الغراء نقلا عن جريدة (البلاغ السماوي) التي تصدر بالانكليزية في بومباي ما يأتي :

(١) صار كثير من رجالات الغرب يؤمنون بالغيب بتجسد الارواح وبعوالم ما بعد الموت وقد الفت في ذلك مئات الكتب ، ومنها : على حافة العالم الاثيري ، لمؤلفه : J. Arthur Findlay وكتاب : « الانسان روح لا جسد » ، وكتاب : العالم غير المنظور .

لقد اتسع نطاق الاسلام في البلاد الامريكية اتساعا عظيماً وانتشر المبشرون الاسلاميون في طول البلاد وعرضها ، فكانوا يتلقون من أهل البلاد اقبالاً عظيما وتشجيعاً منقطع النظير .

وقد تأسست في (ريودوجانيرو) عاصمة البرازيل جمعية اسلامية كبرى همها القاء المحاضرات وبث الدعوة الاسلامية ، ولا يمضي اسبوع الا ويعتنق فيه أفاضل القوم هناك الدين الاسلامي ، وقد بلغ عدد المسلمين في شمال البرازيل خمسين الفاً كلهم من ذوي المقامات العالية .

٤٩ — علي أكبر (عباسي) البهائي يعتنق الدين الاسلامي ويقول : « كان السبب الاساسي لنزوعي الى الاسلام هو أن البهائية لا تراعي جانب العفاف رأساً ، وليس لاحترام الأعراض والنواميس وحفظها مفهوم ولا معنى في لغة هذا المبدأ . فكنت أتحرج وأتألم على أثر ذلك كثيراً . ولم يكن ضميري ليقبل حسب الفطرة الانسانيـة التغاضي عن تلكم التجاوزات العرضية في منتدياتنا البهائية . فكان التطاول على عرضي أو عرض غيري من زملائي البهائيين أمراً لم أكن لأتحمله بتاتاً . وكنت أفكر دائماً : (لو كنت انساناً فمن واجبي التحفظ على عرضي وناموسي) . فلأجل هذا وغيره من الامور الروحية اندفعت نحو التحقيق حول الدين الاسلامي النزيه . فرأيت العفاف والتقوى ونزاهة الجانب والطهارة ، وبكلمة جامعة ، رأيت الفضيلة الانسانية بجميع معنى الكلمة وبواقعها الحقيقي متوفرة في الاسلام .

٥٠ — حبيب الله (إغماضي) البهائي [1] يعتنق الدين الاسلامي ، ويقول:

---

(١) ومن جملة ما جاء من صفات الله تعالى فى كتاب (البيان) لزعيم البابية : « بسم الله السلط ذي السلطيات ! بسم الله السلط ذي المستلطيات ! بسم الله السلط ذي التسالطيات ! بسم الله السلط ذي المسلوطيات !؟... وايضا فى مكان آخر : بسم الله الاقدم القدام اقادم القدمان المتقدم القيدوم المقادم ذي المقدامين ذي القدمات ذي الاقـدام ذي القدومين ، ذي المقاديم المستقدم ، المستقدمان ذو القداديم ... الخ !!؟

« على أثر جهلي قضيت ثلاثين عاماً مغفلاً ملتزماً للفرقة الكاذبة ذات المبدأ المزيّف الذي يعتنقه أناس غير مقيدين بشيء ولا ثابتين على عقيدة . شعارهم التزوير والتدليس . أناس تعمل فيهم أيادي الأجانب منذ مأة عام في بلادنا الايرانية » .

« كلنا يعلم أن منطقة (عشق آباد) في البلاد الروسية غرست شجرة خبيثة ، كانت من ثمرتها تلك الجناية الفادحة التي كونت امثال (الباب والبهاء) عملاء المستعمر الغاشم . فاستطاعوا على أيدي جماعة استهوتهم اللذائذ الوقتية لا يعرفون للضمير معنى ، ولا يراقبون الله في شيء ، أن يخدعوا شرذمة من الجهال » .

« كان من سوء الحظ ان كنت أحد هؤلاء المغترين لمدة ٣٠ عاماً كما ذكرت ، شاهدت خلالها فجائع وفضائح بعيدة عن الشرف والناموس . ولكن جهلي المطبق ، وعدم اتصالي بالطبقات المثقفة جعلاني لا أشعر بفضاعة الأمر . ولم أكن أعرف عن الاسلام سوى مجموعة مشوهة ، كان زملائي البهائيين وأقطابهم يعرفونها الينا كما يريدون » .

***

وهكذا نرى ان كل من تشرف بدين الاسلام علم انه الدين الحق ، أنزله الله رحمة للعالمين ، وهو آخر الأديان ، لم تتسرب اليه يد البشرية بتحريف أو تغيير ، وأن محمداً (ص) خاتم النبيين وسيد الرسل أجمعين ، وان اصلاح هذا العالم لا يتم الا بجعل الاسلام ديناً عالمياً خالداً ، « وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » [١] . « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » [٢] .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ .

(٢) سورة سبأ : ٢٨ .

فعلى المسلمين في انحاء العالم أن يقوموا بتضحيات غالية لنشر الاسلام وتفهيمه وتطبيقه ، فانه دين الفطرة ، والفطرة السليمة هي التي تجلب الناس الى قبوله وتطبيقه • فقد برز في أمريكا ، التي ترصد أكبر قواها لمحاربة الاسلام في آسيا وأفريقيا ، حركة اسلامية شابة تدعو الى اقامة حكم اسلامي ، على الرغم مما يسلطونه عليها من الدعاية للتشويه والتنفير • كل ذلك لأن الاسلام دين الفطرة ودين الله في أرضه في مستقبل قريب • ولذلك نقرأ في كتاب La Conquete du monde musulman [٣] : « ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة • اذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوروبيين وتحرير النساء ، وان المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين ، وأقدر أفراد المجتمع على جرّ المجتمع كله بعيداً عن الدين [٤] •

الا ان بالرغم من كل هذه المحاولات ، ان الفطرة هي الغالبة وهي القوة القاهرة المسيطرة على النفوس ، وان قليلا من التضحيات في أوساط أفريقيا وأمريكا واليابان سوف يجعل الدين الاسلامي ديناً عالمياً شاملا ، فلا ترى في أية بقعة من بقاع الارض الا من يقول : لا اله الا الله ــ محمد رسول الله •

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [٥] •

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » [٦] •

---

(٣) تسخير العالم الاسلامي .
(٤) جاهلية القرن العشرين : ٣٣٣ . محمد قطب .
(٥) سورة محمد : ٧ .
(٦) سورة آل عمران : ١٦٠ .

أثر الحاجات فى تكامل النفس

ان الله تبارك وتعالى قد أودع الكمال في كل بقعة من بقاع الارض وفي كل جزء وجزيء وذرة ، فما من شيء مادي الا وترى فيه النظم والقوانين المحيرة للألباب وخواص مدهشة مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (١) ودساتير رياضية تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض ، قد عثر على جزء ضئيل منها هذا الانسان بلطف منه تعالى . ولكن الانسان (٢) لظلمات في نفسه (بما اجترحت يداه !) لم يؤدِّ ما عليه من واجب الشكر تجاه نعمه تعالى ، فصار يتخبط تخبط عشواء في دياجير الظلم والفساد : « والله لا يحب الفساد » .

وان الانسان كموجود خلقه الله تعالى لابد له أن يتبع ما سنَّ له من مراحل تكاملية ، كي يحقق الكمال الانساني ، هذا الكمال الذي سنه الله تعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام . كل ذلك ، لئلا يشذَّ هذا الانسان عن بقية الموجودات في البلوغ الى أقصى مراتب الكمال كل بحسبه ومرتبته .

وواضح ان الله تعالى وهو الكامل على الاطلاق لا يصدر منه (لا يخلق) الا الكمال . فـ (الكمال) شعار هذا الوجود بأمر منه تعالى .

ومن جملة أسباب الكمال الانساني : حاجاته المتنوعة وعرض هذه الحاجات على الله المتعال اذ كلما زادت العلاقة بين العبد والمعبود كلما تكامل الفرد وتقرب اليه تعالى . ولا يراد بهذه العلاقة الا الزلفى اذ لا سنخية بين الخالق والمخلوق خلافا لما ذهب اليه بعض الحكماء ! . ولابد للانسان في حياته

---

(١) سورة الملك : ٣ .

(٢) « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد » : (سورة العاديات : ٦ — ٨) .

الدنيوية من أمراض وشدائد وغايات مشروعة وآمال طيبة يريد تحقيقها .

فالى من يذهب لتحقيق آماله المشرعة أو لدفع مرضه العضال يقول زين العابدين عليه السلام [١] : « من أين لي الخير يا رب ولا يوجد الا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع الا بك ، لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك » .

فلابد لهذا الانسان أن يتوسل الى الله المتعال الذي بيده مفاتيح الامور كلها وذلك بعد قطعه المراحل التي أمرنا الله تعالى بها .

فالمريض يراجع الطبيب . ولكن الطبيب قد لا ينجح في معالجته ويطول به المرض أو يشتبه في تشخيص المرض . فالله هو الذي يهيىء لهذا الانسان أسباب الشفاء من حيث يحتسب ، ومن حيث لا يحتسب . وقد يبرأ الشخص من مرض عضال مستعصٍ بمجرد الدعاء اذا كان من المقربين المخلصين [٢] .

كما أن الانسان قد يقوم بفعاليات خطيرة في سبيل تحقيق غاية مشروعة ، ولكنه يخفق في جميعها فلا ينجح فلابد له من التوسل الى الله والخشوع

---

(١) من دعاء يرويه ابو حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام .

(٢) ننقل هذه الحادثة تأييداً لما قلنا ومثلها حوادث جمة من كتاب : « بين الله والانسان (ص : ١٠٢) من مؤلفات العلامة الشيخ محمد جواد مغنية:

تقع بلدة حبوش فى جنوب لبنان ـ جبل عامل ـ قرب النبطية ، ويوجد فيها الان رجل اسمه حسن طالب نعمة ، تشاجر مع آخر ، فطعنه هذا بسكين غاصت بكاملها فى امعائه ، ومزقها تمزيقا ، وخرج ما فيها ، واشرف حسن على الهلاك ، فعرضه اهله على عدد من الاطباء ، منهم الجراح المعروف بنيه الشاب الموجود حاليا فى صيدا ، فاجمع الاطباء كلمة واحدة على انه ميت بعد لحظات لا محالة ، وان التطبيب لا يجدي شيئا ، وقبل ان يلفظ النفس الاخير اصابته غفوة راى فيها الحسين بن علي سيد الشهداء (ع) ، فاستغاث به ، فوضع الحسين (ع) يده الشريفة على مكان الجرح فعاد كل شيء صحيحا كما كان ، وقام الرجل من ساعته معافى كأن لم يكن شيء وهو الان حي يرزق ، ويعرف ذلك جميع اهل حبوش ، البالغ عددهم اكثر من ٣٠٠٠ نسمة .

والخضوع بين يديه والتضرع والبكاء والدعاء والقيام بصلوات مستحبة كي يمنّ الله عليه بقضاء حاجته المشروعة .

فالحاجات عامل قوي في التوجه الى الحق المتعال ، اذا كان الفرد ممن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، ويؤمن أن التوفيق منحصر به تعالى ، مع العلم ان على الانسان أن يطرق الأبواب المشروعة التي بها يمكن أن يتحقق ما يريد على شرط المشروعية .

***

ولا مراء أن الله تبارك وتعالى موجود في كل مكان وفي كل آن وحين ولا يخلو منه مكان . فللعبد أن يسأل حاجته من الله تعالى في أي مكان شاء وفي أي وقت أراد ، فالله تعالى يستجيب دعاءه ويقضي حاجته عاجلاً أو آجلا حسب حكمته تعالى ان كان منقطعاً اليه تعالى غاية الانقطاع ، متوسلا اليه توسلا ملؤه الاخلاص .

وللأوقات أثر في استجابة الدعاء ، فأبواب السماء مفتحة ليالي الجمعة من أول الليل الى طلوع الفجر الصادق ، ويستجاب الدعاء فيها من أول الليل الى طلوع الفجر وأما في بقية الليالي ففي الثلث الاخير منها يستجاب الدعاء ، لأن أبواب السماء مفتحة بلطفٍ منه تعالى في الثلث الاخير ويستجاب الدعاء عند الزوال على ما جاء في بعض الروايات . وهناك أوقات اخرى لا حاجة لذكرها فالأوقات كلها صالحة لاستجابة الدعاء ، اذا أخلص العبد في دعائه واستجمع شروط الاستجابة وكان موضوع الدعاء موضوعا مشروعا يرتضيه الله تعالى ولا يخالف أوامر الشرع ولا يؤدي الى سوء العاقبة والضلال . « ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » [1] .

(١) سورة سبأ : ٣ ، لا يعزب : لا يغيب ولا يخفى .

كما أن الله تعالى لا يتوقف عن عمل ما يريد ولا يتردد . فمشيئته تتحقق في كل آن : « يسأله من في السماوات والارض ، كل يوم هو في شان »[١] . ولا يشغله شأن عن شأن .

كذلك يستجاب الدعاء في كل بقعة من بقاع الأرض والسماء ، الا ان لبعض الأماكن أثرها في استجابة الدعاء . منها المساجد ، والعتبات المقدسة : « في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »[٢] .

***

وها اني أذكر هنا بايجاز بعض الاعمال والأدعية التي لها أثرها الفعال في قضاء الحاجة باذنه تعالى .

١ ــ المواظبة على صلاة جعفر الطيار (رض) ، ولا بأس بذكرها هاهنا مع كونها مسطورة في الجزء الثالث من هذا الكتاب :

هي أربع ركعات كل ركعتين بسلام . يقول في كل ركعة بعد قراءة السورة ١٥ مرة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . ويقولها ١٠ مرات حال الركوع و ١٠ مرات بعد الركوع حال القيام و١٠ مرات في السجدة الأولى و ١٠ مرات بين السجدتين و ١٠ مرات في السجدة الثانية و ١٠ مرات بعد السجدة الثانية قبل القيام ، فيكون مجموع التسبيحات في كل ركعة ٧٥ مرة وفي الركعات الاربع ٣٠٠ مرة .

والأفضل أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد سورة « اذا زلزلت »

---

(١) سورة الرحمان : ٢٩ .

(٢) سورة النور : ٣٦ ــ ٣٨ .

وفي الركعة الثانية بعد الحمد سورة : « والعاديات » وفي الركعة الثالثة بعد الحمد سورة النصر : « اذا جاء نصر الله » . وفي الركعة الرابعة بعد الحمد سورة الاخلاص : « قل هو الله أحد » .

وان يقول في السجدة الاخيرة بعد التسبيحات : « سبحان مَن لبس العز والوقار ، سبحان من تعطّف بالمجد وتكرم به ، سبحان من لا ينبغي التسبيح الاله ، سبحان من أحصى كل شيء علمه ، سبحان ذي المن والنعم سبحان ذي القدرة والكرم ، اللهم اني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وكلماتك التامة التي تمت صدقاً وعدلاً صلِّ على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا ، ويذكر حاجته .

وروى الشيخ في المصباح والسيد في جمال الأسبوع عن المفضل بن عمر قال : رأيت أبا عبدالله عليه السلام صلى صلاة جعفر بن أبي طالب (رض) ورفع يديه ودعا بهذا الدعاء : يا ربِّ ، يا رب ، حتى انقطع النفس . يا رباه يا رباه حتى انقطع النفس ربِّ ربِّ ، حتى انقطع النفس ، يا الله يا الله ، حتى انقطع النفس ، يا حي يا حي ، حتى انقطع النفس ، يا رحيم يا رحيم ، حتى انقطع النفس ، يا رحمن يا رحمن سبع مرات ، يا أرحم الراحمين : سبع مرات . ثم قال:

« اللهم اني أفتتح القول بحمدك ، وأنطق بالثناء عليك ، وامجدك ولا غاية لمدحك ، وأثني عليك ومن يبلغ غاية ثنائك وأمد مجدك ، وأنى لخليقتك كنهُ معرفة مجدك وأي زمن لم تكن ممدوحاً بفضلك ، موصوفاً بمجدك ، عوّاداً على المذنبين بحلمك ، تخلّف سكان أرضك عن طاعتك فكنت عليهم عطوفاً بجودك ، جواداً بفضلك عواداً بكرمك ، يا لا اله الا أنت المنان ، ذو الجلال والاكرام » . وقال يا مفضل ، اذا كانت لك حاجة مهمة ، فصلِّ هذه الصلاة وادع بهذا الدعاء وسل حاجتك يقضيها الله ان شاء الله تعالى .

٢ ــ المواظبة على صلاة يوم الخميس وهي أربع ركعات بسلامين ، في

الركعة الاولى بعد الحمد ١١ مرة سورة الاخلاص : « قل هو الله أحد » .

وفي الركعة الثانية بعد الحمد ٢١ مرة سورة الاخلاص وفي الركعة الثالثة بعد الحمد ٣١ مرة سورة الاخلاص وفي الركعة الرابعة بعد الحمد ٤١ مرة سورة الاخلاص .

وبعدالسلام يقرأ سورة الاخلاص ٥١ مرة وبعدها يقول : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ٥١ مرة ثم يسجد ويقول في سجوده : مائة مرة ربِّ ... ثم يسأل حاجته .

٣ ــ المواظبة على صلاة الليل والدعاء بعدها لقضاء الحاجة لا سيما اذا دمعت عيناك حال توسلك وتضرعك .

٤ ــ وهناك صلاة خاصة لرسول الله (ص) ، وصلاة خاصة لعلي عليه السلام ، وكذلك لكل من الائمة عليهم السلام ، لها آثارها في قضاء الحوائج مسطورة في كتب الأدعية .

٥ ــ وقد ذكر الكفعمي في (البلد الأمين) دعاءاً يرويه مقاتل عن الامام زين العابدين عليه السلام قائلاً : من قرأ هذا الدعاء مائة مرة ولم تقض حاجته فليلعني : (أي فليلعن الراوي) .

« إلهي كيف أدعوك وأنا أنا ، وكيف أقطع رجائي منك وأنت أنت . إلهي اذا لم أسألك فتعطيني فمن ذا الذي أسأله فيعطيني إلهي اذا لم أدعك فتستجيب لي فمن ذا الذي أدعوه فيستجيب لي . إلهي اذا لم أتضرع اليك فترحمني فمن ذا الذي اتضرع اليه فيرحمني ، إلهي ، فكما فلقت البحر لموسى عليه السلام ونجيته أسألك أن تصلي على محمد وآله وأن تنجيني مما أنا فيه وتفرج عني فرجاً عاجلاً غير آجل بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين » .

وهناك أدعية كثيرة وصلوات متنوعة مذكورة في كتب الأدعية ، تفيد في قضاء الحوائج باذنه تعالى .

مع العلم أن بعض الحاجات قد لا تقضى فيؤجر الانسان أضعاف ذلك في الآخرة ، ويتمنى عند ذاك : ليت حاجاته كلها لم تقضَ في الدنيا لينال مراتب عالية في « جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين » .

فعن أبي عبدالله عليه السلام كما في الكافي [١] . قال : ان المؤمن ليدعو الله عز وجل في حاجته ، فيقول الله عز وجل : أخروا إجابته شوقاً الى صوته ودعائه ، فاذا كان يوم القيامة ، قال الله عز وجل : عبدي ، دعوتني ، فأخرت اجابتك ، وثوابك كذا وكذا ، ودعوتني في كذا وكذا فأخرت اجابتك وثوابك كذا وكذا . قال : فيتمنى المؤمن انه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب » .

وفي خبر عن أبي عبدالله عليه السلام [٢] . قال : لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله عز وجل ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء ، قلت له ، كيف يستعجل ؟ قال : يقول : قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الاجابة » .

ومعنى هذا الحديث : ان الله تعالى لمصلحة هناك قد يؤخر الاستجابة ، أو لا يستجيب دعاء العبد ليعطيه أضعاف ذلك في الآخرة . وهو على التقديرين في خير لاشتغاله بالدعاء الذي هو من أعظم العبادات ، فقد جاء في الحديث : « الدعاء مخ العبادة » . فهو والحالة هذه في أشرف الحالات .

ومن المعلوم ، كما جاء في منطوق حديث ، كان بين قول الله عز وجل « قد أجيب دعوتكما » [٣] وبين أخذ فرعون أربعون سنة .

---

(١) كتاب الدعاء ، الجزء الثاني من اصول الكافي ، ص : ٤٩٠ ، طبع دار الكتب الاسلامية .

(٢) نفس المصدر ص ٤٩٠ .

(٣) سورة يونس : ٨٩ .

وعن أبي عبدالله عليه السلام : « ان العبد ليدعو ، فيقول الله عز وجل للملكين : قد استجبت له ، ولكن : احبسوه بحاجته ، فاني أحب أن اسمع صوته ، وان العبد ليدعو ، فيقول الله تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته ، فاني أبغض صوته ! » (٤) .

***

لنستمع الى كلام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حين يدعو ربه ، ففيه أدب الدعاء الرفيع :

« إلهي ، يا منتهى مطلب الحاجات ، ويا من عنده نيل الطلبات ، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان ، ويا من يستغنى به ولا يستغنى عنه ، ويا من يرغب اليه ولا يرغب عنه ، أنت أهل الغنى عن خلقك ، وهم أهل الفقر اليك ، فمن حاول سد خلّته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها واتى طلبته في وجهها ، ومن توجه بحاجته الى أحد من خلقك أو جعله سبب نجحها دونك ، فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان » .

ويقول زين العابدين عليه السلام في مقام الحاجة في موضع آخر :

« اللهم ولي اليك حاجة ، قد قصّر عنها جهدي ، وتقطعت دونها حيَلي ، وسوّلت نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلّة من الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، وقلت سبحان ربي ، كيف يسأل محتاج محتاجاً ، وأنى يرغب مُعدِم الى معدم ، فقصدتك يا الهي بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت ان كثير ما اسألك يسير في وُجدِك ، وأن كرمك لا يضيق عن سؤال أحد ، وان يدك بالعطايا أعلى من كل يد » .

---

(٤) اصول الكافي ج : ٢ ، ص : ٤٨٩ .

فعلى الانسان أن ينغمر في حبه لله تعالى وان يلتذ بالدعاء حين طلبه حاجة من الله تعالى ويزداد الحاحاً في الطلب والدعاء ، فالله تعالى يحب من العبد أن يكون ملحاً كثير الدعاء متضرعا خاشعا ، فقد جاء في حديث : « اذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه » .

وقد يبلغ الحال بالانسان عند الدعاء ، لا سيما جوف الليل ، اذا نامت العيون وهدأت الأصوات ، انه يريد من الله تعالى أن يكون دائماً هكذا متوسلا مناجياً ، داعياً ربه بفنون الدعوات ، منقطعاً اليه غاية الانقطاع ، لما يرى في تلك الحالة من السمو والعروج ، والفرح والسرور فوق حد الوصف والتعريف فهو في حالة الدعاء والتضرع أقرب ما يكون من الله تعالى ، وهذا التقرب غاية الغايات وخاتمة السعادات . فتراه ينسى حاجته ويراها شيئا تافهاً ازاء هذا الانغمار اللاهوتي والتسبيح الملكوتي ، فلا يريد قضاء حاجته ، ويفوّض أمره الى الله تعالى ، لا سيما اذا كان متعلق الحاجة أمراً من أمور الدنيا الزائلة ، فانه بدعائه هذا قد وجد الله الذي بيده كل الامور ومعرفة غاية السعادات .

فقد قال الحسين عليه السلام ، مخاطباً ربه : « ماذا وَجد من فقدك ؟ وما الذي فقد من وجدك ؟ » .

ويقول عليه السلام في موضع آخر في مقام طلب الحاجة : « اللهم حاجتي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني وان منعتنيها ، لم ينفعني ما أعطيتني ، أسألك فكاك رقبتي من النار » . وقال أيضا : « إلهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك من السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء » .

نعم ، ان العبد في حالة الدعاء وانقطاعه الى الله المتعال ، يصبح وكأنه يرى الله تعالى علانيةً وكأنه يخاطبه وهو قريب منه ، فيبلغ درجة الخشية

والزلفى في هذا العالم اللاهوتي ، فيكون مصداق كلام أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، حيث يقول : « اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك وأسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعصيتك ، وبارك لي في قدرك حتى لا أتعجّل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت » .

ثم ان الانسان عندما يقوم بأعمال من أدعية وصلوات مع الحاح واصرار لقضاء حاجته ، يبلغ بعد مدة الى درجة من التقرب الى الله تعالى بحيث يشعر في قرارة نفسه أن حاجته قد قضيت ، وان دعاءه قد استجيب . فيلهم اليه قضاء حاجته فترتاح نفسه ويطمئن قلبه . وقد اعترت لي هذه الحالة مراتٍ في حياتي ، فما أحلى الحاجات المشروعة وما أحلى الحالات التي تعتري الانسان عند قيامه بأعمال تؤدي الى قضاء حاجته من دعاء وصلوات وأعمال صالحات .

***

ثم إياك ان ترفع حاجتك الى أحد من البشر من سلطان أو غيره ، فانه نوع شرك بالله تعالى ، فقد قال الامام الصادق عليه السلام :

« اتقوا الله وصونوا أنفسكم بالورع والاستغناء بالله عن طلب الحوائج الى صاحب سلطان . واعلموا ان من خضع لصاحب سلطان ، أو لمن يخالفه على دينه طلباً لما في يده من دنياه أخمده الله ومقته ووكله اليه ، فان هو غلب على شيء من دنياه فصار اليه منه شيء نزع الله البركة منه ولم يؤجره على شيء ينفقه في حج ولا عتق ولا بر » .

وجاء في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم : « اللهم ارزق محمداً وآل محمد ومن أحب محمداً وآل محمد الكفاف والعفاف » .

***

ولا مراء أن دين الاسلام دين اجتماعي يضمن للمسلم سعادة الدنيا والآخرة ، ويأمر المسلمين أن يكونوا متضامنين متعاونين فيما بينهم ، يعمل كل منهم لاسعاد الآخر ورفع حاجاته ، وان قضاء حوائج الناس ودفع المكروه

عنهم لفي الدرجة الاولى في قائمة الأعمال الصالحة ، وكم من آيات في القرآن الكريم تحثنا على العمل الصالح بعد الايمان بالله تعالى مباشرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (١) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

« واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٣) .

« فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » في عدة مواضع « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (٤) « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيما » (٥) .

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات » (٦) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات ، لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير . ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسناً ، ان الله غفور شكور » (٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢) سورة البقرة : ٨٢ .
(٣) سورة آل عمران : ٥٧ .
(٤) سورة المائدة : ١٠ .
(٥) سورة الفتح : ٢٩ .
(٦) سورة المائدة : ٩٦ .
(٧) سورة الشورى : ٢٢ — ٢٣ .

« ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » [١] .

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » [٢] .

« وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ، تحيتهم فيها سلام » [٣] .

« ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » [٤] .

« ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى » [٥] .

الى كثير من آيات أخرى لم نرد تدوينها كلها ، تشير الى أن الدين الاسلامي قد بني على دعامتين : هما : الايمان والعمل الصالح .

ويتجلى العمل الصالح : في قضاء حاجات المسلمين حتى وغير المسلمين بغية جلبهم الى حظيرة الاسلام كما كان يعامل مع المؤلفة قلوبهم في صدر الاسلام ، وفي ادخال السرور الى قلوب المؤمنين وصلة الرحم وعيادة المرضى والعمل لأجل دفع الأسقام عنهم بشتى الوسائل الى ما هنالك ، فقد قال الامام أبو جعفر عليه السلام [٦] .

« ان في ما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام قال : ان عباداً لي أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها ، قال : يا رب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ، قال : من أدخل على مؤمن سروراً ، ثم قال : ان مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به [٧] ، فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك ، فأظلّه وأرفقه وأضافه ، فلما حضره الموت أوصى الله عز وجل

---

(١) سورة يونس : ٤ .
(٢) سورة الرعد : ٣١ .
(٣) سورة ابراهيم : ٢١ .
(٤) سورة الشورى : ٢٦ .
(٥) سورة طه : ٧٥ .
(٦) اصول الكافي : ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(٧) ولع به : استخف به .

اليه : وعزّتي وجلالي ، لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً ، ولكن يا نار هيديه [1] ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار ، قلت من الجنة ؟ قال : من حيث شاء الله .

وكذلك عن ابي جعفر عليه السلام قال : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة وما عُبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » .

وفي اصول الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : من أحب الاعمال الى الله عز وجل : ادخال السرور على المؤمن واشباع جوعته .

وقال رسول الله (ص) : « من حمى مؤمناً من ظالم بعث الله له ملكاً يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم » . وقال (ص) : « انصر أخاك ظالما أو مظلوماً ، فقيل ، كيف ننصره ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم » . وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : « من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله » . وقال عليه السلام : « من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد » . وقال رسول الله (ص) :

« من سر مؤمناً فقد سرني ، ومن سرّني فقد سر الله » .

وقال (ص) : « ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » .

ولا شك أن من أوضح مصاديق ادخال السرور على المؤمن : قضاء حاجته ودفع الكرب عنه ، لذلك حث الدين الاسلامي المؤمنين على القيام

---

(١) هيديه : أي ازعجيه وافزعيه وحركيه واصلحيه .

بقضاء حوائج الناس بما لا مزيد عليه . فعن أبي عبدالله عليه السلام : « قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة وخير من حُملان الف فرس في سبيل الله » (١٥) .

وفي الكافي أيضا ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام : « ان من عبادي من يتقرب اليّ بالحسنة ، فأحكّمه في الجنة ، فقال : موسى : يا ربِّ ، وما تلك الحسنة ؟ قال : يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته ، قضيت أو لم تقض » .

وقد قال أبو عبدالله الحسين عليه الصلاة والسلام : « اعلموا : أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم ، فتحوّل نقماً » .

وقال أيضا : « أيها الناس من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، وان أجود الناس من أعطى مَن لا يرجوه » . وقال أيضا : « من نفّس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ، ومن أحسن أحسن الله اليه والله يحب المحسنين » .

ويحدثنا الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن أحمد بن محمد ابن عبدالله عن علي بن جعفر (١٦) ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : « من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها اليه ، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله ، وان ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره الى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، فان عذر الطالب كان أسوأ حالا » .

وقال الصادق عليه السلام : « أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من اخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر الا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا ، يعذبه الله عليها يوم القيامة » .

---

(١٥) اصول الكافي : ج ٢ ، ص ١٩٥ .

(١٦) اصول الكافي : ج ٢ ص ١٩٦ .

وهكذا نرى ان الاسلام فرض على المؤمنين أن يقوموا بقضاء حاجات اخوانهم مع القدرة والا فهم معاقبون ، في الدنيا والآخرة ، فـ « أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة » كما جاء في متن حديث . والعكس بالعكس وهذا تفسير للحديث القائل : « الدنيا مزرعة الآخرة » ، فطوبى لأولئك الذين يهتمون بحوائج الناس أيما اهتمام سواء نجحوا أم أخفقوا فـ « مَن همّ بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة ، ومن هم بسيئة ولم يفعلها لم يكتب عليه شيء » ... الحديث .

وان قضاء الحاجة أكثر أجراً من التعبد في زاوية من الزوايا على ما جاء في حديث رسول الله (ص) : حيث يقول : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة فكأنما عبدالله دهره » .

وفي حديث آخر عن الرسول (ص) : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين الف ملك ، ولم يرفع قدما الا كتب الله له حسنة وحط عنه سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاجّ ومعتمر » [1] .

وقال عليه السلام : « ان المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة » .

وقال عليه السلام : « من طاف بالبيت طوافاً واحداً كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة ، ورفع له ستة آلاف درجة — وفي رواية ، وقضى له ستة آلاف حاجة ، حتى اذا كان عند الملتزم فتح له سبعة أبواب من الجنة » ، قلت له : جعلت فداك ، هذا الفضل كله في الطواف ؟

(١) جامع السعادات : ج ٢ ص ٢٢٦ .

قال : « نعم ، وأخبرك بأفضل من ذلك : قضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف وطواف حتى بلغ عشراً » .

وقال عليه السلام : « تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، وكونوا من أهله فان للجنة باباً ، يقال له المعروف ، لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد ، ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين واحداً عن يمينه وآخر عن شماله ، يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء حاجته » ثم قال : « والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة » .

وقال أبو عبدالله عليه السلام [1] : « قال الله عز وجل : الخلق عيالي ، فأحبهم الي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم » .

وقد روي ان عابد بني اسرائيل كان اذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاءاً في حوائج الناس عانياً بما يصلحهم .

وهكذا نرى المفاضلة بين التعبد والقيام بحاجات الناس ، وان الدين الاسلامي دين فيه من التساند الاجتماعي والتضامن والتكافل ما يؤدي الى اسعاد البشر في الدارين . ولسنا بحاجة ان نستمع الى كلمات فلاسفة الغرب في سنن التكامل والرقي . فقد جاء الاسلام بالقول الفصل ، كيف لا يكون كذلك وهو دستور السماء ، دستور الله في أرضه ، وأنى للبشر الناقص مهما سمى نفسه حكيماً أو فيلسوفاً أن يأتي بمثله ، ذلك لأن النفس المتسافلة أو البعيدة عن الحق ، النفس المحكومة لشيطانها وشهواتها لا تأتي الا بدساتير ناقصة ، لا توصل الفرد الى الدرجات العلى من التقرب الى الله في عوالم القدس ، ولا تؤدّي الى حياة سعيدة في الدنيا ، وان حالة الغرب اليوم في عوالم تكامل النفس أكبر شاهد على ما أقول .

---

(١) اصول الكافي : ج ٢ ص ١٩٩ .

لنستمع الى ما يقوله أبو عبدالله عليه السلام بالنسبة الى التنفيس عن المؤمن ، انه عليه السلام يقول : « أيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة وهو مُعسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة ، قال : ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة ، قال : والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه ، فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير » (١) .

ولنذكر حديثاً واحداً في اطعام المؤمن وسقيه : « فقد قال علي بن الحسين عليه السلام مَن أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومَن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » (٢) .

وحديثاً في إكساء المؤمن :

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وان يهوّن عليه سكرات الموت وان يوسع عليه في قبره وان يلقى الملائكة اذا خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله عز وجل في كتابه : « وتتلقاهم الملائكة ، هذايومكم الذي كنتم توعدون » (٣) .

وحديثاً في اكرام المسلم :

فعن أبي عبدالله عليه السلام « قال : من أتاه أخوه المسلم فأكرمه ، فانما أكرم الله عز وجل » (٤) .

وحديثاً في خدمة المسلمين :

فعن أمير المؤمنين عليه السلام : قال : قال رسول الله (ص) : أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين الا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة » .

***

(١) اصول الكافي : ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٢) نفس المصدر : ٢٠١ .
(٣) نفس المصدر : ص ٢٠٤ .
(٤) نفس المصدر : ص ٢٠٦ .

وهكذا نرى ان الحاجات طريق للاتصال بالله تعالى والانقطاع اليه وخير وسيلة لتكامل النفس الانسانية التي تنحصر كمالها في اقترابها الى الله المتعال وتذكرها خالقها في كل حين .

فما أحلى حالة المتعبّد حين يقوم بعمل عبادي ليقضي الله حاجته وكم يزداد اعتقاداً بالله وحباً اليه بعد انقضاء حاجته المشروعة ، ولقد كان القيام بقضاء حاجات الآخرين ، لا سيما الأرحام ، سبباً هاماً لهداية كثيرين .

وقد عرفت أشخاصاً كثيرين كانوا قد تركوا الصلاة وخاضوا فيما خاض فيه الطائشون ، ولكنهم بعد ان قاموا بخدمة ملموسة تجاه أحد أرحامهم وقضوا بعض حاجاتهم ، تفتحت قلوبهم لقبول معالم الهداية والكمال وزالت عنهم غياهب الشك والارتياب ، وكادوا أن يبلغوا مرتبة اليقين ، فراقبوا أعمالهم وأصلحوا أنفسهم على ضوء تعاليم الاسلام الحقة ، وخرجوا باذن ربهم ، من الظلمات الى النور . فطوبى لهم وحسن مآب .

الفهـرس

التسلسل	الموضوع	الصفحة
١	من حقائق القرآن : والشمس تجري لمستقر لها	٣
٢	كل شيء عنده بمقدار	٩
٣	فلا أقسم بمواقع النجوم	١٥
٤	وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً	٢٠
٥	هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها	٢٧
٦	حركة الارض في القرآن الكريم	٣٤
٧	اللطف وسنة الكمال	٤٠
٨	سنة الكمال في الكون الرحيب	٥٠
٩	هل للعلم الحديث أن يمدّ يداً الى ما وراء الطبيعة	٧٤
١٠	علي عليه السلام والعلم الحديث	٨٣
١١	الصادق عليه السلام والعلم الحديث	٩٤
١٢	هل ينقذنا العلم فحسب	١١٤
١٣	الاسلام هو الدين العالمي في مستقبل قريب	١٤٣
١٤	أثر الحاجات في تكامل النفس	١٩٩
	الفهرست	٢١٩

يطلب الكتاب من
ـ دار الكتب العلمية ـ في النجف الاشرف
لصاحبها الحاج سيف الله

ثمن النسخة : (١٧٠) فلساً
ثمن النسخة مائة وسبعون فلساً

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073838359